الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي .

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

كلية الآداب واللغات

المجلس العلمي

الرقم...2023./ أ م ع /.229.

(مستخرج) من محضر المجلس العلمي للكلية

سند تربوي للأستاذة: د/ شيادي نصيرة

بالجلسة المنعقدة بتاريخ: 17 ماي 2023

وافق المجلس العلمي للكلية على السند التربوي

المعنون بـــــ :

الفونولوجيـــــا

المعد من قبل: د/ شيادي نصيرة

قسم: اللغة و الأدب العربي

تلمسان في: 05 جوان 2023

المجلس العلمي

أ.د/ والي دادة عبد الحكيم

رئيس المجلس العلمي

سلمت هذه الشهادة للمعني(ة) لاستعمالها في حدود ما يسمح به القانون.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد

. تلمسان .

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

Ministèrede EnseignementSupérieur
et dela RechercheScientifique
Université AbouBekrBelkaid
. Tlemcen .
Facultédeslettreset deslangues

Département delangueetlittératurearabes

المطبوعة البيداغوجية لمقياس : الفونولوجيا

مستوى:السنة الثالثة(ليسانس.ل. م. د)
السداسي السادس- لسانيات تطبيقية -

إعداد الدكتورة : نصيرة شيادي

الرتبة : أستاذة محاضرة صنف (أ)

أ.د/ والي دادة عبد العزيز
رئيس المجلس العلمي

السنة الجامعية:2022م - 2023م

فهرس المحاضرات

رقم المحاضرة	عنوان المحاضرة	رقم الصفحة
1	مدخل: الصوتيات والصوتيات الفونولوجية	2
2	الصوتيات في التراث . الجزء 1 .	13
3	الصوتيات في التراث . الجزء 2 .	21
4	المدرسة الفونولوجية الحديثة . الجزء 1 .	25
5	المدرسة الفونولوجية الحديثة . الجزء 2 .	29
6	المدرسة الوظيفية: التقطيع المزدوج	37
7	نظرية الفونيم: الوحدة الصوتية الصغرى	39
8	نظرية الفنونيم: الوحدة الصرفية	46
9	الليكسام(الوحدة المعجمية)	57
10	الظواهر التطريزية: المقاطع، النبر، التنغيم	62
11	الظواهر الصوتية في العربية: الإعلال	76
12	الظواهر الصوتية في العربية: الإبدال	87
13	الظواهر الصوتية في العربية: الإدغام، الإتباع	95
14	الظواهر الصوتية في العربية: الهمز	109

المحاضرة رقم (01): الصّوتيات والصوتيات الفنولوجية

تمهيد:

تتصف اللغات بادئ ذي بدء بكونها كلاما منطوقا يتداول مشافهة، فلقد عرف الإنسان الكلام المنطوق قبل أن يخترع الكتابة بأحقاب طويلة ولم يكن اختراع الكتابة متأتّيا من معرفة الطبيعة الشفهية للغة، ومحاولة تقييدها بالكتابة بل كان محاولة لتسجيل معنى الكلمة بتمامها عن طريق الصور والرسوم. وظلّ مفهوم الأصوات المنفردة غائبا حتى توصّل الإنسان إلى الأبجدية؛ أي إلى العناصر الصوتية المفردة التي تشكل بائتلافها الكلمات ومع أنّ توصّل الإنسان إلى الكتابة أمر مهمّ جدّا على صعيد العلم والحضارة فإنه لم يقلّل من أهمية المشافهة ف تداول اللغات ونقلها من جيل إلى آخر.[1]

وليس من شكّ في أنّ علم الأصوات هو أهمّ فرع من فروع علم اللسانيات الأربعة ؛ أي هو أحد أنظمة اللغة الرئيسة: الدلالة ، والصرف، والنحو، والصوت ؛ لأنّ اللغة بكلّ عناصرها لا تقوم إلاّ به وهي من دونه تُعدّ جثّة هامدة عديمة الجدوىفاللغة المكتوبة لا قيمة لها إذا لم تكن معروفة الأصوات وطرائق النطق بها.[2]

1 . تعريف علم الأصوات: Phonetics

هو فرع من فروع علم اللغة العام [3] مهمته دراسة الكلام إذ يدرس الخصائص المميزة للأصوات الإنسانية وانتقالها عبر وسط ما، وإدراك السامع لها لما يُعنى بالصفات المشتركة للأصوات في جميع اللغات وبالمسائل العامة المتعلقة بهاوهو يرتبط بفروع أخرى من المعرفة كعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء .[4]

أي أنّ علم الأصوات يتناول بالدرس الأصوات الإنسانية في جانبها المادي وذلك من أجل وصفها وتفسيرها و تصنيفها ولذلك يعدّ اللبنة الأولى والرئيسة في النظام اللغوي، وعلم الأصوات علم متكامل له موضوعه وأقسامه وفروعه المختلفة.

2 . موضوع علم الأصوات:

إنّ الصوت الإنساني هو موضوع علم الأصوات اللغوية.[5] فالصوت الذي يحدثه الإنسان عند النطق للتعبير عما يريد يتمثل مجاله في الوحدات الصوتية التي تتألف منها الكلمات فكلمة (أخلاق) مثلا تتركب من صوامت وصوائت وهذه الوحدات هي موضوع علم الأصوات الذي يقوم أي باحث فيه بدراسة هذه الأصوات ومعرفة مخارجها و كيفية حدوثها وصفاتها المختلفة .

---

[1] ـ مبادئ اللسانيات : أحمد محمد قدور ، دار الفكر ، دمشق ، ط 3 ، 1429هـ ، 2008 م ، ص 66 .
[2] ـ ينظر : الأصوات اللغوية : عاطف فضل محمد ، دار المسيرة ، عمان ، ط 1 ، 1434 هـ ، 2013 م ، ص 37 - 38 .
[3] ـ علم اللغة : حاتم صالح الضامن ، بيت الحكمة ، الموصل ، بغداد ، دط ، 1360هـ ، 1989 م ، ص 47 .
[4] ـ علم الأصوات وأصوات اللغة العربية : روعة محمد ناجي ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ، ط 1 ، 2012 م ، ص 7 .
[5] ـ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 13 ، 1417هـ ، 1997 م ، ص 13 .

3 . فروع علم الأصوات

إذا انطلقنا من تعريف ابن جني (ت 392هـ) للغة " أمّا حدّها فإنها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم "[1] فإنّ الذي غاب عن هذا التحديد هو وُجود هذه الأصوات في إطار نظام أو نسق معيّن وهو الذي يحاول أن يُبيّنه علم الأصوات الحديث في إطار القواعد العامة التي يريد أن يضبطها علم اللغة الحديث فاللغة أصوات منطوقة يصدرها الإنسان و تنتقل من المرسل إلى المستقبل عبر الهواء (من فم المتكلم إلى أذن السامع) وقد تطورت دراسة الأصوات في عصرنا لتشمل مراحل إنتاج الصوت وانتقاله وتلقّيه وبالتالي لابدّ أن تخصّص لدراسة كل مرحلة من مراحله الثلاث فرع من فروع علم الأصوات هذه الفروع التي تختلف من حيث النشأة والتطور و كذلك من حيث وسائل الدراسة وهذا تعريف موجز بها:

أ . علم الأصوات النطقي أو الفسيولوجي: Articulatory or physiological phonetics

يُعدّ هذا الفرع من أقدم الفروع وأكثرها انتشارا حيث بدأت الدراسات فيه منذ وقت مبكّر فقد كانت الدراسات الصوتية القديمة شبه محصورة في هذا النوع؛ لأنّ الاعتماد فيه يكون على الملاحظة الذاتية.[2]

هذا العلم يهتم بدراسة حركات أعضاء النطق من أجل إنتاج أصوات الكلام و تحديد مخارج الأصوات وبيان الصفات الصوتية التي تشكل الصوت.[3] ويعتبر من أهمّ الفروع ولا سيما لدارسي اللغات الأجنبية ولمعلّميها ولأنّ هذا الفرع يحقق أهداف دراسة علم الأصوات وهي : (المساعدة على نطق الأصوات نطقا صحيحا و المساعدة في معرفة أسباب الظواهر الصوتية والمساعدة في المقارنة بين اللغات)

وقد أتاح التقدم العلمي لعلم الأصوات النطقي أن يخطو خطوات بعيدة المدى في دراسة أعضاء النطق وكيفية إنتاج الأصوات فاستعان الدارسون بعلم التشريح و علم وظائف الأعضاء في التعرف الدقيق على العملية النطقية والكشف عن الكثير من أسرارها.[4]

ب . علم الأصوات الأكوستيكي أو الفيزيائي: Acoustic or physical phonetics

هو حديث العهد بالوجود نسبيّا إنه يمثل المرحلة الوسطى بين علم الأصوات النطقي وعلم الأصوات السمعي.[5] ووظيفة هذا الفرع دراسة التركيب الطبيعي للأصوات، فهو يحلل الذبذبات والموجات الصوتية

---

[1] ـ الخصائص : أبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، دط ، دت ، 1 / 33 .

[2] ـ الأصوات اللغوية : عاطف فضل محمد ، ص 45 .

[3] ـ دراسة الصوت اللغوي : أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، دط ، 1418هـ ، 1997 م ، ص 95 و ينظر : أسس علم اللغة : ماريو باي ، ترجمة و تعليق أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 8 ، 1419 هـ ، 1998 م ، ص 47 .

[4] ـ ينظر : علم الأصوات ، كمال بشر ، دار غريب ، القاهرة ، دط ، 1420هـ ، 2000 م ، ص 48 و ينظر : المدخل إلى علم أصوات العربية ، غانم قدوري الحمد ، دار عمار للنشر و التوزيع ، عمان ، ط 1 ، 1425هـ ، 2004 م ، ص 21 .

[5] ـ نفسه : ص 48 .

المنتشرة في الهواء بوصفها ناتجة عن ذبذبات ذرات الهواء في الجهاز النطقي المصاحبة لحركة أعضاء هذا الجهاز ومعنى هذا أنّ وظيفته مقصورة على تلك المرحلة الواقعة بين فم المتكلم وأذن السامع.[1]

ج . علم الأصوات السمعي: Auditory phonetics

هو أحدث فروع علم الأصوات على الإطلاق وهو ذو جانبين: جانب عضوي أو فسيولوجي وجانب نفسي أما الأول فوظيفته النظر في الذبذبات الصوتية التي تستقبلها أذن السامع و في ميكانيكية الجهاز السمعي ووظائفه عند استقبال هذه الذبذبات و هي مرحلة تقع في مجال علم وظائف أعضاء السمع، ويركز الجانب الثاني في تأثير هذه الذبذبات ووقعها على أعضاء السمع (الداخلية منها بوجه خاص) وفي عملية إصدار السامع للأصوات وكيفية هذا الإدراك وهذه مرحلة نفسية خالصة وميدانها الحقيقي هو علم النفس.[2]

ويُحجمُ دارسو اللغة عن دراسة هذا الفرع لما فيه من صعوبات كثيرة تقف حائلا أمام غير المتخصصين به تخصصا دقيقا.[3]

د . علم الأصوات التجريبي أو الآلي: Expérimental phonétics

هذا الفرع يعتمد عليه علما الأصوات النطقي والفيزيائي اعتمادا كبيرا فوظيفته إجراء التجارب المختلفة بواسطة الوسائل والأدوات الفنية في معمل الأصوات وهذه الوسائل والأدوات منها ما يخدم علم الأصوات النطقي ومنها ما يخدم علم الأصوات الفيزيائي.[4]

4 . مناهج الدراسة الصوتية

الأصوات فرع من اللسانيات ومن ثمّ فإنّ مناهج الدرس الصوتي هي ذاتها مناهج اللسانيات التي اتسعت وتفرّع منها فروع كثيرة ومن هذا المنطلق فإنّ مناهج الدراسة الصوتية تصنّف على النحو التالي:

أ . منهج علم الأصوات الوصفي

وهو وصف الظاهرة الصوتية في مرحلة زمنية معينة وبقعة جغرافية محددة و يبدأ من الصورة المنطوقة [5] وهو وهو المظهر الأساس يقول تمام حسان:"ولقد أصبحت الدراسة الوصفية للغات قائمة على دراسة اللهجات الحية من أفواه متكلّميها وأصبح لزاما على طالب هذه الدراسة أن يختار أحد أبناء هذه اللهجة المطلوبة ويلزمه ويسجل ما يقوله عن طريق نظام هجائي يجعل لكل صوت ينطقه المتكلم رمزا كتابيا خاصا " [6]

---

[1] ـ علم الأصوات : ص 48 - 49 .
[2] ـ علم الأصوات : ص 42 - 43 .
[3] ـ نفسه : ص 44 .
[4] ـ الأصوات اللغوية : عاطف فضل محمد ، ص 47 .
[5] ـ نفسه : ص 47 - 48 .
[6] ـ اللغة بين المعيارية والوصفية : تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1958 م ، ص 113 .

بعد عملية التسجيل يأتي دور التقعيد ليعرفنا الباحث بما في هذه اللهجة أو اللغة من أصوات من حيث مخارجها وصفاتها وخصائصها وبما يصيب هذه الأصوات من تغير وتبدل لمجاورة بعضها لبعض.[1]

ب . منهج علم الأصوات التاريخي

هو المنهج الذي يقوم على رصد تغير الظاهرة الصوتية من عصر إلى عصر فيتتبع أصوات لسان ما خلال فترة من الزمن ليقف على التغيرات التي أصابت أصوات هذا اللسان وعلى القوانين التي حكمت هذه التغيرات.[2]

ج . منهج علم الأصوات المقارن

وهو المنهج الذي يقيم الموازنة بين أصوات لسانين أو أكثر ليكشف عن وجوه الاتفاق والاختلاف بينها.[4]

د . منهج علم الأصوات العام

هو المنهج الذي يدرس عنصر الأصوات في اللغة عامةفيدرس الجهاز الصوتي عند الإنسان ووظيفة كل عضو في هذا الجهاز ويبحث في الطرق المختلفة لإنتاج الصوت ويصنف الأصوات ويحاول بعد استقراء كل الألسن أن يجد الأسباب التي تسببت في التبدلات الصوتية إلى آخر ما هنالك من المباحث التي تصدق على كل لسان ولا تختص بلسان دون آخر.[4]

5 . أهمية علم الأصوات

يعتبر الجانب الصوتي هو الأهم من الجانب الكتابي فهو يأتي في الدرجة الثانية لهذا فالصوت" هوآلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف" على حد قول الجاحظ في كتابه(البيان والتبيين)[3]

لقدأولى المؤلفون في علم الأصوات عناية كبيرة لبيان أهمية علم الأصوات في الدراسات اللغوية و الجوانب التطبيقية لمباحث هذا العلم حتى قالوا إنه:" من الصعب أن تكون لغويّا دون أن تكون لديك معرفة متينة في

[1] ـ دراسات في فقه اللغة : محمد الأنطاكي ، دار الشرق العربي ، بيروت ، ط 4 ، 1389 هـ ، 1969 م ، ص 122 .
[2] ـ نفسه : ص 122 .
[3] ـ البيان والتبيين: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 7، 1418هـ ، 1998 م، 79/1

علم الأصوات "[1] لأنّ " أيّ دراسة تفصيلية للغة ما تقتضي دراسة تحليلية لمادتها الأساسية أو لعناصرها التكوينية و تقتضي دراسة تجمّعاتها الصوتية "[2]

ولاشك في أنّ أهمية علم الأصوات في دراسة اللغة العربية وعلومها لا تقلّ عنها في دراسة اللغات وتراثنا اللغوي زاخر بمباحث هذا العلم منذ العصور الأولى للتأليف اللغوي وزادت مكانة هذا العلم بعد أن جمع موضوعاته علماء القراءة القرآنية في كتب علم التجويد ولاشك في أنّ هذا العلم حين يخدم كتاب الله يقتضينا أن نعنى به أشدّ عناية و أن نتعمّق في أصوله ودقائقه وأن نوسع في ميادينه بحيث يشمل كل العلوم الإنسانية حتى تظلّ عربيتنا سليمة صحيحة إذ في صحّتها صحة أداء القرآن وسلامته.

ويشير الدارسون إلى عدد من الأمور التي تظهر من خلالها فائدة علم الأصوات أهمها:

. تعليم الأداء: إنّ أول ما تهدف إليه دراسة أصوات اللغة العربية هو ضبط النطق الصحيح والفصيح للكلام العربي بعامة وفي قراءة القرآن بخاصة ذلك أنّ الأداء السليم الفصيح للغة يحفظ لها رونقها في الأسماع ووقعها الساحر في الطباع.[3]

. استيفاء اللفظ لمعناه: إنّ اللغة ألفاظ ومعانٍ والمعاني منوطة بالألفاظ وبقدر استفاء اللفظ لحقّه في الأداء يكون استكماله التعبير عن جوانب معناه ويكون تعبيره عن المتكلم أوعى،وتأثيره في السامع أوفى واستجابة السامع له أرجى.[4]

. رصد التطور الصوتي لأصوات اللغة: إنّ دراسة أصوات اللغة و تحقيق مخارجها وصفاتها . مفردة ومنتظمة . تمكننا من رصد التطور الصوتي الذي تتعرض له أصوات اللغة، وتقنين هذا التطور وضبط اتجاهاته.[5]

. كشف أسس الكثير من الظواهر اللغوية: فمثلا في متن اللغة تفسر دراسة الأصوات ظاهرة الإبدال اللغوي المبني على التقارب كما تفسر سرّ إهمال بعض الأبنية وتفسر أساس الحكم بأنّ لفظا ما معرّب لأنه لا يتفق ونسق التأليف العربي للأصوات كما تقدم دراسة الأصوات أساس الترتيب المعجمي الصوتي، وفي فقه اللغة تفسر دراسة الأصوات ظاهرة التصاقب وبعض صور الاشتقاق ونظريات نشأة اللغة وبعض الاختلافات اللهجية وبعض صور التطور اللغوي التاريخي وصور الأداء العامي للغة.

أما إذا ولجنا علم الصرف فنجد أنّ دراسة الأصوات تفسر السر في ثقل الأبنية وبعضا من أبواب مضارع الماضي الثلاثي كصيغة (فعَل . يفعل) وحالات التقاء الساكنين وتفسر دراسة الأصوات في علم النحو

---

[1] ـ علم الأصوات : بارتيل مالبرج ، تعريب و دراسة : عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، المنيرة ، القاهرة ، دط ، 1984 م ، ص 268 .

[2] ـ دراسة الصوت اللغوي : ص 401 .

[3] ـ المختصر في أصوات اللغة العربية ـ دراسة نظرية وتطبيقية ـ محمد حسن حسن جبل ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 4 ، 1427 هـ ، 2006 م، ص 7 .

[4] ـ نفسه : ص 7 .

[5] ـ المختصر في أصوات اللغة العربية ـ دراسة نظرية وتطبيقية ـ ص 11 .

علامات الإعراب وتجانسها وإسكان آخر الفعل المسند للضمائر المتحركة والعلاقة بين صور بعض أنواع الضمائر وتفسر الاستغناء عن الأدوات بالنبر والتنغيم.

أما دراسة الأصوات في البلاغة والأدب فتفسّر ظاهرة تنافر الحروف وظاهرة الإيحاء بالمعنى والتناسب معه في الألفاظ والعبارات وكثيرا من المحسنات البديعية وفي العروض تفسر دراسة الأصوات بعض الظواهر الخاصة بقواعد الوزن العروضي وأنواع القافية وعيوبها.[1]

- **المساعدة على نطق اللغة الأجنبية**: تظهر أهمية علم الأصوات بصورة علمية واضحة في تعليم اللغات الأجنبية وتعليمها فإذا ما أقدم أصحاب لغة ما على تعلم لغة أخرى كانوا عرضة لأن يخطئوا في نطق أصوات هذه اللغة الأخيرة وأن يخلطوا بين أصواتها وأصوات لغتهم بسبب تأثرهم بعاداتهم النطقية.[2]

- **معالجة عيوب النطق**: لعل أهم ما يقدمه علم الأصوات من خدمات يتمثل في معالجة عيوب النطق أو الكلام الناتجة عن اكتساب عادات نطقية غير سليمة كما يساعد علم الأصوات في تعليم الصم والبكم.[3]

- **تصنيع أجهزة الاتصالات الحديثة**: تدخل حقائق علم الأصوات اللغوية في اعتبارات المصنعين لأجهزة الاتصالات والأجهزة الصوتية المختلفة لأن هذه الأخيرة مصنعة خصيصا للتعامل مع الصوت البشري ومع أجهزة استقبال هذا الصوت لدى الإنسان.[4]

---

[1] ـ المختصر في أصوات اللغة العربية ـ دراسة نظرية و تطبيقية ـ ص 15 - 16 .
[2] ـ الأصوات اللغوية : عاطف فضل محمد ، ص 40 .
[3] ـالأصوات اللغوية: عاطف فضل محمد، ص 44 .
[4] ـ المدخل إلى علم أصوات العربية: ص 301 .

الصوتيات الفونولوجية

تمهيد

ندرس الأصوات اللغوية في ضوء علمين يسمى الأول منهما الفونيتيك ويسمى الآخر الفونولوجيا. فيدرس العلم الأول الأصوات وكأنها مجرد حوادث فيزيائية لا علاقة لها باللغة التي هي أحد عناصرها فيهتم بمخارجها وصفاتها ومقادير شدتها وعدد ذبذباتها وأطوالها وما إلى ذلك فهذا العلم يعنى بالمادة الصوتية لا بالقوانين الصوتية بينما يهتم العلم الثاني (علم وظائف الأصوات أي الفونولوجيا) بوظيفة كل صوت في اللغة فيتساءل عن كثرة ورود هذا الصوت أو قلته في هذا اللسان وعن إمكان وجوده في هذا المقطع أو ذاك وعن قبول مجاورته لذاك الصوت أو عدم ذلك فهو يعنى بتنظيم المادة الصوتية ... إلى آخر ما هنالك من المباحث التي ترمي إلى وضع القواعد الصوتية التي تجري عليها الأصوات في لسان ما من غير إلحاح على الطبيعة الفيزيائية للأصوات هذا الإلحاح الذي يميز علم الأصوات من علم وظائف الأصوات.[1]

وجاء التفريق أو محاولة التفريق بين علمي الفونيتيك والفونولوجيا نتيجة لتقدم البحث في الأصوات عندما أدرك العلماء أنّ الصوت الواحد أو ما كان يسمى كذلك هو في الواقع ذو صور نطقية عدّة تتنوع بتنوع السياق الذي يقع فيه، وقد لاحظوا أنّ هذا التنوع ليس مقصورا على بعض الأصوات دون بعض أو على نُطق بعض الأفراد دون غيرهم وإنما وجدوه قاعدة عامة في كل الأصوات وخاصة مشتركة بين كل الناطقين باللغة المعينة.[2]لقد أدركوا أن صوت الكاف مثلا يختلف نطقه من سياق لآخر فهو يوصف بأنه من أقصى الحنك مهموس ولكن النقطة الدقيقة لنطقه تختلف في الواقع باختلاف ما يجاوره من حركات فقد تكون إلى الخلف أو الأمام قليلا في هذه المنطقة بحسب نوع الحركة التالية له وهذا الصوت المهموس يُجهر أحيانا في بعض المواقع كما في نحو (أكبر) [3]

إنّ علم الفونولوجيا باعتباره علما مستقلا له قواعده الخاصة، ومناهجه المتميزة، ظهر واستعمل سنة 1850، ولكنّ مفهومه بقي دون تحديد واضح، ومتفق عليه فترة من الزمن، شأنه في ذلك شأن علم الفونيتيك، ولقد ظلّ الأمر على هذا الحال حتى نهاية القرن التاسع عشرَ، حيث مهّد للتفرقة بين هذين العلمين بعض اللغويين مثل: جان بودوان دي كورتينيه (Jan Boudouin De Courtenay)الذي ميّز بين علم الأصوات النفسي وعلم الأصوات الفسيولوجي؛ أي بين الفونولوجيا والفونيتيك، كما أسهمت بعض

---

[1] ـ ينظر : دراسات في فقه اللغة ، ص 123 .
[2] ـ علم الأصوات : ص 67 - 68 .
[3] ـ نفسه : 68 .

المصطلحات والأفكار التي وضعها العالم اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير(F.D.Saussure) مثل مصطلح لسان، ولغة، وكلام في توضيح أوجه الفروق بين هذين العلمين.[1]

وقد حظيت الفونولوجيا بالاستقلال المعترف به عن الفونيتيك بعد المؤتمر الدولي للغويات الذي عقد في لاهاي سنة 1928، وكان من العلماء الذين دعَوا إلى هذا المؤتمر العالم اللغوي تروبتسكوي(Trubetszkoy)، والعالم اللغوي جاكبسون (Jakobson)، وكلاهما من مدرسة براغ اللغوية.[2]

حين دخل مصطلح (الفونيتيك) درسنا اللغوي الحديث أبقاه بعض الدارسين دخيلا فقال: فونيتيك دون تعريب وغالبا ما كان يقرن بكتابته بإحدى اللغتين الفرنسية أو الإنجليزية أي: Phoneticsأو Phonétique كما ترجم إلى: علم الصوت ومنهج الأصوات وعلم الأصوات العام وعلم الأصوات وعلم الأصوات اللغوية والصوتيات والصويتة،[3]وكذلك شأن مصطلح (الفونولوجيا) فمنهم من فضّل استعماله كما هو فقال فونولوجيا واقترحت له تسميات عربية نحو: منهج التشكيل الصوتي وعلم الأصوات التشكيلي وعلم الأصوات التطبيقي وعلم وظائف الأصوات وعلم النطق أو النطقيات ودراسة اللفظ الوظيفي وعلم النظم الصوتية وعلم الأصوات الوظيفي.[4]

1 . تعريف الفونولوجيا

هي" دراسة الأصوات الكلامية للغة ما، ودراسة وظيفتها في إطار النظام الصوتي لتلك اللغة"[5]

ويرى كريستال Crystalأنّ" الفونولوجيا، وهي فرع من علم اللغة تدرس الأنظمة الصوتية في اللغات، وأنها تهتم بمدى الأصوات ووظيفتها في لغات بعينها، ويطلق عليها في الغالب اسم علم الأصوات الوظيفي، كما أنها تهتم بالقوانين التي يمكن كتابتها، بحيث تظهر أنماطا أو أصنافا للعلاقات الفوناتيكية التي تقيم ارتباطات وتقابلات بين الكلمات وغيرها من الوحدات اللغوية"[6]

أما معجم لاروس فإنه يرى في الفونولوجيا" علما يدرس أصوات اللغة، من حيث وظيفتها في نظام الاتصال اللغوي"[7]

أما كمال بشر فيرى أنّ الفونولوجيا علم يدرس قيمَ الأصوات، أو معانيها في اللغة المعينة، كما يدرس وظائفها في التركيب الصوتي للغة من اللغات.[8]

---

[1] ـ علم الأصوات العربية: محمد جواد النوري، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط1، 1996من ص 93.
[2] ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها.
[3] ـ نفسه: ص 72 .
[4] ـ نفسه: ص 73 وينظر : المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1421ه، 2000م، ص 213 - 214 .
[5] - Dictionary of Language and Linguistics,Hartman and Storrk, P173
[6] - A First Dictionary of Linguistics and Phonetics,P268
[7] - Dictionnary De Linguistique, Larousse,P375
[8] ـ علم اللغة العام ـ الأصوات ـ ص 28

يتضح من التعريفات السابقة للفنولوجيا أنّ هذا العلم يتناول بالدرس الأنظمة الصوتية للغات، ووضع قوانين عن طبيعة هذه الأنظمة بعامة. ويشمل ذلك تحديد الوحدات الصوتية التمييزية؛ أي الوحدات الصوتية ذات القيمة الدلالية التفريقية في لغة معينة، وهي الفونيماتPhonemes، كما يشمل أيضا تثبيت نظام الوحدات الصوتية التركيبية، أو القِطعيةPhonemesSegmentalوالملامح الصوتية غير التركيبية، أو غير القِطعية Suprasegmental Phonemes، في كل نظام، وإقامة تقابلات وظيفية بين تلك الوحدات، وذلك من أجل تعيين التشكلات المختلفة لها في اللغة الواحدة، وكذلك تعيين الارتباطات القائمة بين تشكلات الوحدة التمييزية الواحدة، بالإضافة إلى تعيين الارتباطات القائمة بين تشكلات مختلف الوحدات.[1]

وبالتالي، نقول إنّ الفونيتيك هو الدراسة العلمية للأصوات من جوانبها النطقية والفيزيائية والسمعية والتجريبية فهو لذلك أقرب ما يكون إلى مفهوم العلوم على حين أنّ الفونولوجيا علم لساني يختصّ بدرس أصوات لغة معينة للوصول إلى طرق ائتلافها ونظام تركيبها وما يتّصل بذلك من فروق.[2] فعلم النطقيات يبحث الأصوات اللغوية في تجرّدها وفي تركيبها الصرفي والنحوي أحيانا حيث يبدأ بدراسة الوحدة الصوتية التي تعرف عالميا باسم (الفونيم) وسلوكها في الكلام وتغير مواضعها بتغير الأصوات التي تسبقها والأصوات التي تليها ودراسة الظواهر التي تؤثر فيها كالنبر والتنغيم.[3]

والحق أنّ الوجهة التي صار مصطلح الفونولوجيا يعبّرُ عنها في درسه يرجع الفضل في بيانها ووضع أسسها العملية للساني الروسي تروبتسكوي (ت 1938 م) أحد أقطاب مدرسة براغ اللغوية. لقد حدد هذا العالم مهمة الفونولوجيا ببحث العناصر الصوتية ضمن مجموعة العلاقات التي يفرضها نظام اللغة المدروسة وصولا إلى بيان الوظيفة التي تؤديها العناصر مجتمعة وهكذا تحول الدرس من الجزئيات المعزولة إلى النظام والبنية ثم يمكن بحث الجزئيات من خلال علاقاتها المختلفة.[4]

والقول بأنّ علم وظائف الأصوات علم حديث النشأة ليس صحيحا فمعظم الدراسات الصوتية القديمة في جوهرها دراسات فونولوجية؛ فكثير من مباحث هذا العلم عُرف عند العرب قديما ودرسوه في مؤلفاتهم ضمن مواد نحوية أو لغوية أو في كتب التجويد مثل: الإدغام والإعلال والإبدال والقلب وغيرها من الموضوعات. فقولهم مثلا عن النون والراء إنهما لا تجتمعان في صدر كلمة عربية وملاحظاتهم الكثيرة لما يستحسن من تراكيب الحروف وما يستقبح كل هذا وغيره ليس إلا من لبّ المباحث الفونولوجية فالقول بأنّ علم وظائف الأصوات

---

[1] ـ علم الأصوات العربية، ص92

[2] ـ مبادئ اللسانيات: ص 139 .

[3] ـ المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : ص 215 .

[4] ـ مبادئ اللسانيات: ص 139 - 140 .

حديث النشأة لا يقصد منه أنه خلق حديثا من العدم بل المقصود أنّ جمع هذه المباحث النابعة من وجهة نظر لغوية إلى الأصوات تحت اسم واحد هو الحديث أما المباحث نفسها فهي قديمة عند العرب.[1]

2 . الكتابة الفونولوجية

إنّ ما يُنشده الألسني قبل كل شيء هو أن يُمكَّن من وسيلة لتمثيل الأصوات المقطعة تمثيلا تنتفي معه كل شبهة ويرتفع كل لبس، والواقع أنهم قد اقترحوا أنظمة خطية عديدة.

فما هي المبادئ التي ينبغي أن تتوفر في كتابة فنولوجية حقيقية؟ ينبغي أن يكون القصد منها تمثيل كل عنصر من السلسلة المنطوقة بعلامة واحدة. إلا أنهم لا يتقيدون دوما بهذا الشرط من ذلك أنّ بعض علماء الفونولوجيا من الإنجليز يمثلون بعض الأصوات بعلامات تتركب من حرفين بل وحتى من ثلاثة أحرف، وذلك لانشغالهم بالتبويب بدل اهتمامهم بالتحليل، وفضلا عن ذلك فإنه ينبغي أن نُميز تمييزا دقيقا صارما بين الأصوات الانفجارية والأصوات الانحباسية.

فهل ثمة ما يعلل وجوب تعويض طريقة الرسم العادية بألفبائية فونولوجية؟ لا يمكننا أن نتعرض هاهنا لهذه المسألة المفيدة إلا تعرضا خاطفا والرأي عندنا أن يبقى استعمال الكتابة الفونولوجية مقصورا على الألسنيين وحدهم وذلك لأسباب منها:

أولا: صعوبة حمل الإنجليز والألمان والفرنسيين وغيرهم على تبني نظام خطي ذي شكل واحد.

ثانيا: إنّ وضع ألفبائية يمكن تطبيقها على جميع اللغات من شأنه أن يجعلها تكتض بالعلامات التمييزية الزائدة على الحرف بقطع النظر عن الصورة المفجعة التي قد تحصل لنا عند قراءة صفحة فيها نص دُوّن على ذلك النحو. فمن البديهي أنّ مثل هذه الكتابة لشدة حرصنا فيها على الدقة ستعمي ما كانت تقصد إلى إيضاحه، وستشوش على القارىء أمره. وقد لا نجد فيها من الفوائد ما يكفي لتلافي هذه النقائص. فإنّ رسم الأصوات رسما فونولوجيا دقيقا ليس بالأمر المرغوب فيه كثيرا اللهم إلا في الميدان العلمي البحث.

وثمة مسألة أخرى هي مسألة القراءة فنحننقرأ بطريقتين اثنتين. فنحن إذ نقرأ الكلمة الجديدة أو التي نجهلها نتهجّاها حرفا حرفا. أما الكلمات المأنوسة والجاري بها الاستعمال فإنّ بصرنا يحيط بها في طرفة عين أي بصرف النظر عن الحروف المكونة لها؛ ذلك أنّ صورة الكلمة قد اكتسبت في نظرنا قيمة الشكل الإيديوغرافي.

[1] ـ دراسات في فقه اللغة : ص 123 .

وفي هذه الحالة يمكن أن يكون لمطالبة بعضهم باتخاذ الطريقة التقليدية في الكتابة ما يبررها لأنه من المفيد التمييز بين tant و temps وبين حرف العطف et وفعل الكينونة في صورتيه est وait وكذلك بين الأداة du واسم المفعول dÛ وبين المفرد في il devait والجمع في ils devaient وهلم جرا.

وغاية ما نأمله هو أن تتخلص الكتابة مما يرد فيها من صور غريبة أبعد ما تكون عن المنطق ولئن كان اتخاذ ألفبائية فونولوجية ما في ميدان اللغات قد يسدي بعض الخدمات فإنه لا ينبغي بحال أن نعمم استعماله.[1]

أهمية الفونولوجيا

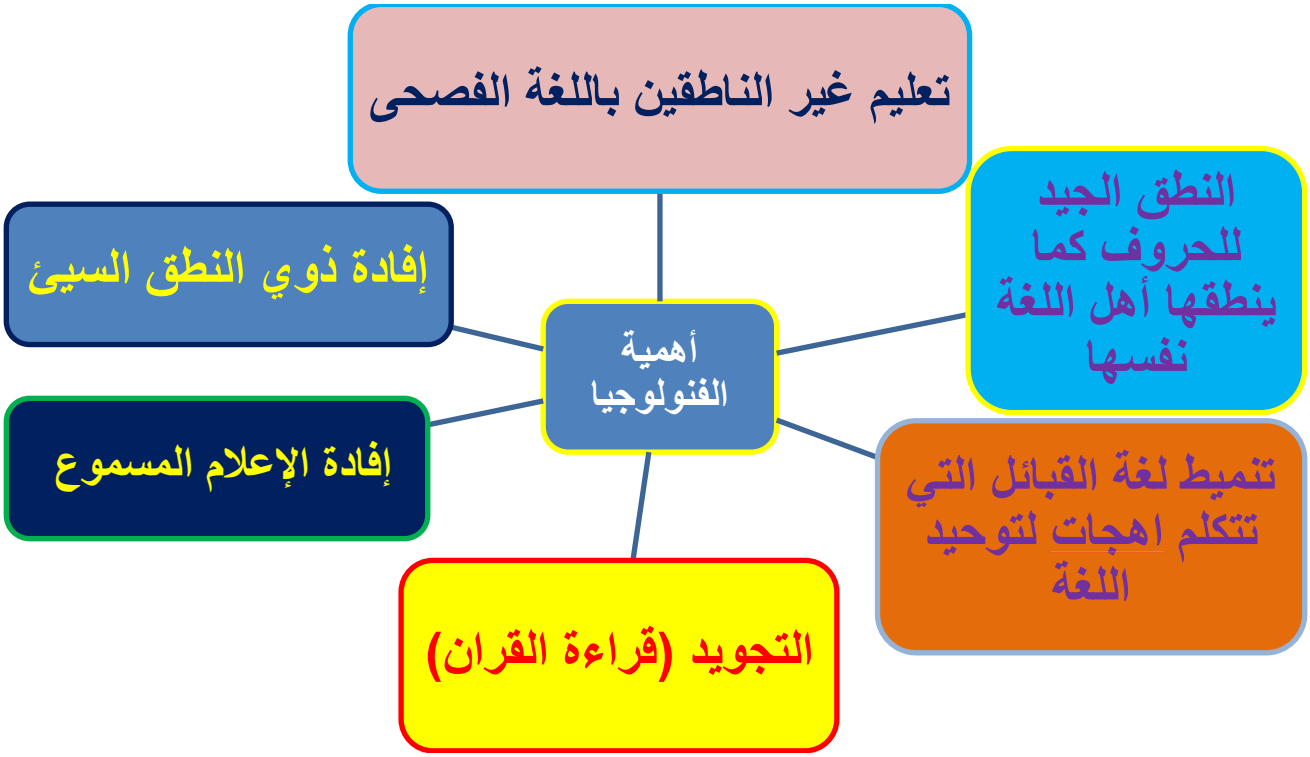

[1] - دروس في الألسنية العامة: فرديناند دي سوسير، تعريب: صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، دط، 1985م، ص 63 - 64

رئيس المجلس العلمي

المحاضرة رقم (02):الصوتيات في التراث ـ الجزء 1 ـ

تمهيد:

للعرب قدم راسخة وجهود فائقة في منظومة البحث اللغوي بكاملها لذلك لم يكن شاذا ولا غريبا أو يورثنا هؤلاء الأئمة تراثا لغويا ضخما يحمل تفكيرا لغويا ناضجا " لم يزل بعض جوانبه تضارع بل تفوق ما يقابلها من وجوه النظر في الدرس اللغوي الحديث "[1]

ومن هذا التراث العلمي الزاخر نلمس قيمة ما طلع علينا به هؤلاء القوم من دراسات صوتية ناضجة هي اليوم محلّ إعجاب وتقدير أئمة اللغة في الغرب يقول برجستراسر (Bergstrasser) " لم يسبق الغربيين في البحث الصوتي إلا قومان من أقوام الشرق وهما الهنود والعرب "[2] و يقول فيرث (Firth) " إنّ علم الأصوات نما وشبّ في خدمة لغتين مقدستين هما السنسكريتية والعربية " [3]

إنّ دراسة العرب لأصوات لغتهم دراسة أصيلة ليست منقولة في منهجها أو طريق التفكير فيها عن غيرهم من الأمم والقول بأنها ترجع إلى أعمال الهنود أو اليونان قول تعوزه الأدلة العلمية التي تستطيع أن تؤكّد هذا الزعم أو تنفيه على أنّ النظر الدقيق في جملة ما طلع علينا به علماء العربية في مجال الأصوات اللغوية يحملنا على الجزم بأنّ هؤلاء العلماء كانوا يصدرون عن عقليتهم الخاصة وثقافتهم العربية.[4] يقول إبراهيم أنيس:" لقد كان للقدماء من علماء العربية بحوث في الأصوات اللغوية شهد المحدثون إنها جليلة القدر بالنسبة إلى عصورهم وقد أرادوا بها خدمة اللغة العربية والنطق العربي ولا سيما في الترتيل القرآني. ولقُرب هؤلاء العلماء من عصور النهضة العربية واتصالهم بفصحاء العرب كانوا مرهفي الحس دقيقي الملاحظة فوصفوا لنا الصوت العربي وصفا أثار دهشة المستشرقين وإعجابهم" [5] وقول إبراهيم أنيس هذا يحملنا على البحث عن دوافع الدرس الصوتي عند العرب.

1 . دوافع الدرس الصوتي عند العرب

كي ينشأ درس من الدروس لابدّ أن تتوفر له دواعٍ معينة، ولابدّ أن تكون هذه الدعاوي متصلة بالظروف العامة لهذه النشأة ونعني بالظروف العامة البيئة الثقافية والاجتماعية والجغرافية وغيرها مما يهيئ لقيام هذا الدرس أو ذاك فإذا وجد هذا الجو الممهّد لولادة الدراسة الجديدة وظهرت فيه الدوافع الخاصة إلى هذه

---

[1] ـ المصطلحات الصوتية عند النحاة واللغويين العرب : المهدي بوروبة ، رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، حلب ، 1409هـ ، 1989 م ، ص 117 .

[2] ـ التطور النحوي للغة العربية : برجستراسر ، أخرجه و صححه و علق عليه : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، ط 3 ، 1417هـ ، 1997 م ، ص 11 .

[3] ـ اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين : نادية رمضان النجار ، مراجعة و تقديم : عبده الراجحي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الإسكندرية ، دط ، دت ، ص 37 .

[4] ـ التفكير اللغوي بين القديم والحديث : كمال بشر ، دار غريب للطباعة و النشر ، القاهرة ، دط ، 2005 م ، ص 381 - 382 .

[5] ـ الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 4 ، 1971 م ، ص 5 .

الدراسة تمّت عملية الولادة على أيدي المعنيين بهذا الجانب من المعرفة، ومن الطبيعي أن تكون تلك الدراسة في بداية أمرها قليلة المادة بعيدة عن العمق ثم تأخذ بالنمو شيئا فشيئا حتى تستوي علما مُتكاملا مستقلا له أصول وفروع.[1] وهذا ينطبق إلى حدّ ما على الدرس الصوتي عند العرب، فقد توفرت له دوافع انبثقت من طبيعة الظروف التي مرّ بها المجتمع العربي الإسلامي منذ القرن الأول حيث يُعتبرُ اللحن أهمّ الدوافع التي شدّت انتباه العلماء وأجبرتهم على التفكير فيما من شأنه أن يصون السليقة العربية، وقد كان ظهوره مرتبطا بالانقلاب الذي أحدثه الإسلام في كيان المجتمع العربي وما نتج عن ذلك من اختلاط الأمم.[2]

فلقد كانت العرب قديما تتكلم على سجيتها يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) " إنّ العرب نطقت على سجيّتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله وإن لم يُنقل ذلك عنها " [3] ولكن اختلاط العرب بالشعوب الأخرى والفتوحات الإسلامية والحروب كلّها عوامل أدّت إلى تسرّب الفساد واللحن [*] إلى لغة كثير من العرب وفي هذا الصدد يقول ابن الأثير (ت 637هـ) : " كان اللسان العربي صحيحا محروسا لا يتداخله الخلل ، ولا يتطرق إليه الزلل إلى أن فتحت الأمصار وخالط العرب غير جنسهم فاختلطت الفرق وامتزجت الألسن "[4]

واستمرّ استفحال اللحن إلى أن وصل إلى قراءة القرآن الكريم فاتجه العلماء إلى التأليف فوقفوا وقفات محمودة عند الأصوات وأحكامها ونُطقها في التلاوة واختلاف القراءات وهنا يظهر عمل أبي الأسود الدئلي (ت 69 هـ) بشكل جليّ فلقد كان عملا خطيرا أحاط لفظ القرآن الكريم بسياج يمنع اللحن فيه.[5]

فعمله يُعدّ مدخلا للدراسة الصوتية فيُروى أنه سمع قارئا يقرأ ﴿إِنَّ اللهَ بَرِيءٌ منَ المشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ . سورة التوبة الآية 3 . بالكسر فأحسّ أنّ من أسباب الخطأ في قراءة القرآن الكريم . بعد فساد السليقة وشيوع اللحن . عدم وجود تلك الرموز الدالة على الحركات[6] فقام بمحاولة لتسجيل النطق السليم لكتاب الله عز وجل فأتى بكاتب وقال له:" إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه وإذا رأيتني أضمّه فانقط نقطة بين يدي الحرف وإن رأيتني أكسره فاجعل النقطة تحت الحرف وإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فاجعل النقطة نقطتين" [7]

---

[1] ـ الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث :محمد حسين آل ياسين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1400هـ ، 1980 م ص 29

[2] ـ المصطلحات الصوتية عند النحاة و اللغويين العرب : ص 1 .

[3] ـ الإيضاح في علل النحو : أبي القاسم الزجاجي ، تحقيق : مازن المبارك ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1399هـ ، 1979 م ، ص 66 .

[*] ـ إنّ البوادر الأولى للحن كانت في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم فقد روي أنه عليه الصلاة و السلام سمع رجلا يلحن في كلامه فقال : " أرشدوا أخاكم فقد ضل " ينظر : الخصائص 1 / 395 - 396 .

[4] ـ النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ، أشرف عليه و قدم له : علي بن الحسن بن علي بن عبد الحميد ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 1421هـ ، ص 10 .

[5] ـ أبو الأسود الدئلي ونشأة النحو العربي : فتحي عبد الفتاح الدجني ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط 1 ، 1974 م ، ص 191 .

[6] ـ علم الصوتيات : عبد العزيز أحمد علام و عبد الله ربيع محمود ، مكتبة الرشد ، السعودية ، دط ، 1430هـ ، 2009 م ، ص 74 .

[7] ـ ينظر : أبو الأسود الدئلي و نشأة النحو العربي ، ص 187 .

بالإضافة إلى دافع اللحن كانت هناك دوافع أخرى مهّدت لظهور الدرس الصوتي نذكر منها الاختلافات الصوتية بين القراء فقد كان منبعها في البداية اللهجات العربية وما تميزت به من فروق صوتية إذ أباح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبناء القبائل أن يقرأوا القرآن بلهجاتهم وكان عليه السلام " يتلو كلماته بلهجات مختلفة تيسيرا على أهل تلك القبائل "[1] ويردّ كلّ تساؤل من الصحابة في اختلاف القراءة بقوله:" إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا بما شئتم "[2]

ولم يكن عليه السلام يقصدُ بالسبعة عددا محددا وإنما رمى إلى كثرة الحروف واللهجات التي نزل بها تسهيلا على العرب أن ينطقوا من كلماته بلهجاتهم ما لا يمكنهم أن ينطقوه بلغة قريش ولهجتها الخاصة. [3]

وكانت تعرية المصحف من النقط سببا آخر في ظهور اختلافات صوتية قال ابن مجاهد:" اختلف الناس في القراءة كما اختلفوا في الأحكام "[4]

إنّ كثرة الاختلافات الصوتية وتنوّعها كانت حافزا قويّا لتناول أصوات العربية بالبحث والدراسة قصد معرفة حقيقة هذا التباين الصوتي بين القراء ومن ثمّ تفسيره وهذا ما تمّ بالفعل على أيدي النحاة أولا ثم القراء ثانيا

ومن دوافع البحث الصوتي عند العرب كذلك إدراك العلماء أهمية هذا الدرس بالنسبة إلى علوم اللغة كل حسب تخصصه وهنا ظهرت جهود العلماء بشكل جليّ في دراسة أصوات العربية.

2 . جهود و اتّجاهات في الدرس الصوتي

لعلّه من المفيد أن نذكر أنّ العرب لم يُعالجوا الأصوات وحدها إنما كانت معالجتهم لها مع قضايا لغوية أخرى وهذه المعالجة أخذت اتجاهات متعددة فهي كالتالي:

أ . أصحاب المعاجم

هم من أقدم من تحدّث عن الصوتيات من العرب والناظر في معجم العين ـ وهو أول معجم في اللغة العربية ـ للخليل بن أحمد الفراهيدي يجدُ أنه بُني على أساس صوتي وصُدّر بمقدمة صوتية تُعدُّ أوّل دراسة صوتية منظمة وصلت إلينا في تاريخ الفكر اللغوي عند العرب[5] تنمّ عن حسٍ لغويّ دقيق يحمل بواكير معلومات صوتية لم يدركها العلم فيما خلا العربية من اللغات إلا بعد قرون عدة من عصر الخليل.

ويُقرّ المستشرق برجستراسر باحتلال الخليل قصب السبق في الدراسات الصوتية يقول:" وأول من وضع أصول هذا العلم من العرب الخليل بن أحمد المتوفى سنة 177هـ أو سنة 180هـ وقد كان علم الأصوات

---

[1] ـ كتاب السبعة في القراءات ـ مقدمة المحقق ـ ابن مجاهد ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، دط ، دت ، ص 5 .

[2] ـ جامع البيان عن تأويل القرآن : الطبري محمد بن جرير ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، و أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، دط ، دت، 1 / 250 .

[3] ـ كتاب السبعة في القراءات ـ مقدمة المحقق ـ ص 6 .

[4] ـ نفسه : ص 45 .

[5] ـ ينظر: أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين ، محمد أحمد قدور ، دار الفكر ، دمشق ، ط 2 ، 1424هـ ، 2003 م ، ص 8 .

في بدايته جزءا من أجزاء النحو ثم استعاره أهل الأداء والمقرئون وزادوا فيه تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم "[1]

لقد أراد الخليل أن يقوم عمله على أساس صوتي كما قام عمل أبي الأسود الدئلي فأخذ يلاحظ تحركات أعضاء النطق حتى تحصّل لديه ترتيب آخر للحروف غير الترتيب الذي خلّفه نصر بن عاصم الليثي (ت 89هـ) وهو الترتيب الصوتي، وأبان الليث بن المظفر عن الطريقة التي اتبعها الخليل واهتدى بها إلى هذا الترتيب الذي أقام عليه عمله وبنى عليه معجمه بما نصّه "[2]وإنما كان ذَواقُه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف (يعني همزة الوصل) ثم يظهر الحرف نحو : أبْ . أتْ . أحْ . أعْ . أغْ ..."[3]

إن الخليل هو أول من وضع الصوت اللغوي موضع تطبيق في دراسته اللغوية بل هو من جعل الصوت اللغوي أساس اللغة المعجمي. لقد حصر الخليل الحروف الهجائية في مجموعة أصلية كبيرة لا تزيد عن تسعٍ وعشرين حرفا تشتق منها مجموعة فرعية (حلقية و لهوية وشجرية وأسلية) تنتمي إلى مدارج وأحياز موضعية مختلفة في الجهاز النطقي رُتّبت على أساس صوتي بدءا بالأدخل في الحلق وانتهاء بالأقرب إلى فتحة الفم وهي كالتالي : " ع . ح . هـ . خ . غ . ق . ك . ج . ش . ض . ص . س . ز . ط . د . ت . ظ . ذ . ث . ر ل . ن . ف . ب . م . و . ا . ي . ء "[4]

أما عن سبب ابتداء الخليل معجمه بالعين فيذكر ابن كيسان* أنه سمع من يذكر عن الخليل قوله: "لم أبدأ بالهمزة ؛ لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف ؛ لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء؛ لأنها مهموسة خفية لا صوت لها ؛ فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف" [5]

فالخليل " لم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أول (أ . ب . ت . ث) وهو الألف لأن الألف حرف معتل فلمّا فاته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني وهو الباء إلا بعد حجة واستقصاء النظر فدبّر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها فوجد مخرج الكلام كله من الحلق فصيّر أولاها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق" [6]

---

[1] ـ التطور النحوي للغة العربية : ص 11 .

[2] ـ علم الأصوات اللغوية ـ ظواهر علم الأصوات في القرآن الكريم ـ أحمد عبد التواب الفيومي ، المكتبة الأزهرية للتراث ، الجزيرة للنشر ، الأزهر ، دط ، 2009 م ، ص 10 .

[3] ـ كتاب العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1424هـ ، 2003 م ، 1 / ، 2003 م، 1/ 34

[4] ـ العين 1 /34 .

* ـ هو محمد بن أحمد نحوي أخذ عن المبرد وثعلب توفي سنة 299 هـ .

[5] ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين السيوطي ، شرحه وضبطه وعنون موضوعاته : محمد أحمد جاد المولى بك و محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، دط ، 1406هـ ، 1986 م ، 1 /90 .

[6] ـ العين 1 / 34 .

كما لاحظ الخليل أنّ الألف والواو والياء تمثل مجموعة مستقلة عن باقي الأصوات الصحاح وأنّ لها خصائصها وسماتها الخاصة فهو ينعتها بالهوائية أو الجوفية ،[1] ووجد أنّ الرمز (أ) ذا دلالة مزدوجة فهو يدل على الصوت الاحتباسي الحنجري كما يدل على المد الألفي الأمر الذي قد يُوقع في اللبس فكان أن ابتكر أو بعبارة أخرى حدد دلالة الهمز، ووضع رمزا للصوت الاحتباسي الحنجري عبارة عن رأس عين صغيرة(ء) ولا يخفى ما في اختبار هذا الرمز بالذات من إحساس بالعلاقة بين صوت العين وصوت الهمزة المتقاربين مخرجا كما لاحظ أنّ الصوت قد يتكرر بعينه ويمتزج الأول بالثاني في النطق ومن ثمّ وضع رمزا للصوت المدغم في غيره فكان أنْ وضع ما أسماه بالشدة .[2]

وبالإضافة إلى هذا درس الخليل وظيفة الصوت عندما يسبقه صوت آخر أو يتبعه صوت ما فبحث فيما يأتلف من الأصوات وما لا يأتلف.

والمتأمل في كتاب (العين) يلحظ أنّ الخليل لم يوظف مصطلح (صوت) واستعمل بدلا عنه مصطلح (الحرف) وذلك أن مفردة صوت لم تكن من مصطلح الخليل ولا من مصطلح العلم اللغوي في العربية فلربما كانت مفردة (حرف) تعني في مصطلح الخليل ما تعنيه كلمة (صوت) في عصرنا الحاضر.[3]

وصنعَ علماء المعاجم صنيع الخليل في ترتيب معاجمهم حيث اعتمدوا ترتيبها بحسب مخارج الحروف كما فعل أبو علي القالي (ت 356ﻫ) في البارع في اللغة والأزهري (ت 370ﻫ) في تهذيب اللغة والصاحب بن عباد (ت 385ﻫ) في المحيط في اللغة وابن سيده الأندلسي (ت 458ﻫ) في المحكم والمحيط الأعظم في اللغة وهذا دليل على أنّ صناعة المعاجم من أسباب الاهتمام بدراسة أصوات اللغة العربية.

ب . النحاة واللغويون

ورّث الخليل عمله وفكره لتلاميذه من بعده وكان أشهرهم سيبويه (ت 180 ﻫ) الذي أفاد من أستاذه خير إفادة فحفظ معارفه وعمّقها وأضاف إليها وأودع كل ذلك مؤلفه الخالد (الكتاب) فصاغ جلّ القضايا الصوتية المتعلقة بالحروف عددا وأصولا وفروعا ومخارج و صفات قد صاغها مدخلا لدراسة الإدغام يقول في ذلك:" وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام و ما يجوز فيه وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه وما تبدله استثقالا كما تدغم، وما لا تخفيه وهو بزنة المتحرك "[4]

---

[1] ـ العين 1 / 41 .

[2] ـ علم الأصوات اللغوية ـ ظواهر علم الأصوات في القرآن الكريم ـ ص 10 و ينظر : علم الصوتيات ، ص 75 ـ 76 .

[3] ـ المدخل إلى الصوتيات تاريخيا ـ جهود متعاقبة عبر العصور من الفرعونية إلى العصر الحديث ـ عمار ساسي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، لبنان ، ط 1 ، 2014 م ، ص 92 .

[4] ـ الكتاب : أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، دت ، 4 / 436 .

لقد حصر سيبويه حروف العربية في تسعٍ و عشرين حرفا ورتبها حسب مخارجها بدءا بالحلق وانتهاء بالخيشوم مستفيدا من صنيع أستاذه الخليل فجاء ترتيبه على النحو التالي: (ء . ا . هـ . ع . ح . غ . خ . ك . ق . ض . ج . ش . ي . ل . ر . ن . ط . د . ت . ص . ز . س . ظ . ذ . ث . ف . ب . م . و)[1]

كما لم يغفل سيبويه صفات الأصوات فتحدث عن مجهورها ومهموسها وميّز بين الصفتين بدقة، فالمجهور عنده"حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت "[2] والمهموس " حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه " [4]

وفي هذا الصدد يقول عبد الصبور شاهين:" وقد ظلّت محاولة سيبويه تفسير المجهور والمهموس من الأصوات قانونا سار عليه جميع من جاء بعده من النحاة والقراء إلى أن جاءت بحوث المحدثين فصدقت كثيرا مما قاله في هذا الباب"[3]

كما تحدث سيبويه عن ظواهر صوتية مختلفة كأحكام الهمز والإمالة والإعلال والإبدال . وبالتالي يمكننا القول أنّ سيبويه وضع قواعد علم الأصوات لا لفترة معينة بل يكاد يكون ذلك نهائيا فما كان على من جاء بعده من العلماء إلاّ متّبعين أثره نذكر على سبيل المثال لا الحصر: المبرد (ت 285هـ) في كتابه المقتضب [4]وابن السراج(ت 316هـ) في كتابه الأصول في النحو [5]والزجاجي (ت 340هـ) في كتابه الجمل [6]وابن جني (ت 392هـ) الذي يعدّ بحقّ صاحب الفضل الأول في جمع التراث الصوتي وشرحه وتوضيحه . فلقد أفرد كتابا مستقلا في علم الأصوات في العربية هو (سر صناعة الإعراب) وهو أول مؤلّف صوتي استعمل فيه صاحبه مصطلح (علم الأصوات) يقول:" ...علم الأصوات والحروف له تعلّق ومشاركة للموسيقا لما فيه من صنعة الأصوات والنغم " [7]

لقد عرض ابن جني لحروف العربية ومخارجها وصفاتها وما يعرض لها من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام وغيرها من الظواهر الصوتية هذا الصنيع الذي قام به ابن جني لم يصنعه أحد قبله ولا بعده يقول:" وما علمت أنّ أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا أشبعه هذا الإشباع ..."[8]

---

[1] ـ الكتاب: 4 / 431 .
[2] ـ نفسه : 4 / 434 .
[3] ـ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي : أبو عمرو بن العلاء ، تأليف : عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 1 ، 1408هـ ، 1987 م ، ص 205 .
[4] ـ المقتضب : أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، مطابع الأهرام ، مصر ، 1415هـ ، 1994 م ، 1 / 328 .
[5] ـ الأصول في النحو : أبي بكر محمد بن سهل بن السراج ، تحقيق : عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 3 ، 1417هـ ، 1996 م، 3/ 399
[6] ـ كتاب الجمل في النحو : أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، حققه و قدم له : علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، ط 1 ، 1404هـ، 1984 م ص 409 .
[7] ـ سر صناعة الإعراب : أبي الفتح عثمان بن جني ، دراسة و تحقيق : حسن هنداوي ، دط ، دت ، 1 / 9 .
[8] ـ نفسه : 1 / 56 .

ابن جني رتب حروف العربية التسعة والعشرين على منوال ترتيب سيبويه[1] وذكر مخارجها وصفاتها مؤكدا على ضرورة معرفة ذلك باعتبارهما . أي المخارج والصفات . أساس معرفة الإدغام والإبدال لأنّ شرط الإدغام أن يتماثل فيه الحرفان وأصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقاربت منها وتدانت مخارجه.[2]

ولم يهمل ابن جني أمر الحركات فقال:" واعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات وهي الفتحة والكسرة والضمة . فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو"[3]

كما بين ابن جني ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف وأشار إلى أنّ الحروف كلما تباعدت في التأليف كانت أحسن وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قبُحَ اجتماعهما.[4]

إنّ ابن جني خطا بالدرس الصوتي خطوة كبيرة ولم تقتصر جهوده الصوتية على ما ورد في سر صناعة الإعراب بل تعدّت إلى مُؤلّف آخر هو الخصائص الذي تضمّن مادة صوتية غنية.

ج . المؤلفون في إعجاز القرآن وعلوم البلاغة

لقد أدلوا بدلوهم وزوّدونا بمعلومات صوتية ذات قيمة ومعظم ما شغلهم من مباحث الأصوات يتعلق بتنافر الأصوات وتآلفها واستتبع هذا بالضرورة حديثا عن مخارج الحروف وهل للقرب أو البعد المخرجي دخل في التنافر أو التآلف، وخير من أغنى الدرس الصوتي في هذا المجال الرماني (ت 386 هـ) في رسالته (النكت في إعجاز القرآن) يقول:" التلاؤم نقيض التنافر والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف والتأليف على ثلاثة أوجه: متنافر ومتلائم في الطبقة الوسطى ومتلائم في الطبقة العليا وهو القرآن الكريم كله"[5]

ويذكر الرماني أنّ مخارج الحروف مختلفة فمنها ما هو من أقصى الحلق ومنها ما هو من أدنى الفم ومنها ما هو في الوسائط بين ذلك ويوضح أنّ الفائدة من التلاؤم هي حسن الكلام في السمع يقول:" فالتلاؤم في التعديل من غير بعد شديد أو قرب شديد وذلك يظهر بسهولة على اللسان وحسنه في الأسماع "[6]

ويعالج ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ) في كتابه (سر الفصاحة) مسألة التلاؤم والتنافر أيضا ولكنه يعتبر التنافر في التأليف بين الأصوات المتقاربة المخرج لا المتباعدة.[7]

---

[1] ـ سر صناعة الإعراب: 1 / 45 .
[2] ـ نفسه : 1 / 56 - 180 .
[3] ـ نفسه : 1 / 17 .
[4] ـ نفسه : 1/ 65 .
[5] ـ النكت في إعجاز القرآن لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، حققها و علق عليها : محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، ط 3 ، 1976 م ، ص 94 - 95 .
[6] ـ النكت في إعجاز القرآن لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : ص 96 .
[7] ـ سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1402هـ ن 1982 م ، ص 58 - 64 .

وضمّن أبو بكر الباقلاني (ت 403هـ) كتابه المشهور إعجاز القرآن كثيرا من المباحث الصوتية بقصد تحليل آيات القرآن وبيان أوجه إعجازها وأهمّ ما ذكره في هذا الخصوص يتعلق بفواتح السور وسر اختيار حروف معينة لها ومن ذلك قوله:" إنّ الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة وهو أربعة عشر حرفا .. وقد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور وكذلك نصف المجهورة على السواء لا زيادة ولا نقصان." [1]

ويذكر أنّ نصف حروف الحلق قد ورد في هذه الفواتح وكذلك النصف من الحروف التي ليست بحروف حلق وكذلك نصف الحروف الشديدة والمطبقة مذكورة في الفواتح.[2]

[1] - إعجاز القرآن : أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، دار المعارف ، مصر ، دط ، 1971 م ، ص 44 .
[2] - نفسه : ص 44 - 45 .

د . أصحاب الموسوعات الأدبية

لقد طالع الجاحظ (ت 255ه) ما كتبه الخليل وسيبويه فوجد أنّ جانبا من جوانب الدرس في هذا العلم لم ينل قسطا كافيا من البحث والدراسة فأراد أن يحمل على عاتقه معالجة ذلك الجانب ألا وهو مسألة أو قضية (تغير الأصوات) فسيبويه وإن بدأها بما كتبه تحت ما أسماه الحروف غير المستحسنة ولا كثيرة في لغة من تُرتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر[1] إلاّ أنّ الجاحظ عرض هذه القضية عرضا جديدا إذ قد عرضها في صورة حكايات وأخبار وطرائف لغوية مرتبطة بأصحابها وبمن وقعت منهم[2] كما أنه لم يُغفل مسألة أخرى ذات صلة وثيقة بهذه المسألة وهي مسألة العيوب اللسانية من لثغة ورتّة وغيرهما.[3]

كما أنه تحدّث عن أثر العادات اللغوية للشعوب في نطقهم بأصوات العربية فقال:" ويقال في لسانه لكنة إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول "[4]

كما أنه لم ينس جانب المقارنة في الدرس الصوتي فنراه ينقل عن الأصمعي (ت 214ه) قوله:" ليس للروم ضاد ولا للفرس ثاء ولا للسرياني ذال "[5]

وتحدّث الجاحظ أيضا عن مسألة اقتران الحروف وما يصح تجاوره من الأصوات وما لا يصح فيه ذلك.[6]

وكل هذا عرض له في كتابه البيان والتبيين على أنّ الناظر في كتابه الحيوان يجد كثيرا من المعلومات والأفكار الصوتية أيضا.

هـ . علماء الفلسفة والطب والموسيقى

على الرغم من تأخر الحقبة الزمنية التي يقع فيها الفلاسفة المسلمون إذا ما قيسوا مع غيرهم من دارسي الأصوات العربية إلا أنه لا يمكن لأحد من الدارسين أن ينكر التطور الصوتي الذي أحدثته المدرسة الفلسفية في دراسة الأصوات وعلى رأسها فيلسوف العرب الكندي (256ه) الذي كانت له عناية متميزة بالأصوات تبدّت في أكثر من مصنّف من ذلك (رسالة في استخراج المعمى) تكلم فيها عن عدد تردد أصوات العربية ودورانها في الكلام معتمدا على إحصاء صنعه بنفسه وذكر قانونا لغويا عاما يسري على كل

---

[1] ـ الكتاب 4 / 432 .
[2] ـ يراجع في ذلك : البيان التبيين 1 / 71 - 74 .
[3] ـ نفسه : 1 /12 - 13 - 34 - 35 - 36 - 71 .
[4] ـ نفسه : 1 / 39 - 40 .
[5] ـ نفسه : 1 / 65 .
[6] ـ نفسه : 1 / 69 .

اللغات وهو كون المصوتات أكثر الحروف ترددا[1] وله رسالة أخرى لها علاقة بالدرس الصوتي هي رسالة (اللثغة) تحدث فيها عن مصطلحات أعضاء النطق عند الإنسان وعن صلة النطق بالحرف، وعرّف اللثغة ووصف أصوات العربية وعرض للأصوات التي تصيبها اللثغة وأشار إلى عيوب النطق مع محاولة لمعالجة الألكن والأخن ويختم رسالته بذكره للوجوه الثلاثة للثغة،[2] وكشف في رسالته (أجزاء خبرية في الموسيقى) عن العلاقة بين الوزن الشعري والإيقاع النغمي.[3]

واعتنى الفارابي (ت 339هـ) بالدراسة الصوتية أيضا إذ انطوى كتابه (الموسيقى الكبير) على عدد كبير من القضايا الصوتية فقد تحدّث عن حدوث الصوت وانتقاله ودرجته بصورة شابهت ما قاله المحدثون اليوم،[4] وميّز بين الأصوات الصامتة والمصوتة وذكر أصناف هذه الأخيرة يقول:" والحروف منها مصوت ومنها غير مصوت والمصوتات منها قصيرة ومنها طويلة "[5]

ودرس الفارابي النبر والتنغيم بما يوافق معطيات الدرس الصوتي الحديث،[6] وأظهر قدرته على الإفادة من فكرة فكرة المقطع في دراسة أوزان الشعر، وحُسن تصرّفه بالمصطلح، وحقيقة فإنّ مصطلح المقطع يعود إليه فهو أول من ذكره.[7]

ولإخوان الصفا (القرن الرابع الهجري) جهود في مجال الدرس الصوتي إذ أولوا أهمية خاصة بالدراسة الصوتية الفيزيائية فتحدثوا عن حدوث الصوت واعتبروا القرع السبب الأساس في ذلك قالوا:" وكل هذه الأصوات إنما هو قرع يحدث في الهواء عن تصادم الأجرام "[8] وعدّوا مرحلة انتقال الصوت الواسطة بين إصداره وسماعه وإدراكه.[9]

وشهدت الدراسة الصوتية تطورا ملحوظا على يد ابن سينا (ت 428 هـ) الذي استعان بمعارف كثيرة وجال في علوم عديدة. لقد عالج في رسالته الفذة (أسباب حدوث الحروف) أصوات اللغة على نحو فريد

---

[1] ـ ينظر : رسالة في استخراج المعمى للكندي 1 / 236 ضمن كتاب علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب : دراسة و تحقيق لرسائل الكندي و ابن عدلان وابن الدريهم ، محمد مارياتي و يحيى مير علم و محمد حسان الطيان ، تقديم : شاكر الفحام ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1407هـ ، 1987 م .

[2] ـ ينظر : رسالة يعقوب الكندي في اللثغة ضمن منشورات مجلة مجمع اللغة العربية ، تحقيق : محمد حسان الطيان ، دمشق ، شوال ، 1405هـ ، 1985 م ص 521 - 532 .

[3] ـ ينظر: رسالة الكندي في أجزاء خبرية في الموسيقى ملحق بكتاب تاريخ الموسيقى الشرقية : سليم الحلو ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، دط ، 1961 م ، ص 261 - 262 .

[4] ـ كتاب الموسيقى الكبير : أبي نصر الفارابي ، تحقيق وشرح : غطاس عبد الملك خشبة ، مراجعة و تصدير : محمود أحمد الحفني ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة ، دط ، دت ، 1 / 52 و 2 / 212 - 214 - 216 - 1066 .

[5] ـ نفسه : 2 / 1072 .

[6] ـ نفسه : 2 / 1074 - 1075 - 1085 - 1120 - 1173 .

[7] ـ المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : ص 274 .

[8] ـ رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء : تقديم : عليوش عبود ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر ، دط ، 1992 م ، 3 / 303.

[9] ـ نفسه : 3 / 275 .

فحديثه أشبه بحديث علماء وظائف الأعضاء فلا نكادُ نلمحُ فيها تأثره كغيره بكتاب سيبويه فله مصطلحاته وله وصفه الأصيل لكل صوت.[1]

لقد تحدث ابن سينا في رسالته حديث العالم الفيزيائي حين أشار إلى كنه الصوت وأسبابه،[2]وحديث الطبيب المشرح حين وصف الحنجرة واللسان،[3] وحديث اللغوي المجوّد حين عرض لوصف مخارج الحروف وصفاتها،[4]وحديث عالم الأصوات المقارن حين تصدى لوصف أصوات ليست من العربية،[5]وحديث فقيه اللسان وأسرار الطبيعة حين ربط بين أصوات الطبيعة وأصوات الحروف.[6]

وتناول ابن سينا المقطع بالمفهوم الصوتي الحديث منطلقا من تتبعه لأجزاء الحدث الكلامي التي يضبطها في سبعة وفي أعلى درجات السلم يذكر المقطع ويُفرّعه إلى ممدود ومقصور يقول" وأما اللفظ والمقالة فإنّ أجزاءه سبعة: المقطع الممدود والمقصور كما علمت ويؤلف من الحروف الصامتة وهي التي لا تقبل المدّ البتة مثل الطاء والباء والتي لها نصف صوت وهي التي تقبل المد مثل السين والراء والمصوتات الممدودة التي يسميها مدّات والمقصورة وهي الحركات وحروف العلة. " [7]

وتعرّض للنبر في سياقات ثلاثة من آثاره: الشفاء الفن التاسع، ورسالة أسباب حدوث الحروف والشفاء (الخطابة)،[8]وعالج مسألة التنغيم بشكل مستفيض قارب معطيات الدرس الصوتي الحديث.[9]

د . علماء القراءات والتجويد

لقد اعتنى علماء القراءة والتجويد بالدراسة الصوتية اعتناء كبيرا وذلك لابتغائهم الدقة في تأدية كلمات القرآن الكريم قراءة وتدوينا مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ . سورة المزمل الآية 4 .

يعتبر أبو عبيدة القاسم بن سلام (ت 224هـ) أول من ألف كتابا في القراءات أما أول من ألف في القراءات السبعة المشهورة فهو أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت 324 هـ).[10]

---

[1] ـ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : ص 17 - 18 .

[2] ـ رسالة أسباب حدوث الحروف : الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن سينا ، تحقيق : محمد حسان الطيان و يحيى مير علم ، مراجعة و تقديم : شاكر الفحام ، أحمد راتب النفاخ ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ط 1 ، 1403 هـ ، 1983 م ، ص 56 - 103 .

[3] ـ نفسه : ص 64 - 71 - 108 - 112 .

[4] ـ نفسه : ص 72 - 85 - 114 - 126 .

[5] ـ نفسه : ص 80- 92 - 127 - 132 .

[6] ـ نفسه : ص 93 - 97 - 133 - 137 .

[7] ـ الشفاء ـ المنطق ـ الشعر ـ الفن التاسع، ابن سينا، تحقيق : عبد الرحمن بدوي ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، دط ، 1386هـ ، 1966 م ، ص 65

[8] ـ يُراجع في هذا الخصوص: الشفاء ـ المنطق ـ الشعر ـ الفن التاسع ، ص 67 و رسالة أسباب حدوث الحروف : 59 - 105 و التفكير اللساني في الحضارة العربية: عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ط 2 ، 1986 م ، ص 265 - 266 .

[9] ـ رسالة أسباب حدوث الحروف : ص 59 و الشفاء ـ الرياضيات ـ جوامع علم الموسيقى ، ابن سينا ، تحقيق : زكريا يوسف ، تصدير ومراجعة : أحمد فؤاد الأهواني ومحمود أحمد الحفني ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1376هـ ، 1956 م ، ص 10 ونظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد: ألفت محمد كمال عبد العزيز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دط ، 1984 م ، ص 268 والتفكير اللساني في الحضارة العربية : ص 266 .

[10] ـ المدخل إلى الصوتيات تاريخيا ـ جهود متعاقبة عبر العصور من الفرعونية إلى العصر الحديث ـ ص 98 .

وعن فنّ التجويد نقول إنّ أول من استخدم هذه الكلمة في معنى قريب من معناها هو ابن مسعود الصحابي الذي كان ينصح المسلمين بقوله:" جوّدوا القرآن وزيّنوه بأحسن الأصوات "[1]

أمّا أول من صنّف في التجويد فموسى بن عبيد الله ابن خاقان (ت 325هـ) صاحب القصيدة الخاقانية في التجويد[2] لتتوالى بعدها التآليف منها:(التنبيه على اللحن الجلي و الخفي) لأبي الحسن علي بن بن جعفر السعيدي المقرئ (ت 410هـ) ويضم حديثا عن مخارج الحروف والصور النطقية التي ينبغي على القارئ أن يتحفظ عند النطق بها خشية الوقوع في اللحن[3] ومما ينحو نحوها كتاب (بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء) لابن البناء (ت 471 هـ) فقد عالج مواضيع تتعلق بعيوب الأصوات واللفظ. [4]

ويعتبر كتاب الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لمكي بن طالب القيسي (ت 437هـ) أهم مصنف في علم التجويد إذ جمع بين دفتيه حديثا عن الحروف والحركات التي يتألف منها الكلام وبيانا لصفات الحروف وألقابها وعللها ومخارجها وبيانا لأحكام النون الساكنة والتنوين لتتوالى بعده كتب التجويد تترى تقفو أثره كالتيسير في القراءات السبع والتحديد في الإتقان والتجويد لأبي سعيد الداني (ت 444هـ) والنشر في القراءات العشر لابن الجزري(ت 833هـ).

[1] ـ البحث اللغوي عند العرب ـ مع دراسة لقضية التأثير والتأثر ـ أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 6 ، 1988 م ، ص 95 .
[2] ـ أبحاث في علم التجويد: غانم قدوري الحمد ، دار عمار للنشر و التوزيع ، عمان ، ط 1 ، 1422هـ ، 2002 م ، ص 12 .
[3] ـ نفسه : ص 49 .
[4] ـ ينظر: بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء: أبي علي الحسن بن أحمد بن البناء، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 1421هـ، 2001 م، ص 37 - 56 .

المحاضرة رقم (04): المدرسة الفونولوجية الحديثة ـ الجزء 1 ـ

تمهيد:

لقد تعددت وجهات النظر بالنسبة لمفهوم الفونولوجي ولسوف أقتصر على المدارس التي هي بمثابة الأعلام البارزة وهي كالتالي:

أ . دي سوسير (De Saussure) . ت 1913 م .

الفونيتيك عند دي سوسير علم تاريخي؛ أي يبحث في تطور الأصوات وهو فرع أساسي من علم اللغة فهو جزء من اللسانيات[1] أما الفونولوجيافتهتم بدراسة الأصوات من الناحية العضوية أو ميكانيكية النطق وهو نظام من الدرس مساعد لعلم اللغة ومقصور قصرا تاما على الكلام.[2]

إنّ وظيفة الفونولوجيا عند سوسير هي النظر في الأصوات بوصفها أنواعا أو أنماطا عامة. وهذه الأنماط نفسها كثيرا ما يطلق عليها الفونيمات (= الوحدات الصوتية). والفونيمات عنده لها جانبان: جانب عضوي يطابق حركات أعضاء النطق، والثاني نفسي أو ما سماه بالانطباع السمعي. ومن الخطأ أن يقصر رجل الفونولوجيا عمله على الجانب العضوي دون الجانب النفسي.[3]

وعمل الفونولوجيا موجه نحو تحديد هذه الوحدات ووصفها وتصنيفها إلى مجموعات. غير أنّ تحديدها وتعرفها في الكلام إنما يتم بوساطة الانطباع النفسي، فإنه ليس من السهل أن نحدد أين يبدأ الصوت وأين ينتهي في سلسلة الكلام، بريق الإشارة إلى الناحية العضوية، ولو استعنا في ذلك بتصوير حركات أعضاء النطق تصويرا فوتوغرافيا. ولكن الانطباع السمعي للأصوات يخبرنا بذلك ويدلنا عليه في يسر.

أما وصف هذه الأصوات فليس يتم إلا بالإشارة إلى العمل النطقي نفسه، وهنا لابد من العودة إلى جهاز النطق ودراسة ميكانيكيته.[4]

وهكذا نرى أنّ دي سوسير يدخل في نطاق الفنولوجيا **دراسات عضوية فسيولوجية وأخرى نفسية** غير أنه عند وصف الأصوات يقصر عمله على الناحية العضوية، وهو في هذه الحالة ينظر إلى الأصوات منعزلة وبوصفها أنماطا أو وحدات نطقية ذات سمات مميزة.

وهذا الجزء الأخير من النظر السوسيري يقرب الفونولوجيا عنده من علم الأصوات العام، أو قل إنه يكاد يلتقي مع الفونولوجيا عند غيره من الدارسين، ويصبح الفرق بينه وبين غيره مقصورا على جهتين اثنتين هما:

---

[1] ـ مبادئ اللسانيات : ص 70.
[2] ـ علم الأصوات : ص 84 .
[3] ـ علم الأصوات: ص 85
[4] ـ نفسه: ص 86

ربطه الفنولوجيا بالكلام المنطوق دون اللغة، وإخراجه من علم اللغة وجعله ثانويا بالنسبة لهذا العلم، وهو في هذين الأمرين يقف موقفا مخالفا لغيره من علماء اللغة.

على أنّ دراسة فاحصة للجزء المخصص للففونولوجيا في كتابه الشهير(محاضرات في علم اللغة العام) تشعرنا بأنّ سوسير يجد صعوبة بالغة في محاولة ربط الفونولوجيا بما سماه (الكلام) بمعنى الأحداث المنطوقة دون اللغة بمعنى القواعد والقوانين العامة المتفق عليها من أهل البيئة الخاصة. وكثيرا ما نراه يعرّج على مسائل صوتية لا تمكن نسبتها إلى الكلام المنطوق؛ وإنما هي من خواص اللغة أو صميم الدراسة الصوتية فيها. من ذلك مثلا إشارته المتكررة إلى الأصوات بوصفها أنماطا أو أنواعا من الوحدات أو ما سماها species وليس يغيب عن ذهن أحد أنّ الأنماط الصوتية لا تقع في النطق الفعلي وإنما هي وحدات تستخلص من هذا الكلام المنطوق، وتنتقل بعد هذا التجريد إلى النظام الصوتي للغة لا الكلام. وهذه العملية ذاتها ـ عملية التجريد والتصنيف للأصوات ـ قد نسبها سوسير نفسه إلى الفونولوجيا وعدّها واحدة من وظائف رجال هذا العلم. حيث يصرح في أحد السياقات بقوله:" إذا ما انتهى رجل الفونولوجيا من تحليل عدد كاف من سلاسل كلامية منطوقة في لغات مختلفة عليه بعد ذلك أن يتعرف العناصر التي تتكون منها كل لغة أو يصنف هذه العناصر"[1]

وهذا التصريح يؤكد أنّ سوسير قد توسع في مدلول الفونولوجيا ـ من الناحية التطبيقية على الأقل ـ ولم يلتزم التحديد النظري الضيق الذي وصفه أول الأمر والذي يفيد قصر الفونولوجيا على دراسة أصوات الكلام المنطوق من ناحيتيها العضوية والفسيولوجية. ويفيد هذا التصريح كذلك أنّ الفونولوجيا عنده ـ من الناحية العملية ـ تطابق علم الأصوات العام بالمعنى التقليدي أو بالمعنى الذي يأخذ به أولئك الذين لا يفرقون بين الفونيتيك والفونولوجيا تفريقا واسعا، بل إنه في كثير من مظاهره ومواضع الدرس التي عالجها سوسير في إطاره ينحو نحو الفونولوجيا بالمفهوم الذي أخذ به دارسون آخرون.[2]

ومما يؤكد هذا القرب بين فونولوجيا سوسير وفونولوجيا غيره مناقشته **للمقطع** ومشكلاته في إطار الفونولوجيا وتأكيده بأنّ هذه الدراسة لها مكان في هذا العلم. ومن المعروف أنّ دراسة المقاطع هي من صميم الفونولوجيا لا الفونيتيك.

وليس موضوع التوسع في مدلول الفونولوجيا عند سوسير يقف عند هذا الحد. إنّ علم الفونولوجيا الذي عرضنا له حتى الآن يسميه هذا العالم **فونولوجيا الوحدات أو الأنماط species الصوتية**، عندما تؤخذ منعزلة، وحين يتم تعرفها بطريق الانطباع النفسي، ويجري وصفها بالإشارة إلى ميكانيكية النطق.

---

[1] ـ محاضرات في علم اللغة العام: دي سوسير، ص 40

[2] ـ علم الأصوات: ص 87 ـ 88

ولكن هذه الوحدات أو الأنماط لها حالات أخرى تظهر في سلسلة الكلام المتصل، وهي حالات تستدعي النظر، وتستحق اهتمام الدارسين. ومن ثمّ يجب ـ في رأيه ـ أن يكون هناك فرع آخر للفونولوجيا يقوم بهذا العمل الجديد. هذا الفرع يسميه سوسير (فونولوجيا الكلام المتصل) . combinatory phonology فالوحدات الصوتية أو الفونيمات تأخذ في الكلام المتصل صورا مختلفة بحسب السياق الصوتي الذي تقع فيه. وهذه الصور أو الظواهر ترتبط ارتباطا تاما بما يجاور هذه الفونيمات في الكلام وتعتمد عليه.[1]

فإذا كان علم الفونولوجيا التقليدي (أي من وجهة نظره السابقة) يقوم بوضع القوانين العامة لأصوات اللغة، فإنّ فونولوجيا الكلام المتصل عليه أن يحدد العلاقات بين الفونيمات في الكلام المنطوق، وأن يعين الإمكانيات التي تعرض لكل فونيم، مشيرا إلى مدى اعتماد الفونيمات بعضها على بعض في سلسلة الكلام. وهذه الدراسة ـ في نظره ـ في غاية الأهمية بوصفها خطوة أساسية في تحديد المقاطع وبيان تركيبها الصوتي.[2]

هذه الدراسة الفونولوجية الأخيرة تطابق ما يسمى (فونيتيك الكلام المتصل) عند أولئك الذين لا يفرقون تفريقا حاسما بين الفونيتيك والفونولوجيا، أو تدخل في مجال ما يسميه فيرث (بأنماط التطريز الصوتي أو الظواهر التطريزية) كما أنّ بعض نقاط هذه الدراسة تنتظمها البحوث الخاصة بما يسميه الأمريكان بالفونيمات الثانوية أو الفونيمات غير التركيبية أو فونيمات ما فوق التركيب.

وهذه الظواهر التطريزية وتلك الفونيمات الثانوية تنتمي في عمومها إلى الفونولوجيا بالمعنى السائد الآن، ما يطلق عليه في أكثر الأوساط الأمريكية ذلك الاسم الجديد نسبيا phonemics : علم الفونيمات.

ب ـ مدرسة براغ (تربتسكوى ـ Trubetszkoy ـ / جكبسون ـ Jakobson ـ/ كارسيفسكي ـ Karcevski ـ)

هذه المدرسة التشيكية لها فضل كبير في البحث اللغوي الحديث وقد استعملت الفونيتيك عكس استعمال سوسير إذ رأت أنه ليس علما لسانيا بل هو مساعد للسانيات؛[3] فهو علم أصوات الكلام وظيفته دراسة الأصوات المنطوقة بالفعل في الكلام فينظر في حركات أعضاء النطق وأوضاعها، كما يلاحظ الذبذبات الهوائية الناتجة مباشرة عن هذه الحركات والأوضاع.[4] أما الفونولوجيا فلا يهتم بالأصوات بهذا الوصف؛وإنما عليه أن يدرس الفونيمات وهي العناصر المكونة للمعنى اللغوي وهي عناصر غير مادية إنها عناصر عقلية ويكون تحقيقها المادي بوساطة الصوت الفعلي أوالنطق.[5]

---

[1] ـ علم الأصوات: ص 88
[2] ـ محاضرات في علم اللغة العام: ص 32 ـ 57 وينظر: علم الأصوات: ص 89
[3] ـ مبادئ اللسانيات : ص 70.
[4] ـ علم الأصوات: ص 76
[5] ـ نفسه: ص 76 .

فالفونولوجيا هي علم أصوات اللغة والفونيتيك هو علم أصوات الكلام وبالتالي هو أقرب إلى علوم الطبيعة منه إلى علوم اللغة؛ إنه عندهم ليس فرعا من علم اللغة إنه شيء ثانوي ليس هدفا في ذاته، وإن كان وسيلة من وسائل دراسة الأصوات على مستوى الفونولوجيا، ولكن هذا الأخير جزء لا يتجزأ من علم اللغة.[1]

فمدرسة براغ استعملت الفونولوجيا عكس ما استعمله سوسير إذ جعلته فرعا لسانيا يعالج الظواهر الصوتية من ناحية وظيفتها اللغوية.[2]

إنّ جهود هذه المدرسة وبالأخص جهود تروبتسكوى في الفونولوجيا هي بمثابة النواة لكل ما أتى بعدها من أعمال في الدراسات الصوتية، والفونولوجيا الحديثة بكل اتجاهاتها إنما ترجع إلى أصولها الأولى التي أرست قواعدها مدرسة براغ اللغوية.

[1] ـ علم الأصوات: ص 76

[2] ـ مبادئ اللسانيات: ص 71 .

المحاضرة رقم (05): المدرسة الفونولوجية الحديثة ـ الجزء 2 ـ

تمهيد:

منذ ظهور كتاب (مبادئ الفونولوجيا) لتروبتسكوى (1939)، عرفت النظريات الفونولوجية تحولات عديدة وتطورات مختلفة. ويمكن تقسيم تاريخ هذه النظريات إجمالا إلى ثلاثة مراحل يؤطر كل مرحلة منها عمل أو أعمال نظرية رائدة. فقد تأسست الفونولوجيا الكلاسيكية على قاعدة كتاب تروبتزكوي. وبلور تشومسكي وهالي في كتابهما (النسق الصوتي للغة الإنجليزية) . 1968 . الفونولوجيا التوليدية المعيار. أما الفونولوجيا المستقلة القطع والفونولوجيا العروضية فقد عرض مبادئهما النظرية والمنهجية كولد سميث في كتابه (الفونولوجيا المستقلة القطع) . 1976 بالنسبة للنظرية الأولى، وليبرمان وبرنيس في مقالهما الشهير (حول النبر والإيقاع اللساني) . 1977 . بالنسبة للنظرية الثانية.[1]

ويمكن أن نحدد بإيجاز سمات كل اتجاه من الاتجاهات الفونولوجية المذكورة أعلاه على النحو التالي:

1 . الفونولوجيا الكلاسيكية

لقد انشغل الفونولوجيون البنيويون الأوربيون والأمريكيون بتحديد الوحدات الصوتية للغة ووصفها وتصنيفها وتوزيعها منطلقين في ذلك من مبدأ الوظيفة التي تؤديها والقيمة المسندة إليها. فكان أن ميزوا نوعين من الأصوات: أصوات تقع في نفس السياق وتعمل على تغيير المعنى، وهي **الفونيمات**، وأصوات تقع أو لا تقع في نفس السياق ولا تغير المعنى، وتسمى متغيرات صوتية (**تنوعات أو ألفونات**) أي تحقيقات سياقية أو غير سياقية لنفس الفونيم.[2]

ويتوقف تحديد الفونيمات في الفونولوجيا الكلاسيكية على اختبارات كلاسيكية نُجملها في المعايير الأربعة الأساسية التالية:[3]

. **التعارض**: وذلك حينما يتبادل صوتان موقعيهما، فتترتب عن ذلك وحدة معجمية مختلفة فيعتبر الصوتان فونيمين مختلفين وبذلك نحصل على ما يسمى بالأزواج الدنيا: أي كلمات تتماثل في كل المواقع إلا في موقع واحد من المتوالية.

. **التوزيع التكاملي**: إذا كان صوتان يردان دائما في سياقات يقصي فيهما أحدهما الآخر فهما متغيران صوتيان لنفس الفونيم ويردان في سياقات تكاملية.

---

[1] ـ الفونولوجيا التوليدية الحديثة: هاري فان درهالست، نورفال سميث، ترجمة: مبارك حنون وأحمد العلوي، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، ط 1، 1992م، ص 5

[2] ـ نفسه: ص 5 ـ 6

[3] ـ نفسه: ص 6 ـ 7

. **المشابهة الصوتية**: لا يمكن اعتبار صوتين متغيرين صوتيين لنفس الفونيم إلا إذا كانا متشابهين صوتيا أي يتقاسمان ملامح مميزة.

. **التنوع الحر**: إذا تبادل صوتان موقعيهما في نفس السياق دون المساس بهوية الوحدة المعجمية المعينة فإنّ هذين الصوتين عبارة عن تنوعين حُرين لنفس الفونيم.

إنّ القول بالفونيم والمتغير الصوتي يُفضي بالضرورة إلى الاستنتاج بأنّ هناك مستويين لتمثيل الأصوات: مستوى **الفونيمات أو المستوى الفونيمي**، ومستوى **المتغيرات الصوتية أو المستوى الصوتي**.

إلا أنّ الإطار النظري المعتمد في الأدبيات البنيوية يميز في حقيقة الأمر ثلاثة مستويات من التمثيل: المستوى الصرفي . الفونيمي، والمستوى الفونيمي، والمستوى الصوتي. أما العلاقة بين المستوى الفونيمي والمستوى الصوتي فتختزلها أغلب الكتابات البنيوية إلى مجرد تقديم لوائح للمتغيرات الصوتية إزاء كل فونيم، أو في تقديم أوصاف غير رمزية لتحقيقات الفونيمات. وفيما يتصل بالقواعد الفونولوجية فالتحويل شديد البساطة ويتم إنجازه دفعة واحدة، وهذا يعني أنّ المستوى الفونيمي برمته يُنقل إلى المستوى الصوتي بواسطة قواعد **تطبق تطبيقا متزامنا**. وعلاوة على ذلك فالتعارض عند البنيويين تعارض يتم على مستوى السطح لأنّ الأمر لا يتعلق إلا بتحقيقات سطحية، أو لنقل بأنّ التناسب بين الأشكال العميقة والتحقيقات السطحية هو تناسب عنصر بعنصر.

لقد ارتأت الفونولوجيا التقليدية أنّ الوحدات الصغرى للبنية الفونولوجية هي **الفونيمات**، وإن اتضح أنّ الفونيمات بوصفها وحدات صغرى غير قابلة للتفكيك لا تبدو كافية فهي تتفكك إلى ملامح مميزة ثنائية عند **ياكبسون** وغيره. ومع ذلك **فالوحدة الفونولوجية الأولية** في العديد من الأدبيات الكلاسيكية هي **الفونيم**. وحينما يُحال على الملامح فإنه لا يحال عليها بوصفها وحدات مميزة وإنما يحال عليها بوصفها خاصيات صوتية تسمح بالإحالة الملائمة على طوائف الفونيمات، ونذكر في هذا السياق أن الفونولوجيا الكلاسيكية لا تعترف إلا بنوع واحد من الملامح لا بنوعين.

2 . الفونولوجيا التوليدية المعيار

لقد كانت الفونولوجيا التوليدية الأولى كما تبلورت في كتابات تشومسكي وهالي (1968)، تشكل رد فعل ضد الفونولوجيا الكلاسيكية في محاولة منها لتكون الفونولوجيا الحديثة افتراضية . استنباطية.

وهي تعدّ جزءا من نظرية للغة مسماة **بالنحو التوليدي** الذي بلوره تشومسكي وزملاؤه. فهي إذن جزء من مشروع **النحو الكلي** الذي يفترض وجود **كليات لسانية** وراء التنوع الواقعي للغات الطبيعية وتعلم اللغة وتعقيد الأنحاء التوليدية. ولا يشكل الوصف الفونولوجي سوى مكون من مكونات النحو المنبثق عن

النظرية التحويلية التوليدية (**وهو المكون الفونولوجي**). وتتلخص وظيفة المكون الفونولوجي في تأويل خرْج المكون التركيبي تأويلا صوتيا. وهذا يعني أن القواعد الفونولوجية وحدها تلحقُ بالتعقيف السطحي للكلمات المبنية على شكل صُريفات، وتثري هذا التعقيف **الحدود** المختلفة المقترحة في كتاب تشومسكي وهالي (1968) من مثل حد الصُّريفة وحد الكلمة وحد المركب الفونولوجي.

تسعى الفونولوجيا التوليدية المعيار إلى توفير نظام من القواعد يولد أشكالا صوتية انطلاقا من **أشكال عميقة ومجردة**. ومؤدى ذلك أنها ترفض المستوى الفونيمي، كما تبلور في الفونولوجيا الكلاسيكية؛ لأنه ليس المستوى الصحيح. فهو ليس أكثر تجريدا لأنه لا يزال أكثر ارتباطا بالخلفية الصوتية. وعلى العكس من ذلك تُقرُّ الفونولوجيا التوليدية المعيار بوجود تمثيلين: **تمثيل فونولوجي وتمثيل صوتي**، يعتبر الأول منهما **أكثر تجريدا** بما أنّ القطع الصوتية في هذا المستوى لم تحدد بعد. في حين يُعتبر المستوى الثاني، بالنظر إلى المستوى الأول، **ملموسا**، ويعتبر بالنظر إلى الإنجاز الصوتي مجردا لأنه يُغفل العديد من الخاصيات والملامح. وتُشتق الأشكال الصوتية السطحية من التمثيلات العميقة المجردة(ذلك أنّ لكل صريفة شكلا مجردا ثابتا وقارا) وذلك بفضل قواعد مرتبة ترتيبا خطيا.[1]

يتكون التمثيل الفونولوجي من القطع والحدود **المرتبة ترتيبا خطيا**. وتُمثل القطع بوصفها مكونة من ملامح فونولوجية قائمة على معايير نطقية على خلاف الملامح المميزة التي وضعها ياكوبسون وفانت وهالي (1952) القائمة أساسا على معايير فيزيائية صوتية (أكوستيكية). ويجدر بالذكر أن الملامح عند تشومسكي وهالي، نوعان: **ملامح فونولوجية ثنائية القيمة، وملامح صوتية غير ثنائية**.

إن العلاقة بين التمثيلين علاقة مركبة، إذ يتحول التمثيل الفونولوجي إلى تمثيل صوتي بواسطة قواعد فونولوجية تتسم في تطبيقها بميزتين اثنتين هما: أولا، تطبق القواعد الفونولوجية **وفق ترتيب معين** تمليه البنيات الفونولوجية، ثانيا، **تتفاعل** هذه القواعد فيما بينها تفاعلا مركبا، فقد **تغذي** قاعدة قاعدة أخرى، وقد **تعوقها** عن التطبيق...الخ[2]

3 . الفونولوجيا المستقلة القطع والفونولوجيا العروضية

تمثل الفونولوجيا التوليدية الحديثة، التي تتفرع إلى عدة نماذج منها الفونولوجيا المستقلة القطع والفونولوجيا العروضية، تنوعا من الأطر النظرية المتنافسة التي تسمى ب(غير الخطية) في تعارض مع النموذج الذي بلوره تشومسكي وهالي. فالتمثيل الفونولوجي الحديث تمثيل متعدد الأبعاد والطبقات، وتمثيل هرمي يشمل

[1] ـ الفونولوجيا التوليدية الحديثة: ص 7
[2] ـ نفسه: ص8

وحدات فونولوجية أخرى مثل المقطع والتفعيلة. وإذا كانت النظريتان اللتان يعرضهما هذا الكتاب قد وُضعتا في أول أمرهما لمعالجة قضية النغم بالنسبة للنظرية الأولى، والنبر بالنسبة للنظرية الثانية فقد امتدتا وتوسعتا لمعالجة العديد من الظواهر الفونولوجية.[1]

ويكفينا القولهاهنا أن نقول ما قاله كولد سميث (Cauld Smith) . 1990 . بأنّ العمل الفونولوجي الراهن قد قدم نموذجا يشبه كثيرا نموذج الكيمياء على خلاف نماذج الفونولوجيا الكلاسيكية التوليدية التي تشبه إلى حد كبير برنامج الحاسوب.

ج . المدرسة الإنجليزية (فيرث . Firth.)

إنّ الفونولوجيا عند أعلام هذه المدرسة تطلق على الدراسات التاريخية للأصوات (على العكس تماما من فعل سوسير) على حين كان الفونيتيك ذا مدلول واسع يشمل البحث الصوتي في عمومه من الناحية الوصفية بدون تفريق بين جانبي الأصوات (المادي وغير المادي) فلم يكن هناك نظام مخصص لدراسة الأصوات من ناحيتها العضوية والفسيولوجية ونظام آخر مستقل يبحث في هذه الأصوات من حيث وظائفها وقيمها في التركيب الصوتي للغة.[2]

لقد حرص فيرث على تأكيد قوة الاتصال بين الفرعين، واعتماد أحدهما على الآخر، فيقرر أنه على الرغم من أنّ هذين الفرعين يمثلان مستويين مختلفين من الدراسة، فمن الواجب أن تسير أعمالهما في مواءمة واتساق تامين بحيث تأتي نتائج البحث فيهما مؤتلفة متكاملة.

ويشير إلى هذا المعنى نفسه تلميذه روبنس (Robins) الذي يصرح أكثر من مرة بأن الفونيتيك والفونولوجيا كليهما يهتمان بموضوع واحد من الدراسة، هو الأصوات اللغوية وإن كان هذا الاهتمام موجها إلى الأصوات من زوايا مختلفة. فالفونيتيك يتسم بالعموم فينظر في الأصوات دون تركيز على وظائفها وقيمها في اللغة المعينة على حين تتصف الفونولوجيا بالخصوصية فتعنى بالكشف عن وظائف هذه الأصوات في اللغة أو اللغات الواقعة تحت النظر والدراسة. إنّ الفونولوجيا لا تعدو أن تكون موجهة نحو وظائف الأصوات وإخضاعها للتنظيم، ومن ثمّ تكثر تسمية الفونولوجيا بعلم الفونيتيك الوظيفي.

وينص فيرث على أنّ الفونيتيك فرع متخصص من فروع علم اللغة وليس يشمل في دائرته ما يسمى بالفونولوجيا فقط، بل إنه قد تفرع هو نفسه إلى عدة فروع متخصصة كذلك.[3]

ويُقرّ الإنجليز حقيقتين هما:[4]

---

[1] ـ الفونولوجيا التوليدية الحديثة: ص8

[2] ـ علم الأصوات: ص 91 .

[3] ـ نفسه: ص 93 - 94

[4] ـ نفسه: ص 95

. لا يمكن الفصل بين الفونيتك والفونولوجيا بحال من الأحوال، وكلاهما جزء لا يتجزأ من علم اللغة.
. الفونولوجيا في حالة التفريق بينه وبين الفونيتيك لا يعدو أن يكون منهجا لتظيم مادة هذا الأخير أو تقعيدها، أو هو الفونيتيك نفسه أصبح وظيفيا وعمليا.

ولقد تطورت المدرسة الإنجليزية . وبخاصة في السنوات الأخيرة . الدراسات الفونولوجية بحيث أصبحت ذات شقين أو فرعين متصلين غير منفصلين. أحد هذين الفرعين هو **فونولوجيا الوحدات** ووظيفته البحث في الأصوات بوصفها أنماطا للأصواتunits أو classesوهي مادة التركيب الصوتي للغة معينة. وهذه الأنماط أو الوحدات هي مجموع الأصوات الصامتة consonants والحركات vowels، أو هي ما يطلق عليها **الفونيمات الأساسية** في مناهج الدرس اللغوي عند بعض المدارس الأخرى وبخاصة المدرسة الأمريكية.

أما الفرع الثاني فهو ما يسميه روبنس **فونولوجيا الظواهر التطريزية** أو **فونولوجيا التطريز الصوتي**. ولا ينظر هذا الفرع في تلك الظواهر الصوتية التي تنسب إلى النوع السابق من الوحدات حين تؤخذ مفردة أو منعزلة، وإنما في هذه الظواهر التي تنسب إلى سلسلة المنطوق كله والتي تمتد خلاله، سواء أكان هذا المنطوق جملة أو عبارة أو كلمة أو مجموعة من المقاطع. ومن أمثلة هذه الظواهر: ظاهرة **الطول والقصر في الأصوات، والنبر، وبداية المقاطع ونهاياتها، والفواصل الصوتية، والتنغيم**إلى غير ذلك من الظواهر الصوتية التي لا تدخل في التركيب الصوتي نفسه، وهي ذات العناصر التي يطلق عليها الأمريكان (الفونيمات الثانوية) أو (الفونيمات فوق التركيبية)[1]

د . المدرسة الأمريكية

لقد كان الأمريكيون يطلقون مصطلح الفونولوجيا على الدراسة التاريخية للأصوات مستخدمين الفونيتيك في ذلك النوع من الدراسة الصوتية العامة التي لم تكن تعنى بالتفريق الواضح بين جانبي الأصوات، والتي كانت تنتظم عددا غير قليل من مسائل الفونولوجيا بالمعنى الحديث متبعين ما كان يجري عليه الإنجليز في بداية اهتمامهم بدراسة الأصوات. وحين تقدّمت الدراسات الصوتية نسبيا أحسّ الأمريكان بضرورة تخصيص منهجين متميزين لدراسة الأصوات. فأطلقوا الفونيتيك على ذلك الفرع الذي يُعنى بالنظر في الجانب المادي للأصوات؛ ذلك الجانب الممثل في تلك الآثار السمعية الناتجة عن عمليات النطق ولكنهم بعكس التقليد السائد في إنجلترا لم يشاءوا أن يستعملوا المصطلح (فونولوجيا) لإطلاقه على دراسة الأصوات من جانبها الوظيفي اللغوي، وربما كان ذلك منهم لشعورهم بأنّ استعمال المصطلح فونولوجيا في هذا المعنى فيه صعوبة ظاهرة لارتباطه بمعنى قديم ثابت في أذهان الناس، وهو إطلاقه على الدراسات التاريخية

[1] ـ علم الأصوات: ص 95 ـ 96

للأصوات، ولهذا اختاروا اسما آخر هو (**الفونيم**) phoneme . **الوحدة الصوتية ذات العنصر المميز** . الذي أطلقوه على منهج من البحث متميز وظيفته النظر في أنماط الأصوات ووحداتها من حيث دورها وقيمتها في اللغة، وهذه الأنماط والوحدات ذاتها سموها (الفونيمات)[1]

يقرر بلومفيلد (Blomfild) أن الفونيتيك يدرس الأحداث النطقية من ناحيتها العضوية والفيزيائية ولكن بدون نظر إلى المعنى؛ فإذا ما نظرنا ما أخذنا المعنى في الحسبان وجب أن نتناول هذه الأصوات من زاوية أخرى، وأن نخصص لها أسلوبا آخر من الدراسة الصوتية. هذا الأسلوب قد فصله وشرحه تحت عنوان (الفونيم)[2]

ثم في مرحلة أخرى من البحث استعمل الأمريكيون مصطلح (**phonemics**) =**علم الوحدات الصوتية** بدلا منphoneme= الوحدة الصوتية. وفي هذا الاستعمال ما يشير إلى أنّ الدراسة قد خطت خطوات واسعة، وتعمقت مباحثها حتى صارت علما بكل خواصه ومميزاته.

ومن مظاهر تقدم هذه الدراسة وعمقها أنها تشعبت إلى شعبتين:

أولاهما: اختصت بالنظر فيما سموه الوحدات أو الفونيمات التركيبية Segnenal phonemes

والثانية: اهتمت بدراسة تلك الوحدات أو الفونيمات الأخرى التي أطلقوا عليها Suprasegmental phonemesأي الفونيمات غير التركيبية أو الفونيمات فوق التركيب. ومثال النوع الأول الأصوات الصامتة، والحركات بوصفها عناصر مكونة للتركيب الصوتي للغة، أما النوع الثاني فمثاله تلك الظواهر الصوتية التي تنتمي إلى التركيب كله وتمتد خلاله: كالنبر، والتنغيم، وما إلى ذلك من تلك الظواهر التي ليست جزءا من التركيب نفسه. وقد كانت فونيمات النوع الأول تسمى (الفونيمات الأساسية) Primary Phonemes وفونيمات النوع الثاني نسمى بالفونيمات الثانوية أو الهامشية Marginal Phonemes أو Secondary[3]

هـ. المدرسة التوليدية

جاء رجال الفونولوجيا التوليدية ووظفوا المصطلحين (الفونيتيك والفونولوجيا)، وإن بمفهوم يتمشى مع النظرية العامة في الدرس اللغوي المعروفة باسم (النحو التوليدي) المنسوبة إلى تشومسكي (Tchomasky)

وجاء توظيفهم للمصطلح الأول (الفونتيك) توظيفا أعم وأوسع وإن من الناحية النظرية، يقررون أن أية نظرية صوتية يمكن أن تتناول ثلاثة جوانب في الأقل هي:

. دراسة أية ضوضاء تصدر عن جهاز النطق عند الإنسان.

---

[1] ـ علم الأصوات: ص 98 ـ 99

[2] ـ نفسه: ص 100

[3] ـ نفسه: ص 103

. الاقتصار على دراسة تلك الأصوات التي لها وظائف وقيم لغوية في اللغات المختلفة.

. الاقتصار على دراسة تلك الأصوات التي لها وظائف وقيم لغوية في لغة معينة.

وفي رأيهم أنّ الدراسة في الجانب (2) تمثل الهدف المقبول والمعقول لتشكيل علم أصوات عالمي، والأخذ بهذا الجانب يخلص من الدراسة في الجانب(1) إذ إنّ الدراسة تنتظم أصواتا ليست لها أية قيمة لغوية وإن كانت ذات لمحات أو دلالات اجتماعية.[1]

هذا بالإضافة إلى أنّ الدراسة في هذا الجانب (2) تغطي ما تحتاجه الدراسة في الجانب (3) إذ إنّ دراسة أصوات اللغة المعينة يمكن أن تستمد حاجتها من هذا الرصيد العالمي.

وتأتي الفونولوجيا التوليدية لتشكيل نظامين، أو تقوم بتمثيل نظامين للأصوات: تمثيل صوتي نظامي، وتمثيل فونولوجي نظامي.

وبهذا النهج الآخذ بالدراسة في الجانب (2) نستطيع أن نتعرف وجوه الاتفاق والافتراق بين اللغات المختلفة في علم أصواتها وفي بنيتها الفونولوجية.

ومعنى هذا أنّ الفونولوجيا التوليدية تشغل نفسها بأمرين مقابلين للنظامين السابقين،تشغل نفسها أولا بتفسير العناصر أو الوحدات المشكلة للكلام تفسيرا صوتيا؛ وذلك بالنظر إلى البنية السطحية كما تسعى ثانيا إلى وصف المقدرة الطبيعية التي يمتلكها ابن اللغة ليفهم النظام الصوتي في لغته وليستخدمه استخداما صحيحا.

وهكذا نرى أنّ الفونولوجيا التوليدية (وهي أحد فرعي النحو التوليدي) تقوم بربط البنية العميقة للأصوات بالبنية السطحية المتمثلة في المنطوق الفعلي. وهي بذلك تمكننا من تشكيل نظام صوتي وآخر فونولوجي. الأول يمثل المنطوق بالفعل والثاني يمثل المخزون العقلي القادر على توليد أصوات هذا المنطوق. واعتماد هذين النظامين معا يشكل نظرية صوتية عالمية.[2]

وخلاصة القول الفونولوجيا التوليدية تعتمد الفونيتيك والفونولوجيا جناحين متصلين يشكلان معا النظرية الصوتية، وهي بذلك تتفق ظاهريا مع المدارس الأخرى التي تأخذ الجانبين في الحسبان عند أية دراسة صوتية.

وعلى الرغم من هذا الاتفاق الظاهري، فإنّ الفونولوجيا التوليدية تبدأ عملها من البنية العميقة إلى البنية السطحية. وهي في هذا الأمر تختلف اختلافا جذريا عن مسلك المدارس الآخذة بالجمع بين الفرعين. فهذه المدارس التي تنطلق في عملها من البنية السطحية(بمفهوم التوليديين) أي من الأحداث النطقية الفعلية

[1] ـ علم الأصوات: ص 108 - 109

[2] ـ نفسه: ص 109 - 110

وتحاول تجريدها لاستخلاص تلك الوحدات الصوتية ذات المعاني والقيم اللغوية. وهي تلك الوحدات التي تكون النظام الفونولوجي للغة معينة، ولا تحاول الدخول أو النظر فيما يسمى بالبنية العميقة إذ ليس من شأنها النظر في هذا الجانب العقلي.

الفونولوجيا التوليدية أريد بها أن تكون نظرية عالمية، لا يختص تطبيقها على لغة دون أخرى، في حين أن الفونولوجيا في مفهومها العام مقصور تطبيقها على اللغة المعينة؛ لأنّ لكل لغة نظامها الفونولوجي الخاص، وإن اتفقت اللغات أحيانا في بعض الأحداث المنطوقة الفعلية.[1]

يبدو من كلام التوليديين أنهم لا يقبلون فكرة (**الفونيم**) أو علم الفونيمات؛ وذلك لأنّ هذه الفكرة كما قدمها أصحابها ما زالت معتمدة في تفسيرها وتحليلها على الآثار الصوتية المنطوقة بالفعل، في حين أنّ الفونولوجيا التوليدية ذات سمة تجريدية عقلية تترجم العناصر العقلية إلى آثار منطوقة بطرق التوليد.

إنّ الفونولوجيا عند هؤلاء فهي مستوى خاص من البحث اللغوي، هو في الموقع الوسط بين الفونيتيك وعلم اللغة، أو هو بمثابة الواصلة أو الرابطة التي تربط بينهما، إنّ الفونولوجيا يقدم وسائل ربط المادة الصوتية بالبنية أو التركيب اللغوي؛ إذ هو الذي يقوم بوضع أصوات اللغة في أنماط ونظم تستغل في بناء التركيب اللغوي وعناصره.[2]

لقد استقر الرأي حاليا أنّ الفونولوجيا هي نظام البحث في الأصوات من حيث قيمتها ووظائفها في اللغة، لا يمكن تصوره منفصلا برهة واحدة عن الفونيتيك عند مراحل التطبيق والتحليل الفعلي للأصوات.

لهذا كله ليس من الخطأ أن ننظر إلى الفرعين على أنهما جانبان لشيء واحد وأن نشير إليهما معا باسم واحد هو (علم الأصوات). فالفونيتيك للدراسة الصوتية المحضة التي تتضمن النواحي النطقية والفيزيائية، والفونولوجيا للدراسة التي تعمد إلى وضع القوانين والقواعد العامة للأصوات، وإلى الكشف عن وظائف هذه الأصوات في اللغة المعينة.

[1] - علم الأصوات: ص 111
[2] - نفسه: ص 112 - 113

رئيس المجلس العلمي

المحاضرة رقم(06)المدرسة الوظيفية ـ التقطيع المزدوج ـ

تمهيد:

التقطيع المزدوج (La double articulation) يُظهر ميل الإنسان إلى التعبير عن أفكاره ورغباته الذاتية واهتماماته الشخصية التي تمثل تجربة في جوهرها يسعى لإيصالها للغير ويكون ذلك إما بصيحة فرح أو صرخة ألم، وإما بحركة دالة. وهذا السلوك لا يرقى إلى مستوى الإبلاغ اللغوي؛ لذلك تفكك التجربة الإنسانية التي تيسرت صياغتها في اللغة إلى سلسلة من الوحدات الدالة ثم إلى عدد من الوحدات الصوتية.

والتقطيع المزدوج يعتبر أساس نظرية أندري مارتيني (MartinetAndret) الذي يرى أنّ" اللسان البشري يختلف عن بقية الوسائل التبليغية، لكونه مزدوج اللغة؛ أي أنّ الأقوال اللسانية تتكون من مستويين مختلفين هما:[1]

أ ـ مستوى التقطيع الأولي: يقول مارتيني" فالتقطيع في اللغة هو ذلك الذي يقوم على أنّ كل ظاهرة من ظواهر البشرية تحلل إلى متوالية من الوحدات، لكل منها صورة صوتية ومعنى"[2]

فالتقطيع الأولي يتكون من الكلمات الدالة أي **المونيمات**(Monémes) مثل: أحضر الولد الكتاب: / **أحضر/ أل/ ولد/ أل/ كتاب**،[3]حيث في هذا المستوى نحصل على وحدات ذات مضمون معنوي (مدلول) وصوت ملفوظ (دال) وتسمى هذه الوحدات (مونيمات)، أو بعبارة أخرى تحليل اللسان البشري إلى وحدات لغوية دالة. ويميز أندري مارتيني الوحدات الدالة إلى المدونة المفتوحة والمدونة المغلقة.

ب ـ مستوى التقطيع الثانوي:وهو ينطلق من هذه النتيجة ليقوم بتحليل تلك الوحدات المستقلة ذات المحتوى الصوتي والدلالي إلى **الفونيمات**(Les Phonèmes) أي إلى أصغر الوحدات الصوتية المجردة من المعنى،[4]مثل: لفظة **كتاب** يتم تحليلها وذلك بتجزئتها إلى وحدات غير دالة تسمى الفونيمات وعددها خمسة هي: **ك/ـ/ت/ا/ب**. وهي ليست لها وظيفة في حد ذاتها.

إنّ لهذا المبدأ قيمة لسانية ذاك أنه يمنح اللغة القدرة على التعبير عن اللامتناهي من الأفكار والمعاني المجردة بواسطة هذا العدد المحصور من الفونيمات (أي الأصوات اللغوية / الحروف) وهذا ما يؤسس مفهوم الاقتصاد اللغوي في اللسانيات(L'économic Linguistique)[5]

---

[1] ـ محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، جامعة عنابة، 2006م، ص 111

[2] ـ مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، نور الهدى لوشن، دار الفتح للتجليد، الإسكندرية، 2008م، ص 363

[3] ـ محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة: شفيقة العلوي، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2004م، ص 19

[4] ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[5] ـ الألسنية علم اللغة الحديث: ميشال زكريا، ص 250

ويرى مارتيني أنّ مبدأ التقطيع المزدوج يعدّ سمة بارزة من شأنها أن تميز وحدات اللسان البشري (القطع الصوتية) عن أصوات الحيوان وعن سائر الأنظمة الإبلاغية الأخرى التي تعتمد على وحدات ذات دلالات محددة ونهائية وذلك أنه لا وجود لظاهرة من ظواهر اللغة إلا حينما يتم المرور من تجربة متجانسة غير محللة إلى تقليصها في صورة مجموعة من القطع الصوتية المحددة بحيث أنّ كلا من القطع يمكن أن يستعمل لتبليغ تجارب مختلفة أخرى.

ج . المبادئ الوظيفية للدراسات اللسانية: يحصرها فيما يلي

الصلات القائمة بين الوحدات اللسانية: يرتكز التركيب اللساني الوظيفي العلاقات بين المونيمات، وما ينتج عن ذلك من تأثير في طبيعة التراكيب وتتحدد وظيفة كل مونيم داخل جملة انطلاقا من هذه العلاقات:

. رتبة الوحدات اللسانية: إنّ دراسة علاقة المونيمات فيما بينها وحدها لا تكفي لتحديد وظيفتها، بل يجب معرفة واقعها وانتظامها داخل التركيب وفق ترتيب معين. فاختلاف الموقف يؤدي إلى اختلاف وظيفتها التركيبية.

. محتوى الوحدات اللسانية: يركز مارتنيه على المحتوى الدلالي للمونيم الذي يُكسبه دلالة خاصة ومستقلة عن غيره تجعله يؤدي وظيفة مميزة داخل التركيب.[1]

[1] ـ محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة: ص 117

المحاضرة رقم(07)نظرية الفونيم- الوحدة الصوتية الصغرى -

تمهيد:

الفونيم مصطلح حديث، يطلق على أصغر وحدة صوتية لها وظيفة في بناء الكلمة، وقد شهدت الاختلافات الكثيرة التي نشأت بصدد هذا المصطلح تعريفا واستعمالا على بقائه متصدرا أكثر القضايا اللغوية في العصر الحديث، حتى إنّ علم النطقيات يحبذ بعض علماء الغرب وضع اسم له هو (علم الفونيمات)[1]

ومصطلح فونيم Phonèmeمصطلح غربي، وقد يكون عالم اللغة السويسري فردناند دي سوسير (F.De.Saussure) هو الذي استعمله لأول مرة سنة 1873م، كما يستنتج من شرح معجم روبير (Robert) الفرنسي لهذا المصطلح. ويعدّ روبير أنّ الفونيم قد استخدم في علم الأصوات التقليدي لأول مرة سنة 1873م، بمعنى:

. عنصر صوتي في اللغة المنطوقة، ويقوم:

أ . على أساس عضوي؛ أي أنه يتكون بواسطة أعضاء النطق.

ب . وعلى أساس سمعي، وهو الصفة الموضوعية أو الشخصية للسمع.[2]

1 . بين الفون والفونيم:

أ . الفون: Phone هو المصطلح الذي يدل على الصوت المفرد؛ أي هو الصوت اللغوي البسيط الذي يمكن تسجيله بالآلات الحساسة في معامل علوم الأصوات.

وقد يستخدم مصطلح (Son) بالفرنسية للدلالة عليه، ولكن الPhone هو الأكثر شهرة، والأوسع انتشارا.

ب . الفونيم: Phonèmeهو مصطلح الوحدة الصوتية على مستوى التشكل أو التنظيم الأدائي.[3]

2 . تحديد الفونيم وتعريفه

بدأ سوسير معالجة قضية الفونيم عندما دعا إلى وجوب دراسة الجانب السمعي (الأكوستيكي) إلى جانب الجانب العضوي.

والذي دعا سوسير إلى ذلك عكوف كثير من علماء الأصوات (Phonologistes) على دراسة حدث التصويت؛ أي إنتاج الأصوات بواسطة أعضاء النطق (الحلق، والفم،...) وإعراضهم عن دراسة الجانب

---

[1] ـ أسس علم اللغة: ماريو باي، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر،عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1419هـ، 1998م، ص 48

[2] ـ علم وظائف الأصوات اللغوية ـ الفونولوجيا ـ عصام نور الدين، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992م، ص 62

[3] ـ نفسه: ص 61

السمعي، وهذا المنهج غير صحيح لأنّ التأثير الواقع على الأذن هو الأساس الطبيعي لكل نظرية، وهذا العنصر السمعي يوجد بصورة لا شعورية عندما نبدأ النظر في الوحدات الفونولوجية.

لأننا نعرف بواسطة الأذن ماذا يكون صوت (B) أو (T)مثلا، ولو سجلنا فيلما سينمائيا لجميع حركات الفم والحلق أثناء نطق سلسلة من الأصوات لما استطعنا الكشف عن الانقسامات في هذا التتابع من الحركات المنطوقة، فلا نعرف متى يبدأ صوت معين، ولا نعرف أين ينتهي الآخر لأنّ الحركات العضوية أثناء النطق متواصلة؛ لذلك كان الاعتماد على **السمع** من أجل معرفة (الوحدات الصوتية)، وتمييز بعضها من بعض لأننا ندرك مباشرة في سلسلة الكلام المسموع إن كان الصوت مازال ممثلا لصفاته أم لا.[1]

ولنوضح كلام سوسير بأمثلة عربية تقرّب كلامه وتوضحه، لننطق كلمة (فهم) تتكون في الكتابة العادية من ثلاثة رموز أو من ثلاثة فونيمات وهي: / **فَ**/، **هِ**/،/ **مَ** / وهذا ما يلاحظه كل من ينظر في حروف هذه الكلمة على الورق، والمجسدة للأصوات، ولكن علم الأصوات الأكوستيكي يقول: إنّ أصوات كلمة (فهم) عالم الأصوات الأكوستيكي يقول إنّ أصوات كلمة (فهم) ستة وليست ثلاثة فقط:

أولها صوت (الفاء) وهو صوت رخو، مهموس، مرقق، أسناني شفوي. وما دام احتكاك الهواء مستمر أثناء النطق بالفاء من بين الحاجز غير التام الذي يسمح بمرور الهواء من بين مكان الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا فإنّ صوت (الفاء) يظل في حالة تولد سمعي حتى إذا انتهى الاحتكاك فإننا نحكم بأنّ (الفاء) قد انتهت ليبدأ من بعدها صوت الفتحة وهكذا في الصوت الثالث (الهاء) وهو عبارة عن صوت رخو، مهموس، مرقق، إلا أنه حنجري المخرج حيث يمر الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين في الحنجرة محدثا صوتا احتكاكيا، وما دام الهواء مستمرا بالاحتكاك فإنّ صوت (الهاء) يبقى مستمرا حتى إذا انتهى الاحتكاك فإننا نحكم بانتهاء الصوت الثالث (الهاء) ليبدأ الصوت الرابع وهو صوت الكسرة، وما إن ينتهي نطق الكسرة حتى يبدأ نطق الصوت الخامس وهو (الميم)، والميم صوت متوسط، أنفي، شفوي مجهور، تنطبق الشفتان عند النطق به انطباقا تاما فيحبس الهواء حبسا تاما في الفم، ولكن ينخفض الحنك اللين (أي الحنك الأقصى) فيتمكن هواء الرئتين من المرور عن طريق الأنف بسبب ما يعتريه من ضغط، ويتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق بالميم وما إن ينتهي صوت الميم حتى يبدأ الصوت السادس وهو هنا (الفتحة) فإذا غمض علينا إدراك الحدود العضوية للصوت فإنّ الحدود السمعية يسهل التعرف إليها حتى مع عدم معرفتنا باللغة التي نسمعها.

[1] ـ علم وظائف الأصوات اللغوية ـ الفونولوجيا ـ ص 62 ـ 63

وبالتالي نصل إلى نتيجة مفادها أنّ تحديد الأصوات في السلسلة المنطوقة يعتمد على التأثير السمعي بينما يعتمد وصفها على الحدث النطقي . حسب سوسير . وسبب ذلك عدم قابلية الوحدات الصوتية في سلسلتها الخاصة للتحليل مما يوجب اللجوء إلى سلسلة حركات التصويت.

الفونيم عند سوسير هو" مجموع التأثيرات السمعية، والحركات النطقية للوحدات المسموعة، والوحدات المنطوقة كل منهما بشرط الآخر"[1]

والاختلافات الكثيرة جدا بصدد هذا المصطلح جاءت من النظرة الموحدة إلى جميع الأصوات في كل اللغات؛ ولذلك فقد جاءت تعريفاته غامضة ومتناقضة أيضا، مثل تعريف (تروبتسكوي) للفونيم بقوله: " الصورة العقلية للصوت"[2] وتعريف (دانيال جونز):" أسرة من الأصوات . في لغة معينة . متشابهة الخصائص . مستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة في نفس السياق الصوتي الذي يقع فيه الآخر"[3] وتعريف مدرسة (لننجراد) للفونيمات بأنها:" النماذج الصوتية التي لها قدرة على تمييز الكلمات وأشكالها"[4] أو" الأنماط الصوتية المستقلة التي تميز الحدث الكلامي المعين من غيره من الأحداث الأخرى"[5] ولعل أنسب التعريفات هو تعريف (ترنكا) بأنه:" كل صوت قادر على إيجاد تغيير دلالي"[6]

لنلاحظ الكلمات التالية:

سال زال / كل دل/ حالي عالي/ عاد عود

إنّ كل كلمة من الكلمات أعلاه تختلف عن الكلمة المقابلة لها في الشكل والمعنى. فالاختلاف بين (سال وزال) يكمن في الصوت الأول في كل منهما، فكلمة (سال) تبدأ بالصوت / S / بينما تبدأ كلمة (زال) بالصوت / Z /، ومن هنا يتبين أنّ شكل الكلمتين فيما عدا الصوت الأول متطابق تماما. أما من ناحية المعنى فهما مختلفان، ويرجع سبب هذا الاختلاف إلى اختلاف الصوت الأول في كل منهما ولذلك يمكن القول بأنّ صوتي / S / و/ Z / من الأصوات المميزة؛ أي التي تؤدي إلى تغير المعنى إذا ما حل واحد منها محل الآخر في كلمة ما. وقد أطلق على هذه الأصوات التي تبدأ بها الكلمات أعلاه(**فونيمات**) Phoneme. وهكذا يمكن القول أنّ كل صوت من الأصوات التي تبدأ بها الكلمات أعلاه فونيم

---

[1] ـ علم وظائف الأصوات اللغوية ـ الفونولوجيا ـ ص 64
[2] ـ دراسة الصوت اللغوي: ص 175
[3] ـ نفسه: ص 177
[4] ـ نفسه: ص 180
[5] ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها.
[6] ـ نفسه: ص 179

يؤدياستبداله بفونيم آخر إلى تغيير في معنى الكلمة. **فالفونيم إذن هو أصغر وحدة صوتية تؤدي إلى فرق في المعنى إذا استبدلت بصوت آخر في نفس البيئة الصوتية.**[1]

3 . بين الفونيم والألفون

الوحدة الصوتية (الفونيم) غير الصوت، فالأصوات في العربية الفصحى أكثر من الوحدات الصوتية، بمعنى أنّ الحروف التسعة والعشرين صوتا التي ذكرها سيبويه كلها وحدات صوتية وكذلك الحركات، فالوحدة الصوتية هي أساس في بناء الكلمة ينجم عن تغيير أحدها تغيير المعنى .كما سبقت الإشارة إلى ذلك . ولذلك فإنّ الأصوات الستة التي أضافها سيبويه وهي الأصوات المستحسنة وكذلك السبعة غير المستحسنة ليست وحدات صوتية أو (فونيمات) وقد سماها بالفروع وهي تقابل التسمية الأوربية (ألوفونات) أو (صويتيات) حيث إنّ (الألفون) يترجم (صويتي). **فالنون** وحدة صوتية له نطق آخر فرع له أو تنوع أو (صويتي) وهو **النون الخفيفة**، وكذلك **الهمزة** لها صويتي وهو **الهمزة التي بين بين**، وكذلك **الألف** والشين والصاد لها فروع من الأصوات الستة المستحسنة.

فالوحدات الصوتية التسعة والعشرون صوتا مضافا إليها الحركات القصيرة الثلاث (الفتحة والضمة والكسرة) والحركتان الطويلتان الواو والياء اللتان تشتركان مع صوتي اللين في الرمز الكتابي. ويكون عددها أربعا وثلاثين وحدة صوتية أو (فونيما) فقط.

فإذا تأثر صوت ما بسبب من وضعه في الكلمة فاكتسب صفة غير صفته كأن تتحول الباء المجهورة إلى باء مهموسة في الكلمة دون أن يتأثر المعنى فإنّ هذا الصوت لا يكون وحدة صوتية وإنما تنوعا صوتيا أو ألوفونا، مثل كلمة (كبت) فالباء هنا مهموسة بسبب من موضعها بين صوتين مهموسين، وهي تنوع للباء أما كلمتا (كتب وكاتب) فإن الحركة هي الفارق بين الكلمتين، وهي السبب في تغير المعنى بين الكلمتين ولذلك فإن الحركة هنا وحدة صوتية أو فونيم. أما التفخيم فيكون وحدة صوتية في العربية الفصحى في أصوات أربعة فقد وهي أصوات الإطباق الأربعة، أما الراء واللام فالتفخيم فيها تنوع وليس وحدة صوتية. يقول دانيال جونز:" أنا أعتبر صوت (S)الذي يشبه؟ عضوا في فونيم ال (S)" فمعرفة الوحدة الصوتية يكون بأن يجرب الصوتان بأن يوضع كل منهما مكان الآخر في كلمة ما، مع الاحتفاظ بباقي حروفها، فإذا حدث ووجد اختلاف في المعنى فهما فونيمان، وإذا لم يحدث أي اختلاف في المعنى نتيجة هذا التغيير فهما ألفونان لفونيم واحد.[2]

---

[1] ـ مقدمة في اللغويات المعاصرة: شحدة الفارع وجهاد حمدان، وموسى عمايرة ومحمد العناني، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط6، 2013م، ص 78

[2] ـ المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ص 225 - 226 وينظر: أسس علم اللغة، ص 89 - 90

4 . مكونات الفونيم

هناك من اللغويين من نظر إلى الفونيم على أنه كل موحد غير قابل للتحديد، يقول العالم اللغوي الروسي (Sidorov):" إذا نحن تحدثنا عن الفونيم كرمز، فإنّ الفونيم ليس فقط غير متقسم إلى وحدات صغرى، ولكن لا يمكن أيضا أن يحلل إلى عناصره الأكوستيكية. إنه مجرد كلي، وكيفية غير قابلة للتقسيم"[1]

أما غالبيتهم فعلى أنّ الفونيم (أسرة) أو (مجموع) أو (وحدة صوتية) تجمع تحتها متعددات، فإذا حللنا الفونيم أو بعبارة أخرى إذا حددنا مكوناته، ماذا نجد من عناصر؟

هنا نجد اتجاهين رئيسيين: أما أحدهما فيرى أن مكونات الفونيم هي أصوات، فالفونيم حينئذ أشبه بالنوع الذي يجمع تحته أفراده وأما الأخرى فيرى أنّ مكونات الفونيم هي ملامح صوتية مميزة، أو تجمعات من الخصائص النطقية. فالفونيم حينئذ أشبه بالفرد من أفراد النوع الذي يحوي من الصفات العامة المشتركة ما يضمه إلى شكله، ويحوي من الخصائص الفردية ما يميزه عن غيره.[2]

وفي الحالة الأولى يكون الناتج شيئا ماديا، أو صوتا فعليا قابلا للتحليل مرة أخرى إلى عناصر أو مكونات، أما في الحالة الثانية فيكون ملمحا أو كيفية نطقية لا وجود لها بمفردها وإنما هي بانضمامها إلى غيرها من الملامح تشكل الصوت اللغوي.

أ . تحليل الفونيم إلى ألوفونات

يمثل هذا الاتجاه اللغوي الإنجليزي (دانيال جونز) الذي يحلل الفونيم إلى أفراد أو أعضاء تسمى ألوفونات، أو تنوعات مشروطة. وهو رأي مارتيني.

وقد عرف بعضهم الألوفون بقوله:" كل مظهر مادي مختلف للفونيم" ومثل له بصوت النون الذي يكون بين أسناني في tenth وطبقيا في inch ولثويا في tint. ومنهم من أدخل قابلية الفونيم للتحليل إلى ألوفونات في التعريف مثل (ماريو باي) الذي يقول عن الفونيم إنه" يشتمل على مجموعة من الأصوات المتشابهة، أو التنوعات الصوتية التي يتوقف استعمال كل منها أساسا على موقعه في الكلمة، وعلى الأصوات المجاورة له"[3] ومثل دانيال جزنز الذي سبق تعريفه.[4]

ويتسم التحليل الفونولوجي عند هؤلاء إذا أمكن تحديد قيمة كل جزىء صوتي من ناحيتين:

1 . ناحية انتمائه إلى فونيم معين.

2 . ناحية تحديد البيئة الصوتية التي يقع فيها.

---

[1] ـ دراسة الصوت اللغوي: ص 183

[2] ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[3] ـ أسس علم اللغة: ص 88

[4] ـ دراسة الصوت اللغوي: ص 184

ويذكر (Bolinger) صعوبة تصادف اللغوي حين يريد أن يتعرف على الألوفونات ويصنفها، فيقول: " إنه يسلك طريقة بصورة عكسية، إنه لا يستطيع أن يقرر مقدما ماذا تكون الفونيمات ثم يفتش عما يجعلها متخالفة. إنّ نقطة البداية عنده هي الأصوات نفسها. كل الأصوات عنده مجرد فونات وليست ألوفونات حيث لم يحدد الفونيمات بعد، وبالتالي لم يعرف ألوفوناتها. إنّ اللغوي بدلا من أن يقول: هأنذا أملك الفونيم (a) ثم يسأل ماذا يسبب التنوعات a1 و a2...يجب أن يقول: هأنذا أملك الفونات x و y و...ثم يسأل: هل هي تنتسب .كألوفونات . لفونيم واحد أو هي ألوفونات لفونيمات متميزة"[1]

ب . تحليل الفونيم إلى ملامح تمييزية

أصحاب هذا الرأي يعرفون الفونيم على أنه" تجمع من الملامح التمييزية مثل الجهر والوقف والأنفية والاحتكاك" أو" حزمة من الملامح تتميز عن الحزم الأخرى أو تجمعات الملامح الأخرى" أو" سلسلة من الاختيارات الثنائية" أو" الملامح التمييزية المتزامنة الموضوعة في حزمة واحدة" أو" طاقم من الملامح المتزامنة القادرة على التمييز"[2]

وهذا المنهج الذي يحلل الأصوات بالنظر إلى ملامحها التكوينية ليس منهجا تركيبيا بنفس المعنى الموجود في التحليل السابق. وعلى هذا فإنّ تشبيه (Bolinger) الفونيم بالنغمات المتآلفة في الموسيقى، والملمح المميز بالنغمة التي تشكل مع غيرها مجموع النغمات يعدّ تشبيها غير دقيق. إن وحدات هذا التحليل يمكن أن تؤخذ . لا على أنها نتاج تحليل مقطع أو كلمة أو وحدة أكبر إلى جزيئات متتالية، وإنما على أنها نتاج وحدات حللت إلى ملامح متزامنة، وعلى هذا فإطلاق اسم التحليل الفونيمي على هذه الطريقة فيه شيء كبير من التوسع[3].

والفونيم على هذا الفهم ليس له مقابل واحد حتمي، وإنما كل واحد من ملامحه التمييزية له مقابل في داخل اللغة. يقول (Milewski)" الفونيم نتاج مركب للغة يتباين مع الملامح القادرة على التمييز التي تشكل وحداته البسيطة غير القابلة للتقسيم. إنّ الملمح القادر على التمييز عضو من تغاير واحد فقط هو فيه في وضع مضاد لملمح مقابل، في حين أن الفونيم مجموعة من التقابلات الكثيرة، بعدد ما يشتمل على ملامح قادرة على التمييز، وعلى أساس من كل واحد من هذه الخصائص الأكوستيكية يكون الفونيم في وضع

[1] ـ دراسة الصوت اللغوي: 184 - 185
[2] ـ نفسه: ص 185 - 186
[3] ـ نفسه: ص 186

تغاير مع فونيم آخر. وعلى سبيل المثال الفونيم البولندي الممثل بالرمز (p) عبارة عن مجموعة من خمسة ملامح متميزة تزامنية. وعلى هذا فهو عضو في تقابلات خمسة بين فونيمية Interphonemicهي:[1]

وقفي في مقابل الاحتكاكي

فموي في مقابل الأنفي

شفوي في مقابل النصلي

مهموس في مقابل المجهور

صلب في مقابل الناعم

[1] ـ دراسة الصوت اللغوي: ص 187

رئيس المجلس العلمي

المحاضرة رقم(08) نظرية الفنونيم ـ الوحدة الصرفية ـ

تمهيد:

يلعبُ النظام الصوتي دورا بارزا في تحديد الوحدات الصرفية، حتى إنّ الدراسات الصرفية تبقى قاصرة إن لم تستند إلى علم الأصوات؛ لأنّ مباحث الصرف مبنية في أساسها على ما يقرره هذا العلم من قوانين، وما يرسمه من حدود، سواء من حيث مجموعة من الظواهر الصوتية التي تعين في بناء الكلمة كالمماثلة والمخالفة بين حروف الكلمة، أم من حيث ما يقدّمه النظام الصوتي من صفات ومخارج للحروف والتي تُعين على تحديد مجموعة من القضايا التي يتناولها النظام الصرفي كالميزان الصرفي، وحروف الزيادة، وبناء القوالب الصرفية، كالتثنية والجمع والتصغير والنسبة.

1 . أثر الظواهر الصوتية في بناء الكلمة:

تعدّ التغيرات الصوتية من العناصر التي يهتم بها النظام الصوتي للغة العربية والتغيرات الصوتية تحدثُ نتيجة تجاور الحروف مع بعضها البعض مستثقلا، والتغيرات الصوتية أيضا هي عناصر يدخلها الناطق على صيغ ألفاظه دفعا للثقل الذي يعتري الكلمات نتيجة تجاور بعض الحروف مما يؤدي إلى صعوبة النطق بهذه الكلمات، وإجهاد أعضاء النطق لدى المتكلم مما يحتم عليه أن يُدخل بعض التغيرات الصوتية على صيغها ليصل إلى أخفّ صورة ممكنة ومن هذه التغيرات الصوتية نجد ظاهرتي: المماثلة والمخالفة.

2 . دور النظام الصوتي في اختيار الميزان الصرفي

يذكر علماء الصرف أنّ صناعة التصريف شبيهة بالصياغة، فالصائغ يصوغ من الأصل الواحد أشياء مختلفة، والصرفي يحول المادة الواحدة إلى صور مختلفة لذلك احتاج الصرفي في عمله إلى ميزان يعرف به عدد حروف الكلمة وترتيبها، وما فيها من أصول وزوائد وحركات وسكنات، وما يطرأ عليها من تغيير كما احتاج الصائغ إلى ميزان ليعرف به مقدار ما يصوغه.[1]

لقد نظر الصرفيون إلى الكلمات التي تدخل تحت بحثهم . وهي الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة . فوجدوها لا يقلّ عدد حروفها الأصول عن ثلاثة أحرف إلا لعلة استوجبت ذلك اعتباطا كما في بعض الألفاظ، ولا يزيد عن خمسة أحرف فألفوا الميزان من ثلاثة أحرف؛ لأنّ الكلمات الثلاثية الأصول أكثر استعمالا من غيرها من الكلام؛ ولأنهم لو جعلوه رباعيا أو خماسيا لاضطروا إلى حذف حرف أو اثنين عند وزن كلمة رباعية أو خماسية ولذلك آثروا أن يجعلوا الميزان ثلاثة أحرف، وأن يزيدوا على ذلك إذا وزنوا رباعيا أو خماسيا، ورأوا أنّ ذلك خير من أن يجعلوه على خمسة أحرف ثم ينقصوا منه إذا وزنوا رباعيا أو ثلاثيا، زد

---

[1] ـ أبنية الصرف في كتاب سيبويه: خديجة الحديثي، مكتبة النهضة، بغداد، ط 1، 1385هـ، 1965م، ص 87

على ذلك أنّ الزيادة أسهل من الحذف، وجعلوا (ف ع ل) ميزانا لهم؛ لأنّ مخارج الحروف ثلاثة هي: الحلق واللسان والشفتان، فأخذوا الفاء من الشفة، والعين من الحلق، واللام من اللسان.[1]

فلما كانت الفاء من حروف الشفة، والعين من حروف الحلق، واللام من حروف اللسان، أخذ العلماء من كل مخرج حرفا؛ لأنّ حروف العربية ترجع في النهاية إلى المخارج السابقة، وقد كان أصل الميزان الصرفي على ثلاثة أحرف لأنّ أكثر الكلمات العربية قد وضعت على ثلاثة أحرف وذلك أقل ما توضع عليه الأسماء المتمكنة، والأفعال المتصرفة، وهو ميدان علم الصرف، ومجاله الذي يدور في فلكه.

3 . النظام الصوتي ودوره في اختيار حروف الزيادة

إنّ قضيةتخصيص حروف الزيادة التي تُجمع في كلمة (**سألتمونيها**) تفرض نفسها بإلحاح، وتجعلنا نتساءل عن سبب اختيار تلك الحروف، وهل في ذلك ما يمكن أن يُعتمد فيه على ما يُقدّمه النظام الصوتي للغة العربية؟

وأمهات الزوائد منها أصالة الواو والياء والألف لكثرة دورانها في الكلام واستعمالها؛ لأنه لا تخلو كلمة منها أو من بعضها، نقصد الحركات الثلاث(الضمة والكسرة والفتحة) يقوا ابن يعيش عن سبب جعل حروف المد واللين أصل حروف الزيادة:" واصل حروف الزيادة حروف المد واللين التي هي الواو والياء والألف؛ وذلك لأنها أخفّ الحروف، إذ كانت أوسعها مخرجا، وأقلها كلفة"[2]

فالسبب في اختيار حروف المد واللين لكي تكون أصولا لحروف الزيادة الأخرى إنما يرجع إلى ما يقرره النظام الصوتي للغة العربية من أنّ هذه الحروف أوسع مخرجا من غيرها من الحروف الأخرى. وأما **الهمزةوالتاء والميم والنون** فزيدت لشبهها بحروف العلة؛ أما الهمزة فلشبهها بحروف العلة من جهة كثرة تغييرها بالتسهيل والحذف والبدل[3] وهي مجاورة للألف في المخرج.[4]

أما التاء فقد أشبهت الواو من جهة تقارب مخرجيهما ولذلك وجدناها تبدل منها مثل: تراث لأنها من ورثت، وهو ما عبر عنه ابن يعيش بقوله:" فأما التاء فمشبهة حروف المد واللين أيضا لأنها حرف مهموس، فناسب همسها لين حروف المد واللين، ومخرجها من رأس اللسان وأصول الثنايا، وهو قريب من مخرج النون"[5] وأما " الميم فمضارعة للواو أيضا من جهة تقاربهما في المخرج، ومضارعة لحروف العلة كلها، من جهة الغنة التي فيها، الشبية باللين في حروف العلة لأن الغنة فضل صوت في الحرف كما أن اللين كذلك"[6]

---

[1] ـ أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ص 87 - 88
[2] ـ شرح المفصل315/5
[3] ـ الممتع في التصريف: ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1، 1407ه، 1987م، 1/ 208
[4] ـ شرح المفصل315/5
[5] ـ نفسه5/ 316
[6] ـ الممتع في التصريف:209/1

فالميم شبيهة بالواو لأنهما من مخرج واحد وهو الشفة وفيها غنة تمتد إلى الخيشوم، فناسبت بغنتها لين حروف المد فجعلت من حروف الزيادة.

أما عن سبب جعل النون من حروف الزيادة فيقول عنها ابن عصفور:" أما النون فقد أشبهت أيضا حروف العلة الياء منها خاصة من جهة الغنة التي فيها، وأيضا فإنّ النون قريبة في المخرج من الواو التي هي أخت الياء، ويدغم فيها الواو لتشاركهما في الاعتلال واللين"[1] فالنون إذن فيها غنة ومخرجها إذا كانت ساكنة من الخيشوم بدليل أن الماسك إذا مسك أنفه لن يتمكن من النطق بها، وليس لها فيه مخرج معين، بل تمتد في الخيشوم امتداد الألف في الحلق، فلما أشبهت النون الألف في ذلك شاركتها في الزيادة.

ومن ثمة فإنّ لمخارج الحروف دور في تحديد حروف الزيادة التي تلي حروف المد واللين، فقد اختيرت حروف الزيادة (**الهمزة، والتاء، والميم، والنون**) لمشابهتها حروف الزيادة الأصول (الواو والياء والألف) في المخارج، فلما اجتمع فيها ما ذُكر من شبه حروف المد واللين اجتمعت معها في الزيادة، إلاّ أنّ ما تجدر الإشارة إليه أنه لما كانت هذه الحروف قريبة الشبه من حروف العلة للسبب المذكور كانت تليها في كثرة الزيادة.[2]

وأما السين والهاء فإنها زيدت لشبهها بالحروف المشبهة بحروف العلة، وهو ما عبّر عنه ابن عصفور بقوله:" فأما اللام فمشبهة للنون من حيث تستطيل في خرجها حتى تلحق بمخرج النون، وأما السين فإنها تشبه التاء لهمسها وتقارب مخرجيهما، أما الهاء فمشبهة للهمزة من جهة تقارب مخرجيهما لأنهما من حروف الحلق"[3]

فالتقارب الحاصل بين السين والتاء في المخرج واتفاقهما في الهمس تبادلا فقالوا (استخذ فلان أرضا وأصلها اتخذ) وقالوا (ست واصلها سدس) ولما كان بينهما من التناسب والتقارب لما ذكر زيدت مع حروف الزيادة. وأما اللام فإنه وإن كان مجهورا فهو يشبه النون، وقريب منه في المخرج ولذلك يدغم فيه النون.

4 . النظام الصوتي وأثره في بناء القوالب الصرفية

إنّ قضية توزيع حروف المد وتخصيصها ـ بين القوالب الصرفية ـ تفرض نفسها بإلحاح وتجعلنا نتساءل عن سبب اختصاص بعض الأبنية بالواو؟ وبعضها بالألف؟ والبعض الآخر بالياء؟ وهل في ذلك شيء يُعتمد فيه على النظام الصوتي؟

---

[1] ـ الممتع في التصريف1/ 142

[2] ـ أثر القوانين الصوتية بناء الأنظمة اللغوية ـ مقاربة في التراث العربية القديم ـ سلام أورحمة، شبكة الألوكة، دط، دت، ص 65

[3] ـ الممتع في التصريف209/1

يقول الرضي:" لأنّ الألف كان جُلب قبل الإعراب في المثنى علامة للتثنية وكذا الواو في الجمع علامة للجمع لمناسبته الألف بخفته لقلة عدد المثنى، والواو بثقله لكثرة عدد الجمع، وهذا حكم مطرد في جميع المثنى والمجموع...ثم أرادوا إعرابهما فجُعل فيهما ما يصلح لأن يكون إعرابا، وأسبق الإعراب الرفع لأنه علامة العمد فجعلوا ألف المثنى وواو المجموع علامتي الرفع فيهما"[1]

فالنص يشير بشكل واضح إلى أنّ الأمر عنده قائم على المشاكلة والتناسب، فالقليل وهو المثنى يناسبه الخفيف وهو الألف، والكثير وهو الجمع، يناسبه الثقيل وهو الواو، لذلك أعطوا المثنى الذي هو قليل الألف الذي هو خفيف؛ وخفته تتجلى في اتساع مخرجه، وأعطوا الجمع الذي هو كثير الواو الذي هو ثقيل، وقوته تتجلى في ضيق مخرج الواو، فيقع من خلال هذا التوزيع نوع من التناسب بين ما هو قليل وما هو خفيف من جهة، وبين ما هو كثير وما هو ثقيل من جهة ثانية.

أما إذا بحثنا عن سبب كسر نون التثنية وفتح نون الجمع الذي على حدها، وهل في ذلك ما يمكن اعتماده في النظام الصوتي فإننا واجدون ما للنظام الصوتي من أثر في هذا التوزيع؛ يقول السيرافي:" لما كانت حركة النون فتحة أو كسرة وكانت الكسرة أثقل من الفتحة، والجمع أثقل من التثنية، جعلوا الأثقل للأخف، والأخف للأثقل، حتى يعتدلا"[2] فما دامت التثنية أخف من الجمع الذي على حدها، والكسرة أخف من الفتحة أعطوا الكسرة لثقلها لما هو خفيف وهو التثنية، وأعطوا الفتحة لخفتها لما هو ثقيل وهو الجمع الذي على حد التثنية.

وعن سبب اختيار الياء في التصغير دون غيرها من الحروف يقول ابن يعيش:" الدليل كان يقتضي أن يكون أحد حروف المد واللين لخفتها وكثرة زيادتها في الكلم فنكبوا عن الألف لأن التكسير قد استبدّ بها نحو مساجد، ودراهم، ولأنه قد لا يخلص البناء للتصغير لأنه يصير على فعال كغراب، فعدلوا إلى الياء لأنها أخف من الواو"[3]

أما سبب زيادة الياء في النسبة دون غيرها من حروف المد يقول ابن يعيش:" القياس كان يقتضي أن تكون أحد حروف المد واللين لما تقدم من خفتها ولأنها مألوفة زيادتها، إلا أنهم لم يزيدوا الألف لئلا يصير الاسم مقصورا فيمتنع من الإعراب وكانت الياء أخف من الواو فزيدت"[4]

---

[1] ـ شرح الكافية: ص 78 ـ 79

[2] ـ شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2008م، 1/ 42

[3] ـ شرح المفصل ص 397

[4] ـ نفسه 438/3

فهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أنّ بناء النسبة إنما قائم على ما يقدمه النظام الصوتي من قوانين ألهما: أن الألف لم تزد في النسبة حتى لا يتعذر ظهور إعراب الكلمة في صورة صوتية، فزيدت الياء لأنّ الإعراب يظهر فيها في صورة صوتية في آخر الكلمة، وثانيهما: أنّ الياء أخف من الواو.

5 . الوحدة الصرفية في الدرس الصرفي العربي

دار حديث اللغويين العرب عن الوحدة اللغوية الصرفية حول **الكلمة**، فلم يتحدثوا عن وحدة دلالية أصغر من الكلمة، وغاية ما هنالك أنّ لهم مع حديثهم عن الكلمة حديثا عما قد يبين الجنس الصرفي الذي وردت عليه الكلمة، كالعدد والنوع والتعيين...وهو ما يعرف في درسنا اللغوي **بالعلامات**، وهو يكشف عن وعيهم بقيام العلامة بزيادة دلالة على دلالة الكلمة، وبأنّ الكلمة أصبح لها جزآن دلاليان. ويلزم أن نشير إلى جملة الأمور التالية:[1]

أولا . عدم غفلة اللغويين العرب عن عناصر الكلمة وأجزائها التي يقوم كل واحد منها بمعنى؛ فقد التفتوا إلى تركب بعض الكلمات من جزأين وإن لم يجعلوهما على حد سواء؛ فهم يرون أن كلمات مثل: حمامة ورجلان وبصرى والرجل ويضرب كل واحدة منها" كلمتان صارتا من شدة الامتزاج كلمة واحدة، فأعرب المركب إعراب الكلمة؛ وذلك لعدم استقلال الحروف المتصلة في الكلم المذكورة، وكذلك الحركات الإعرابية"[2] كما يقول بعضهم عن تاء التأنيث:" تاء التأنيث بمنزلة اسم ضم إلى اسم"[3] لقد رأوا أنّ علامتي التأنيث والتثنية وياء النسب وأداة التعريف وياء المضارعة ليست من أصول الكلمات الداخلة عليها، ولا من الزيادات الصرفية التي تغير الوزن، وأنها قد أضافت إلى ما دخلت عليه معنى فصار معنى اللفظ مركبا لا مفردا؛ فلم يكن أمامهم إلا عدها كلمات غير مستقلة لا إعراب لها. ويعني ذلك أنّ الصرفيين العرب لم يغفلوا عن تركب اللفظة المفردة من دلالتين إحداهما من الكلمة الأساس والأخرى مما دخل عليها مما لم يروه كلمة لعدم استقلاله ولانتفاء الإعراب عنه.[4]

الثاني: وعيهم بطبيعة العربية التي تتمثل في افتراق اللفظ عن المعنى في جهة التركب والإفراد؛ حيث يمكن أن يرد اللفظ مفردا على الرغم من تركب معناه، ينقل الرضي يقول:" والمشهور في اصطلاح أهل المنطق جعل المفرد والمركب صفة اللفظ، فيقال: اللفظ الفرد واللفظ المركب، ولا ينبغي أن يخترع في الحدود ألفاظ؛ بل

---

[1] ـ حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية من مقال بعنوان: نظرية الصرف العربي ـ دراسة في المفهوم والمنهج ـ محمد عبد العزيز عبد الدايم، كلية دار العلوم، القاهرة، العدد 21، 1422هـ، 2001م، ص 23 - 24

[2] ـ شرح كافية ابن الحاجب: الرضي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت، 1/ 63

[3] ـ أسرار العربية: ابن الأنباري أبو البركات عبد الرحمن، تحقيق: محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، دط، 1957م، ص 64

[4] ـ نظرية الصرف العربي ـ دراسة في المفهوم والمنهج ـ ص 24

الواجب استعمال المشهور المتعارف منها فيها؛ لأنّ الحد للتبيين، وليس له أن يقول إني أريد بالمعنى المفرد الذي لا تركيب فيه لأنّ جميع الأفعال إذن يخرج عن حد الكلمة"[1]

وقد خطأ الرازي بناء على ذلك استخدام الزمخشري الإفراد وصفا للمعنى، قال:" ـ المسألة الحادية والعشرون ـ في حد الكلمة قال الزمخشري في أول المفصل: الكلمة هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع. وهذا التعريف ليس بجيد لأنّ صيغة الماضي كلمة مع أنها لا تدخل على معنى مفرد بالوضع؛ فهذا التعريف غلط لأنها دالة على أمرين حدث وزمان...وسبب الغلط أنه كان يجب عليه جعل المفرد صفة للفظ فغلط وجعله صفة للمعنى"[2]

ويعني ذلك أنّ للعربية خصيصة منعت اللغويين العرب من أن ينسبوا كل دلالة في اللفظ إلى جزء من أجزاء هذا اللفظ؛ إذ إنّ في العربية معاني مركبة لا تقابلها ألفاظ مركبة. ويؤكد ذلك أنّ الوزن الصرفي يفيد معنى ينضاف إلى المعنى الذي يُستفاد من الجذر المعجمي، وهو كما لا يخفى لا ينفصل عن الكلمة التي يعد قالبا لها؛ فليس من ثم شيء مستقل فضلا عن أن يكون هذا الوزن وحده كلمة. كما أنّ أسماء الأفعال لا أوزان لها نحو: صه، ومه...الخ تتركب من دلالتي الحدث والزمن مع عدم وجود أجزاء صرفية يمكن تمييزها بعضها عن بعض. لقد قصر اللغويون العرب التركيب على تركيب اللفظ دون تركيب الدلالة، وقد جاء المركب لفظا لديهم منحصرا في خمسة أنواع، يقول بعضهم:" المركب: هو ما أريد بجزء لفظه الدلالة على جزء معناه، وهي خمسة: مركب إسنادي، كقام زيد، ومركب إضافي كغلام زيد، ومركب تعدادي كخمسة عشر، ومركب مزجي كبعلبك، ومركب صوتي كسيبويه"[3]

الثالث: إهمالهم الحديث عن وحدة أصغر من الكلمة يمكن أن تعالج باستقلال يرجع إلى أنّ بعض أجزاء الكلمة التي تفيد دلالة يمتنع فصل بعضها عن بعض؛ فوزن الكلمة مثلا لا يمكن فصله عن جذر الكلمة مع أنّ كلا منهما يعدّ عنصرا من عنصري الدلالة الثابتة للكلمة. ويفيد ذلك أنّ الحديث عن وحدات دلالية أصغر من الكلمة يستلزم فصل الوزن عن الكلمة، كما يرجع إلى ورود معاني مركبة لا تركيب في ألفاظها، كما في حالة أسماء الأفعال التي لا وزن لها، ولا تتكون من أجزاء صرفية يمكن أن ينسب إليها المعاني التي تقوم فيها، فمع دلالة هيهات وشتان ونحوهما على دلالتي الحدث والزمن ليس فيهما أجزاء صرفية، بل كل اسم فعل منهما يعدّ وحدة لفظية واحدة لا تقبل التجزئة.[4]

---

[1] ـ شرح الكافية1/ 65

[2] ـ مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير: فخر الدين الرازي، وبهامشه تفسير أبو السعود، دار الطباعة العامرة، مصر، دط، دت، 11/1

[3] ـ التعريفات: الجرجاني السيد الشريف، المكتبة الحمادية، دط، 1983م، ص 186

[4] ـ نظرية الصرف العربي ـ دراسة في المفهوم والمنهج ـ ص 25

الرابع: إنّ اتخاذهم الوحدة الصرفية يرجع إلى أنهم أرادوا أن تطرد لهم الوحدة الصرفية؛ إذ يلزم اعتماد الكلمة أو جزئها وحدة صرفية. وقد اعتمدوا الكلمة وحدة صرفية لما رأوا أنّ جزء الكلمة لا يطرد وحدة صرفية؛ إذ ليس لعناصر الدلالة في الكلمة أجزاء تقابلها في اللفظ.[1]

الخامس: عدم صلاحية مفهوم **المورفيم** ولا منهج التحليل الهرمي . الذي يرد المورفيم في إطار هذا المفهوم . للغة العربية التي تتميز بأنها لغة اشتقاقية لا إلصاقية، ومن ثمّ لا يمثل غياب المفهوم عن الدرس العربي جهة انتقاص أو عجز.

إنّ العربية تعتمد على القالب لاشتقاق كلماتها دون توظيف اللاصقة لاشتقاق الكلمات؛ فترد الأفعال والمشتقات عاملة وغير عاملة عن طريق الوزن لا عن طريق لاصقة صرفية، أما تصريف الأسماء في العربية فهو يستخدم اللاصقة التي تعرف في تراثنا اللغوي بالعلامة، وذلك على ما يظهر من تأمل حالات التثنية وجمعي التصحيح، كما يرد بعض من تصريف الأسماء من خلال الوزن كذلك، كما في جموع التكسير، ويعني ذلك أنّ لاصقة الاشتقاق لا ترد في العربية مثلما ترد في الإنجليزية التي تجمع بين لاصقة الاشتقاق ولاصقة التصريف، مثل ورود er . للاشتقاق (اشتقاق لفظ دال على فاعل الحدث) وورودs . للتصريف (بيان حالة الجمع)[2]

ويفسر **غياب لاصقة الاشتقاق** في العربية عدم حديث اللغويين العرب عن **اللواصق**؛ إذ رجع هذا الغياب إلى عدم صلاحية المفهوم للغة العربية التي تتميز بأنها **اشتقاقية لا تصريفية**. وهذا ما يقرره علم اللغة الحديث من أنّ مفهوم **المورفيم** لا يناسب إلا اللغات الإلصاقية؛ إذ من المنتقد" أنّ النظرية النحوية الحديثة، وبخاصة مدرسة لغويي ما بعد بلومفيلد التي كانت فيها بدايات النحو التوليدي، قد وجهت إلى لغات ما يسمى النموذج الإلصاقيagglutinating : تلك اللغات التي يميز تصريفها من خلال اللواصق التي يمكن أن تدخل مع المورفيمات في علاقة واحد إلى واحد"[3] وقد تساءل بعض اللغويين تشككا عن مدى صلاحية مفهوم المورفيم والتحليل الهرمي الذي يطرح في إطاره للغات الإلصاقية.[4]

السادس: إنّ الصرف العربي اتخذ مصطلح العلامة للزوائد الصرفية الداخلة على الكلمة ولم يتخذ مصطلح اللواصق لاختصاص زوائده الصرفية الداخلة على الكلمات ببيان حالة الكلمة من حيث الأجناس الصرفية التي ترد على الكلمة؛ فهي ترد علامة على الأجناس الصرفية التي عليها الكلمات، وليس فيها ما يخرج عن طبيعة التعليم " العلامة " هذه؛ إذ ليس منها ما يأتي، مثلا، لاشتقاق لفظ من آخر كما في نموذج اللغات

---

[1] ـ نظرية الصرف العربي ـ دراسة في المفهوم والمنهج ـ ص 25

[2] ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[3] ـ نفسه:ص 26

[4] ـ نفسه: ص 26

الإلصاقية. ويعني ذلك أنّ مصطلح العلامة لا يمثل مخالفة لما وردت عليه الزوائد الصرفية في اللغة العربية، وأن العلامة كافية في العربية للقيام بالدور المنوط باللاصقة؛ حيث تقوم برصد زوائد التصريف التي تدخل على الكلمات في العربية، وليس ثمة زوائد صرفية تخرج عن العلامة.[1]

لقد اتخذت العلامة هذا المصطلح لأنها لم ترد في العربية إلا تحديدا للجنس الصرفي الذي وردت عليه الكلمة التي دخلت عليها، ولا توازي العلامات في العربية إلا مورفيمات التصريف في الإنجليزية دون مورفيمات الاشتقاق التي تستخدم لا لبيان الجنس الصرفي، ولكن لاشتقاق كلمة من أخرى كما في لواصق الماضي واسم الفاعل واسم المفعول...الخ ولعل اقتصار العلامة في العربية على تحديد الجنس الصرفي الذي وردت عليه الكلمات كان كافيا في نظر النحاة إلى تسميتها بالعلامة ملاحظة لطبيعتها المتمثلة في بيان الجنس الصرفي الذي ترد عليه الكلمة، ولا مشاحة في مصطلحهم لوقوعه على ما ورد له دون زيادة أو نقصان.[2]

السابع: إنّ تحقق العلامة قد سجل في الصرف العربي بوصفه صورا للعلامة مثلما سجلت تحققات المورفيمات بوصفها ألومورفات لها أو أشكالا مختلفة منها. ويظهر هذا الأمر من أنّ الصرفيين العرب يذكرون أداة للتعريف واحدة مع أنها تتخذ شكلين مختلفين: القمرية التي تنطق فيها اللام والشمسية التي تدغم لامها في الحرف التالي لها رفعا؛ مما يفيد أنهم لم يخرجوا عن الحس اللغوي الصحيح الذي يراعي الفرق بين القسم وأفراده التي يتحقق فيها، أو بين الجوهر وبين الشكل كما يفيد بعض اللغويين.[3]

الثامن: أنهم فرقوا بين غياب العلامة الذي يمثل علامة وغيابها الذي لا يكون علامة على شيء، فهم يرون غياب النون في الأفعال الخمسة علامة على جزم المضارع أو نصبه لأنّ ثبوتها يرد مقابلا لهذا الغياب في حالة الرفع، وكذلك يرون غياب علامة التأنيث عن الكلمة علامة على التنكير، ثم يذكرون أنّ غياب العلامة قد لا يكون علامة حين يتحدثون عن استواء الطرفين بغياب العلامة فيهما على السواء، كما في حديثهم عما يستوي فيه المذكر والمؤنث، يقول:" من ذلك قولهم بعير ناحر، إذا سعل فاشتد سعاله. وناقة ناحر، وبعير ضامر، وناقة ضامر"[4] وكما في حديثهم عن عدم دخول علامة التأنيث لبعض الصفات، يقول بعضهم:" اعلم أنّ فاعلا إذا اشترك فيه الرجال والنساء دخلته هاء التأنيث كقيلك: رجل قائم وامرأة قائمة، وإذا انفرد به النساء دون الرجال لم تدخله هاء التأنيث، كقيلك: امرأة حائض، وطالق، وطامث،

---

[1] ـ نظرية الصرف العربي ـ دراسة في المفهوم والمنهج ـ ص 26

[2] ـ نفسه: ص27

[3] ـ نفسه: ص 27

[4] ـ كتاب المذكر والمؤنث: الأنباري أبو بكر محمد، تحقيق: طارق عبد عون الجنابي، مطبعة العائي، بغداد، ط1، 1978م، ص 164

وطاهر.[1] وقد ذكروا كل الصفات التي لا تلحقها تاء التأنيث، يروي صاحب اللسان عن اللحياني قوله:" ما كان على مفعال فإنّ كلام العرب والمجمع عليه بغيرها في المذكر والمؤنث إلا أحرفا جاءت نوادر قيل فيها بالهاء، نحو رجل معطاء، وامرأة معطاء"[2] وهم بذلك لا يسجلون مجرد غياب العلامة بوصفها مورفيما صفريا فحسب، بل يفرقون بين نوعي غيابها: الدال وغير الدال مثلما يقرر علم اللغة الحديث الذي يؤكد على أنّ" الفرق بين الصفر واللاشيء هو بدقة نقطة أننا يمكن أن نرى الغياب سمة إيجابية".[3]

إنّ تطبيق مفهوم **نظام العلامات** الذي يقدمه علم اللغة يفيد أن الصفر يكون فردا ذا دلالة إذا ما ورد في إطار نظام من العلامات. وذلك بشرط الأخذ بنظام التقابلات التي قدمها دي سوسير لا مجرد نظام الوحدات الدلالية الذي توفر عليه بايك[4]Pike

ومما يلفت النظر بصدد غياب العلامة الدال أو ما يسمى **بالمورفيم الصفري** أنه بينما استقبلت اللغويات البنيوية مفهوم المورفيم الصفري بهذه الحفاوة والتكريم كما بيناه سابقا، لقي ما يقابله لدينا وهو العلامة السلبية أو غياب العلامة الدال وكذلك الاستتار والتقدير في النحو العربي انتقادا عنيفا واتهامات غير قليلة؛ إذ **العلامة السلبية في الصرفوالاستتار والتقدير في النحو** عند كثير من اللغويين العرب المعاصرين ليس إلا نوعا من الافتراض والتعسف الذي ينبغي أن يخلو منه الدرس اللغوي الحديث. لقد رأى معظم اللغويين أنّ مفهوم المورفيم الصفري فنية تسمح بمد مظلة القواعد الصرفية التي يقدمه مفهوم المورفيم ليصبح مفهوم المورفيم صالحا لمعالجة الكلمات ذات المورفيمات المتمايزة والكلمات التي لا تنماز فيها المورفيمات بعضها عن بعض، فقرروا بصدد ذلك أن على منهج الوحدة . الترتيبA1الذي ينبني في معالجته الصرفية على مفهوم المورفيم أن يعتمد مفهوم المورفيم الصفري؛ فقد" اقترح بلوتشBloch في مقال نير ومحكم (1947) أنّ الحل الأمثل لمنهج الوحدة . الترتيب 1A أن تعالج الكلمة الكلمة بوصفها رمزا للعنصر المعجمي وحده، ومن ثمّ يمكن أن يحقق الزمن الماضي بالصفر أو بالمورف الصفري في نهاية الكلمة". أما اللغويين العرب المعاصرون فلم يروا في العلامة السلبية والاستتار والتقدير نوعا من الفنيات التي تتخذ لطرد القواعد على أساس أن شمول القواعد وتغطيتها لأكبر قدر من الموضوع شرط ضروري في أي مجموعة من القواعد تطرح لمعالجة ظاهرة ما. وقد فاتهم بذلك أنّ عدم القول بهذه الفنيات يورث الدرس اللغوي العربي اضطرابا وتشوشا عظيمين.[5]

---

[1] ـ كتاب المذكر والمؤنث: ص 139

[2] ـ لسان العرب 15 / 695 وينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، ط2، 1979م، ص 243

[3] ـ نظرية الصرف العربي ـ دراسة في المفهوم والمنهج ـ ص27

[4] ـ نفسه: ص 28

[5] ـ نفسه: ص 28

6 . الوحدة الصرفية في الدرس الصرفي الغربي

لقد ترددت الوحدة الصرفية في الفكر اللغوي الغربي بين الكلمة والمورفيمMorpheme[1](1926) الذي يرجع إلى اللفظ اليوناني Morph الذي يعني صيغة؛ فلقد أصبح لدى معظم الناس إجابات جاهزة إذا ما سئلوا: ما وحدات اللغة الدلالية الصغرى؟ هي الكلمات"[2] وشاع بذلك أنّ" الكلمات هي وسائل المعنى وعناصر النماذج الدلالية" اما اللغويون فقد جروا في بداية الأمر على ما كان من غيرهم؛ حيث" اتفق معظم اللغويين الغربيين ضمنيا إلى نهاية القرن التاسع عشر على أنّ الكلمة هي الوحدة اللغوية التي تحمل المعنى وهي الحاضرة ماديا في سلسلة الحديث" أما في القرن العشرين فقد تغير الأمر" فبينما يميل كثير من الناس متأثرين بالكتابة إلى الاعتقاد بأنّ الكلمات هي وحدات التركيب النحوي الأساس فإنّ اللغويين يميزون وحدة أصغر هي المورفيم"[3]

وقد ورد المورفيم وحدة اللغة الدلالية الصغرى بعد الكلمة مع الفكر اللغوي الأمريكي، فقد" شكل المورفيم في اللغويات الأمريكية مع الفونيم وحدة التحليل الأساس" وقد قام" في الأربعينيات والخمسينيات جدل ساخن بشكل كبير بسبب ما المورفيمات؟ وكيف تعرف أحسن تعريف؟ وما المعاني التي يمكن أن تستنتج من المورفيمات فيما يخص الجهات الأخرى للنظرية اللغوية؟ وهلم جرا" وقد جاء تطور هذا المفهوم في الدرس اللغوي بأن" توصل لغويون كثيرون وبصفة خاصة في أمريكا إلى أنّ الكلمة لم تكن، أو على الأقل ليس بالضرورة أن تكون، الوحدة الأساس للنحو، بل يجب أن نبحث عن شيء آخر أصغر من الكلمة. اقترح سابير أنّ عناصر اللغة الدالة حقيقة هي كل من الكلمات وأجزاء الكلمات ومجموعات الكلمات، واقترح أكثر من ذلك وهو أنه ينبغي أن تحلل الكلمات sings و singer على أنها وحدات زوجية مركبة من جزئية. ويصوغ ليونارد بلومفيلد الفكرة بصورة أوضح فيشير إلى أنه توجد صيغ لغوية لم تسمع من قبل(ولذلك لم تكن كلمات) سماها الصيغ المقيدة bound forms وقد عرف الصيغ التي من هذا النوع بوصفها مورفيمات. وتعريف المورفيم الدقيق هو" صيغة لغوية لا تحمل شبها صوتيا دلاليا جزئيا بأي صيغة أخرى"[4]

وقد عالج علم اللغة الحديث تحقق المورفيمات الذي يتم فيما يعرف بالمورفات والألومورفات التي تعد أشكالا مختلفة للمورفيم لا يقوم معها اختلاف في المعنى.[5]

---

[1] ـ نظرية الصرف العربي ـ دراسة في المفهوم والمنهج ـ ص 21
[2] ـ نفسه: ص21
[3] ـ نفسه: ص 22
[4] ـ نفسه: ص22
[5] ـ نفسه: ص 22

وقد أخذ ذلك عدة تصورات؛ فقد عبر بعضهم عن الفرق بين المورفيم والألومورف بأن جعل المورفيمات تجريدات[1] أو أقساما تنتمي إليها مجموعة من الأفراد" المورفيمات أقسام كالفونيمات أفراد قسم الفونيم هي ألوفونات في توزيع تكاملي، بالمثل أفراد قسم المورفيم هي ألومورفات في توزيع تكاملي"كما عبر بعض اللغويين عن الفرق بينهما بأنه كالفرق بين الجوهر والشكل؛ يقول:" يمكن أن يعبر عن الفرق الذي حدد بين المورفات والألومورفات بتعبير الجوهر والشكل" وقد قدم بناء على ذلك تصوره المتمثل في كون الكلمة تتكون من المورفات التي هي الجوهر أو المادة لا من المورفيمات التي تمثل الشكل لا الجوهر. يقول:" المورفيم ليس جزءا من الكلمة بالمرة. ليس له موضع في الكلمة حين يمكن أن تجزأ الكلمة إلى أجزاء فإنّ هذه الأجزاء يشار إليها على أنها مورفاتMorphs"[2]

كما عالج علم اللغة الحديث أمر التحقق الصفري للمورفيم، وهو" وسيلة وصف مألوفة لدى اللغويين هي التمثيل الصفري لعنصر ما أو قسم ما تدين مباشرة إلى بانينيPanini" وقد رآه إنجازا جيدا لأنه يحل مشكلة غياب المورفيم في بعض النماذج. فلقد" اخترع بالنسبة لهذه المشكلة الأخيرة النحاة الهنادكة وسيلة تسمى العنصر الصفري". وقد أقر علم اللغة هذا الاختراع؛ إذ استخدمه سوسير، وكان موضع إطراء بلومفيلد للنحاة الهنادكة،كما يقرر بعض اللغويين أنهم سعداء تماما بوضع المورفيم الصفري بالنسبة للجمع المضاف في الروسية..." ولا يستثنى من المعجبين من اللغويين الغربيين بمفهوم المورفيم الصفري هذا إلا نفر قليل؛ حيث" انتقده مباشرة بصورة فعالة نايداNaida(1948)، وفيما بعد دراسة شاملة هاسHass(1957) لسوء استخدامات الصفر في الأدبيات اللغوية"[3]

[1] ـ نظرية الصرف العربي ـ دراسة في المفهوم والمنهج ـ ص 22
[2] ـ نفسه: ص 23
[3] ـ نفسه: ص 23

رئيس المجلس العلمي

المحاضرة رقم(09) الليكسام ـ الوحدة المعجمية ـ

1 . الوحدات المعجمية قِوامُ المعجم

من المسلّم به قديما وحديثا أنّ قوام المعجم هو المفردات، سواء كان معجما مدوّنا أو كان رصيدا عاما مشتركا من المفردات أو الوحدات المعجمية، ليس باعتبارها قائمة في ذاكرة جماعة لغوية معينة، أو بين دفّتي كتاب، بل باعتبارها فردا لغويا قادرة أن تنتظم[1] في شبكة من العلاقات الاختلافية والائتلافية،[2] كما هو الشأن بالنسبة للأنظمة اللغوية الأخرى، فالمفردات أو الوحدات المعجمية إذن هي المكونة للمعجم، كما أنّ الأصوات هي المكونة لعلم الأصوات، والبنية الصرفية هي المكونة لعلم الصرف، والجمل هي المكونة لعلم النحو.

والوحدة المعجمية تتكون من تأليفات صوتية عناصرها الوحدات الصوتية، وبنية صرفية عناصرها الوحدات الصرفية، ومدلول تحيل عليه خارج اللغة إما بعلاقة مباشرة أو غير مباشرة، وهو ما يوضحه الشكل التالي:

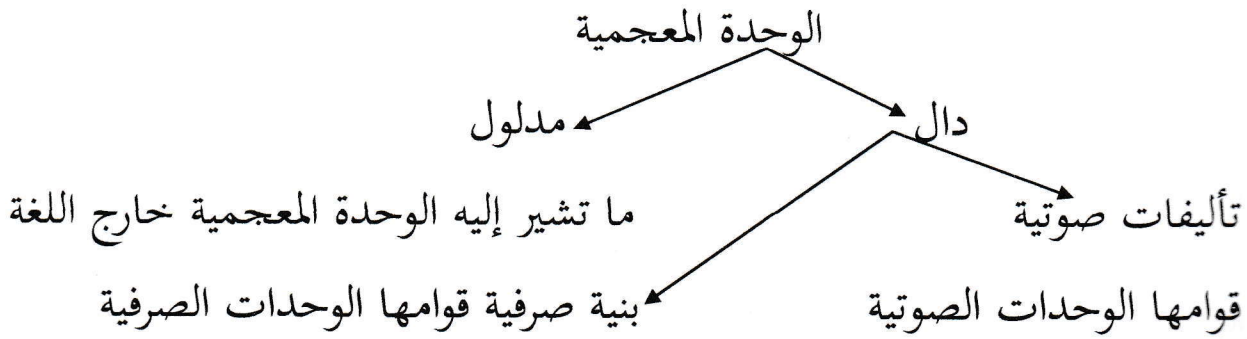

2 . النظام الصوتي ودوره في بناء الوحدة المعجمية:

لاحظ اللغويون منذ القدم عند النظر في تأليف الوحدة المعجمية، أنّ تأليفها يحوي على أساس ذوقي وعضوي خاص يتصل بتجاور مخارج الوحدات الصوتية التي تتألف منها الوحدة المعجمية، أو تباعدها

---

[1] ـ لمزيد من التفصيل حول نظامية المعجم، ينظر مقالات في اللغة والأدب: تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 2006م، ص 86 وما بعدها، وانظر: مقدمة لنظرية المعجم: إبراهيم بن مراد، ص 105 وما بعدها.

[2] ـ للتفصيل حول هذه العلاقات ينظر مقدمة لنظرية المعجم، ص 105 وما بعدها.

بالنسبة إلى أماكنها في الجهاز النطقي، وذكروا أنّ الوحدة المعجمية إذا أريد لها أن تكون فصيحة مقبولة فإنها تتطلب في مخارج أصواتها أن تكون متناسقة، وهو مطلب لا تسمح اللغة العربية بالتخلي عنه.

ونظرة متفحصة في الكتب اللغوية العربية القديمة مثل (العين) للخليل، و(معجم مقاييس اللغة) لابن فارس، و(جمهرة اللغة) لابن دريد، نجد أنّ المبادئ الصوتية تلعب دورا مهما في بناء الوحدة المعجمية، ومن هذه المبادئ نجد منع التأليف بين الأصوات المتقاربة المخرج، وأنّ أحسن التأليفات هي التي يؤلف فيها صوتيات ذات مخارج متباعدة، وهو ما عبر عنه ابن دريد في كتابه جمهرة اللغة بقوله:" واعلم أنّ الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم ودون حروف الذلاقة كلفته جرسا واحدا وحركات مختلفة، ألا ترى أنك لو ألفت بين الهمزة والهاء والحاء فأمكن، لوجدت الهمزة تتحول هاء في بعض اللغات لقربها منها نحو قولهم في (أراق): (هراق الماء) وإذا تباعدت مخارج الحروف حسن وجه التأليف"[1]

فكلما كانت الحروف متقاربة استعصت على اللسان وصارت متنافرة غير فصيحة، وكلما كانت متباعدة المخارج كانت أصيلة متلائمة حسنة التأليف، وتعليلنا يقوم على تنبهه إلى مسألتين مهمتين هما:

. التركيز على فاعلية مخرج الصوت بصفة خاصة، والجهاز النطقي بصفة عامة، وتلميحه إلى طبيعة الأصوات وصفاتها.

. نصّه على موضوع الصوت، وطبيعته وكيفيته في عملية التأليف، وتجلية القيمة الصوتية في عملية نسج الوحدة الصوتية.

فبناء الوحدة المعجمية إذن من أصوات متقاربة في مخارجها يجعلها ثقيلة، تكرهها النفس ولا تستسيغها، مثل كلمة (**الهعخع**)[2] التي اصطنعها أحد الأعراب حين سئل عن ناقته فقال" تركتها ترعى الهعخع" فقد جعل منها اللغويون وأرباب البيان مثلا يُضرب للدلالة على رداءة النسج وبشاعة التأليف، حيث حشد فيها مجموعة من الأصوات المتلامسة المخارج مما يجعل نطقها غاية في الصعوبة، ومثلها كلمة **مستشزرات** من قول امرىء القيس:[3]

غدائده مستشزرات إلى العلا تضل العقاص في مثنى ومرسل

---

[1] ـ جمهرة اللغة: ابن دريد، تحقيق وتقديم: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، 1/ 46

[2] ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث، ط3، دت، 1/ 185

[3] ـ نفسه: 1/ 185

فهي وإن كانت دون الهعخع بشاعة، فإنها ثقيلة في النطق بسبب تقارب مخارج الأصوات التي تتكون منها، وذلك لتوسط الشين وهي مهموسة رخوة بين التاء وهي مهموسة شديدة والزاي وهي مجهورة،[1] وقد عدّ أرباب البلاغة مثل هذا النسج تنافرا يُخلُّ بفصاحة الكلمة، لذلك وجدنا ابن سنان الخفاجي يشترط في تأليف اللفظة أن تكون ذات مخارج متباعدة وعلة ذلك" أنّ الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر، ولا شك في أنّ الألوان المتباينة إذا اجتمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة، ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة...وإذا كان هذا موجودا على هذه الصفة لا يحسن النزاع فيه كانت العلة في حُسن اللفظة المؤلفة من الحروف المتباعدة هي العلة في حسن النقوش إذا امتزجت من الألوان المتباعدة"[2]

ولما كانت العرب تنفر مما يستثقل في كلامها طرحت ما يصعب النطق به لضرب من التقارب في الحروف، فلا يكاد يجيء في كلام العرب ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة، لثقل ذلك على ألسنتهم،[3] مثل قولك (دَدَدٌ)

ومن الأمثلة التي يقدمها ابن جني ما عبر عنه بقوله:" واعلم أنّ أقلّ الحروف تألفا بلا فصل حروف الحلق وهي ستة: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، فسبيل هذه الحروف متى اجتمعت منها في كلمة اثنان أن يكون بينهما فصل"[4]

ونفهم من كلام ابن جني بأنه لا يمكن التأليف بين حلقيين مثل (**ف ع**)، **أو**(**ع ل**)، من أصل عربي، وأنّ ذلك يكون ممكنا في (**ف ل**) كما يتضح من خلال الأمثلة التي قدمها ابن جني نفسه: **هدأ . حنأ . عبأ . حصأ . حطأ...الخ**

ومن اللغويين الذين تطرقوا لهذا الموضوع أحمد ابن فارس، ومن ذلك قوله في الصاحبي في فقه اللغة: المهمل على ضربين؛ ضرب يجوز ائتلاف حروفه في كلام العرب بتة وذلك كجيم تؤلف مع كاف، أو كاف تقدم على جيم، وكعين مع غين، أو حاء مع هاء أو غين، فهذا وما أشبهه لا يأتلف، والضرب الآخر ما يجوز تألف حروفه لكن العرب لم تقل عليه، وذلك كإرادة مُريد أن يقول(عضخ) فهذا لا يجوز تألفه وليس بالنافر، ألا تراهم قد قالوا في الأحرف الثلاثة (خضع) لكنّ العرب لم تقل (عضخ) فهذان ضربا المهمل"[5]

---

[1] ـ نفسه: 1/ 186
[2] ـ سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، ص66
[3] ـ نفسه: ص 57
[4] ـ سر صناعة الإعراب2/ 812
[5] ـ معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، ص 215

فمما يُستفاد من كلام ابن فارس أننا ينبغي أن نميز في إطار **بناء الوحدة المعجمية** بين نوعين من التأليفات:

. تأليفات غير ممكنة لأنها تخرق قواعد التأليف في اللغة العربية، هذه القواعد التي يمتنع التأليف بين صوتيات بينها قرابة أصواتية مثل: (**ج ك**)،(**ك ج**)، (**ع غ**)، (**ح هـ**)، (**ح غ**)، ومثل هذه التأليفات الذي ذكرها ابن جني في الخصائص: (**س ص**)، (**ط س**)، (**ظ ث**)، (**ت ظ**)، (**ض ش**)،(**ش ض**)،[1] (**ض ث**)، (**ث ض**)، (**ث ذ**)، (**ذ ث**)،[2]أو التي ذكرها ابن دريد في معجم الجمهرة[3] نحو(**ك ق**)، (**ق ك**)، (**ج ك**)، (**ك ج**)، **فلا تدخل اللغة مركبات مثل:** (**ع ح ب**)، و(**ح خ ت**)، (**هـ ح ث**)، (**ق خ ح**)، (**ق ك ح**)...

ويرى ابن جني أنّ مثل هذه التأليفات إنما أهملت في كلام العرب للاستثقال، وهو ما عبّر عنه بقوله:" أما إهمال ما أهمل، مما تحمله قسمة التركيب في بعض الأصول، أو المستعملة، فأكثره متروك للاستثقال، وبقية ملحقة به، ومُقفاة على إثره، فمن ذلك ما رُفض استعماله لتقارب حروفه؛ نحو: **سص، وطس، وظث، وثظ، وضش، وشض،** وهذا واضح لنفور الحس عنه، والمشقة على النفس لتكلفه، وكذلك نحو **قج، وجق، وكق، وكج، جك** وكذلك حروف الحلق، هي من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف، أعني حروف الفم"[4]

نلاحظ من خلال الأمثلة التي قدمها ابن جني للوحدات المعجمية المهملة، أنّ صوامتها متقاربة المخارج مما سبب ثقلا كبيرا وجهدا عضليا أثناء النطق بها، وهذا الأمر يأباه الحس العربي وينفر منه؛ لذلك استبعد الوحدات المعجمية التي تتألف صوامتها من مخارج متقاربة، ومن ثمة فإنه ميّال إلى تنويع الحركات العضوية لأعضائه النطقية، وهو ما عبر عنه سيبويه بقوله:" إنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موقع واحد ثم يعودوا له"[5]

وقدّم ابن منظور (711هـ) أحوالا لتنافر بعض الصوامت أثناء حديثه عن خصائص بعضها، فذكر أنّ" منها ما لا يتركب بعضه مع بعض، إذا اجتمع في كلمة، إلا أن يُقدّم، ولا يجتمع إذا تأخر، وهو: **ع هـ**، فإنّ العين إذا تقدمت تركّبت، وإذا تأخرت لا تتركب، منها ما لا يتركب، إذا تقدم، ويتركب إذا تأخر،

---

[1] - الخصائص 1/ 54
[2] - الخصائص: 63/1
[3] - جمهرة اللغة: 1/ 6
[4] - الخصائص 1 / 104
[5] - الكتاب 4/ 417

وهو، وهو: **ض ج**؛ فإنّ الضاد إذا تقدمت تركبت، وإذا تأخرت لا تتركب في أصل العربية، ومنها ما لا يتركب بعضه مع بعض لا إن تقدّم ولا إن تأخر، وهو: **س ث ض وظ ص**"[1]

فالنص يشير بشكل صريح إلى أنّ الصوامت الحلقية لا تتوالى في أغلب الأحيان في كلمة واحدة، ولكن قد ترد في بعض الكلمات شريطة أن يتقدم أحدهما على الآخر، وإن انتفى اجتماعهما، وذلك كما في كلمة (عهد)، حيث اجتمعت العين والهاء، وهما صوتان حلقيان، والذي سوّغ هذا الاجتماع هو تقدّم العين على الهاء، وربما يعود ذلك إلى القوة الكامنة في العين مقارنة بالهاء؛ ذلك أنّ العين مجهورة والهاء مهموسة.

هذا وقد وجدنا ابن جني نقلا عن السيوطي قسم تأليف الوحدات المعجمية إلى ثلاثة أضرب:[2]

أولهما: تأليف الحروف المتباعدة، وهو أحسنه، وهو أغلب في كلام العرب.

ثانيهما: الحروف المتقاربة لضعف الحرف نفسه، وهو يلي الأول في الحسن.

الحروف المتقاربة فإما رفض، وإما قلّ استعماله؛ وإنما كان أقلّ من المتماثلين وإن كان فيهما ما في المتقاربين؛ لأنّ المتماثلين يخفّان بالإدغام؛ ولذلك لما أرادت بنو تميم إسكان عين (مَعْهم) كرهوا ذلك؛ فأبدلوا الحرفين حاءين، وقالوا: (مححم) فرأوا ذلك أسهل من الحرفين المتقاربين.

وبذلك يمكن القول إنّ منهج اللغة العربية في بناء الوحدة المعجمية هو الميل إلى التخفيف والتيسير والتخلص ما أمكن من الأصوات المتنافرة؛ ولذلك كانت بنية الوحدة المعجمية في اللغة العربية تقوم على هذا الأساس، وهو الخفة في النطق، والجمال في السمع، فكان للقوانين الصوتية الدور المهم في تشكيل الوحدة المعجمية، وهذا ما جعلنا نلاحظ أنّ تأليف الوحدات المعجمية تأخذ بعين الاعتبار بعض المبادئ والقوانين الصوتية التي سبق وأن أشرت أليها سابقا.

[1] ـ لسان العرب 1/ 68

[2] ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها: 1/ 194

المحاضرة رقم (10): الظواهر التطريزية: المقاطع. النبر. التنغيم

تمهيد:

إنّ فكرة تجزئة الكلام إلى مقاطع فكرة أصيلة عند العرب و منبعها يمتدّ ـ فيما نخاله ـ إلى تلك المرحلة الطويلة التي عاشت فيها العربية لغة شفهية تُعتمَدُ في نقل صنائع أهلها و مُنجزاتهم على المشافهة والسّماع وقد ساهمت هذه الطبيعة في تنقية أصوات العربية من كل ما يحدّ من انسيابها أو يقف دون توارد مقاطعها في إيقاعٍ موسيقيّ جذّاب .[1] وقد تردد مصطلح (المقطع) بين ثنايا مؤلفات النحاة و اللغويين لكنه حملَ أكثر من معنى حيث نجد عبارتي (حروف المقطع) و(الحروف المقطعة) قاصدين بهما الحروف المفردة في مقابل المتصلة أو المجموعة [2] وأورد ابن جني مصطلح المقطع بمعنى (المخرج) [3]

أمّا ذكر المقطع بما يُوافق الدرس الصوتي الحديث فيعود إلى الفارابي فهو أول من ذكره في قوله "وكل حرف غير مصوت أتبع بمصوت قصير قرن به فإنه يسمى المقطع القصير والعرب يسمونه الحرف المتحرك" [4]

أولا . مفهوم المقطع:

لقد اختلفت تعريفات الأصواتيين المحدثين للمقطع " ووجدوا أنّ تعريفه أمر عسير "[5] ومن ثمّ فإنهم لم يتفقوا على تعريف محدد له و يرجع جانب من ذلك إلى أنهم يذهبون في تعريفه مذاهب شتى (صوتية وفيزيائية أو وظيفية أو مخرجية نطقية) وإلى أنّ الأجهزة المستخدمة لم تمكنهم من رسم حدود المقطع بدقة .[6]

أ . الاتجاه الأكوستيكي:

ويُعرّف المقطع تحت هذا الاتجاه بأنه"مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة" [7]فالمقطع بذلك له حدّ أعلى أو قمّة إسماع طبيعية وقد لاحظ الأصواتيون المحدثون أنه في حالة تسجيل الذبذبات الصوتية لجملة من الجمل فوق لوحٍ حسّاس يظهر أثر هذه الذبذبات في شكل خط متموج ويتكون هذا الخط من قمم ووديان (قواعد) وتلك القمم هي أعلى ما يصل إليه الصوت من الوضوح السمعي والوديان هي أقل ما يصل إليه الصوت من الوضوح وأصوات اللين تحتل في معظم الأحيان تلك القمم تاركة الوديان للأصوات الساكنة.[8]

---

[1] ـ ينظر : ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري : المهدي بوروبة ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، تلمسان 1423هـ ، 2002 م ، ، 270 - 271 .

[2] ـ المصطلح الصوتي عند الفلاسفة المسلمين بين الإبداع و الاتباع : نصيرة شيادي ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، تلمسا ن ، 1436هـ 1437هـ ، 2015 م 2016 م ، ص 303 .

[3] ـ سر صناعة الإعراب 1/ 6 .

[4] ـ كتاب الموسيقى الكبير 2 / 1075 .

[5] ـ اللغة ، فندريس ، ص 85 .

[6] ـ علم الأصوات : بارتيل مالبرج ، ص 154 - 155 و ينظر : دراسة الصوت اللغوي ، ص 280 .

[7] ـ أصوات اللغة : ص 139 .

[8] ـ الأصوات اللغوية : إبراهيم أنيس ، ص 161 .

ب . الاتجاه الفونولوجي (الوظيفي):

إنّ النظام المقطعي في اللغة العربية يختلف عن غيره من اللغات الأخرى و مما قيل في تعريف المقطع من هذا الاتجاه تعريف عبد الصبور شاهين " المقطع هو تأليف صوتي يتكون منه واحد أو أكثر كلمات اللغة متفق مع إيقاع التنفس الطبيعي ومع نظام اللغة في صوْغِ مفرادتها "[1] ويقول إبراهيم أنيس " إنه عبارة عن حركة قصيرة أو طويلة مُكتنفة بصوت أو أكثر من الأصوات الساكنة "[2]

ج . الاتجاه النطقي:

يُعرّف المقطع من الناحية النطقية بأنه " مجموعة أصوات تُنتجُ بنبضة أو خفقة صدرية واحدة "[3]

يظهر من العرض السابق لتعريفات المقطع أنّ كل تعريف يكشف جانبا من خصائصه تبعا للنظرة التي ينطلق منها كل تعريف وهي تتكامل ولا تتعارض و يمكن تقديم تعريف يجمع عناصر التعريفات السابقة مع مراعاة طبيعة المقطع في العربية وهو أنّ المقطع مجموعة أصوات تنتج بضغطة صدرية واحدة تبدأ بصوت صامت يتبعه صوت مصوت (قصير أو طويل) و قد يأتي متبوعا بصوت صامت أو اثنين ويكون الصوت الصائت فيه قمة الإسماع بالنسبة إلى الأصوات الأخرى التي يتألف منها المقطع.

2 . أهمية المقطع في الدراسات الصوتية:

اهتمّ الأصواتيون بدراسة المقاطع اهتماما كبيرا لما لها من أهمية و فائدة كبيرة في معرفة الجائز وغير الجائز من الصيغ في اللغة المدروسة وتتمثل أهميته في:[4]

. معرفة المقطع وحدوده و أنواعه يمكن أن تُسهّل على الطلبة تعلّم عروض الشعر وموازينه.

. معرفة المقاطع في اللغة يساعد على النطق السليم للكلمات ويضع حلولا ناجحة أمام معلمي اللغة لغير الناطقين بها.

. معرفة المقاطع تُذلّل بعض الصعوبات الإملائية فالمتعلم غير العربي إذا عرف أنّ كلمة مستحيل) مثلا تتألف من: مسْ + تَ + حيل لا يمكن أن يخطئ في كتابتها.

. معرفة المقاطع تعطي استعدادا لغويا لتحديد موضع النبر فالمقطع هو الميدان الذي يقوم فيه النبر بدوره.

. المقطع يشكل درجة في السلم الهرمي للوحدات الصوتية التي يتشكل منها من وحدات صوتية أصغر منه الفونيم والمقطع والكلمة.

. المقطع يُعدّ أكبر وحدة نحتاج إليها لشرح كيفية تجمع الفونيمات في اللغة فيما يُعرف بقيود التتابع.

---

[1] ـ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث : عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دط ، دت ، ص 25 .
[2] ـ موسيقى الشعر : إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 2 ، 1952 م ، ص 145 .
[3] ـ مناهج البحث في اللغة : ص 170 - 171 .
[4] ـ الأصوات اللغوية: عاطف فضل محمد، ص 93 - 95 .

3 . أشكال المقطع في اللغة العربية:

وقف الدارسون عند أشكال المقاطع في العربية و نظروا في مدى شيوع كل شكل و ندرة أو قلة بعض الأشكال لثقله ولذلك فإنّ اللغة تتحاشاه وأشكال المقاطع منطقة خلافية بين الدارسين فمنهم من يرى أنها سبعة و منهم من يرى أنها ستة أشكال ومنهم من يرى أنها خمسة أشكال وهو المجمع عليه.[1]

أ . المقطع القصير المفتوح (صامت + حركة) ورمزه : ص ح مثل كتب← ص ح + ص ح + ص ح.

ب . المقطع الطويل المفتوح أو المقطع المتوسط المفتوح (صامت + حركة + حركة أو حركة طويلة) مثل: ما ←ص ح ح.

ج . المقطع الطويل المغلق أو المقطع المتوسط المغلق:(صامت + حركة + صامت) مثل عنْ ← ص ح + ص.

د . المقطع المديد المغلق بصامت (صامت + حركة + حركة + صامت) مثل : قالْ← ص + ح ح + ص.

هـ . المقطع المديد المغلق بصامتين (صامت + حركة + صامت + صامت) مثل : كُنْتْ ← ص + ح +ص + ص. وهناك من يُطلق على هذا المقطع مصطلح المقطع العنقودي أو المقطع الطويل المزدوج الإغلاق والصحيح أنّ هذا الأخير هو (صامت + حركة + حركة +صامت + صامت) مثل : جَادّ ← ص + ح ح +ص + ص . ووسمه آخرون بالمقطع البالغ الطول المزدوج الإغلاق وهو المقطع 4 و 5 نادرا الشيوع في اللغة العربية الفصحى ولا يكونان إلا في النثر فقط وبشرط الوقف بعكس المقاطع الثلاثة الأولى الأكثر شيوعا في الكلام العربي.

4 . هل المقطع في اللغة العربية يبدأ بصامت أم بصامتين؟

يرى كولو كلي(Coulou Cley) . 1976 . أنه لا يمكن الابتداء في اللغة العربية بصامتين؛ بل إنّ هذا الرأي نجده مشتركا بين المهتمين بهذا المجال. لكن إذا تأملنا جيدا الكلمات التي تبدأ بهمزة الوصل، فإنّ نُطقها يختلف حسب السياق، فهمزة الوصل تُنطق في بداية الكلام وإن كانت مسبوقة بكلمة أخرى، فإنّ المقطع(I) المكوّن من همزة الوصل والكسرة يحذف مثال(istaqbala) تصبح(Staqbala). قد يقال: إنّ الصامت الأخير من كلمة(Staqbala) يصبح ذيلا(coda) للمقطع الذي يسبقه، وبالتالي لا يمكن الابتداء بصامتين. والرد على ذلك أنه في دراسة نبر الكلمة فإننا ننطلق من الكلمة كوحدة نبرية(unité accentuelle) وعندما نودّ القيام بتحليل مختبري لنبر الكلمة، فإنها تسجل(Enregistrement

[1] ـ الأصوات اللغوية: عاطف فضل محمد، ص 97 و ينظر: الدراسات الصوتية عند العلماء العرب و الدرس الصوتي الحديث ، ص 213 - 214 .

sonore) في جملة نموذجية (phrase cadre) ذات تنغيم محايد لغايات صوتية أخرى. وعند القيام بالاختبار الإدراكي تعطى هذه الكلمات للمستمعين بالطريقة التي سجلت بها. أي أنها تبدأ بصامتين. لتحديد المقاطع المنبورة. فلو سلمنا بأنّ الصامت الأول من (Staqbala)يصبح ذيلا للمقطع السابق لصارت الكلمة(taqbala). وفي اللغة العربية لا توجد كلمة بهذه المكونات تفيد ما تفيد كلمة(Staqbala)

إذا، بناء على هذا المعطى الصوتي، وانطلاقا من مقولة الكلمة كوحدة نبرية، نسلم بأنّ المقطع في اللغة العربية يبدأ بصامتين وبصامت واحد. ومن هذا المنطلق تمّ تكوين المتن الذي اشتغلنا عليه لدراسة نبر الكلمة.[1]

ثانيا: النبر Stress

1 . مفهوم النبر:

يدل أصله اللغوي على الرفع والعلو ونبر الغلام: صاح ورجل نبّار فصيح جهير، والنبر في الكلام الهمز أو قريب منه.[2]

والنبر في الدرس الصوتي الحديث يدل على معنى يقترب مما ورد في المعاجم من أنّ النبر عند العرب ارتفاع الصوت أو هو علوّ في الكلمة سوى أنّ المحدثين يربطون بين النبر والمقطع الصوتي وأنهم استخلصوا لذلك العلو في الكلام قواعد أو ضوابط من ملاحظته في عدد من اللغات الإنسانية.

ومصطلح النبر مصطلح أوربي حديث [3] لم يذكره النحاة و اللغويون في مباحثهم اللغوية ولكنهم كانوا شديدي الحرص على تبيان مقاصدهم الكلامية وأغراضهم النطقية وهذا لا يتحقق إلا باستخدام هذا الملمح التمييزي (النبر) ولكن هذا لا يعني البتة إنكاره من لدنهم كما ذهب إلى ذلك غير واحد من العلماء العرب والمستشرقين وهم على عدم صواب في ذلك [4] فقد عبّرت العربية عن مصطلح النبر بمسميات مختلفة : الهمز . العلو . الرفع . مطل الحركات . الارتكاز . الإشباع . المد . التوتر . التضعيف[5] . التطويح . التطريح . التفخيم . التعظيم .[6]

---

[1] ـ مجلة اللسان العربي من مقال بعنوان: نبر الكلمة وقواعدها في اللغة العربية، عبد الحميد زاهيد، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، العدد 44،1964، ص 94 - 95

[2] ـ معجم مقاييس اللغة : أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق و ضبط : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، 1399هـ 1979 م ، مادة (نبر) 5 / 380 و ينظر : لسان العرب مادة (ن ب ر) 5 / 221 - 222 .

[3] ـ المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : ص 281 .

[4] ـ ينظر تفصيل خاص بشأن هذه القضية : المصطلح الصوتي عند الفلاسفة المسلمين بين الإبداع و الاتباع ، ص 321 - 322 .

[5] ـ الأصوات اللغوية : عبد القادر عبد الجليل ، ص 241 .

[6] ـ الخصائص 2 / 150

إنّ النبر في الدرس الصوتي يعني" نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح وأجلى نسبيا من بقية المقاطع التي تجاوره" [1] فيصاحبه نشاط فجائي يعتري جميع أعضاء النطق في وقت واحد ليصبح الصوت عاليا واضحا دون سواه.[2]

2 . درجات النبر:

يختلف الدارسون اللغويون فيما بينهم حول عدد درجات النبر الواقع على الكلمة الواحدة فمنهم من يرى أنّ النبر متساوٍ أي له درجة واحدة ومنهم من يرى أنّ للنبر درجتين هما الأولى أو الرئيسي وهو النبر الأكثر قوة والنبر الثانوي وهو النبر الأضعف.

ومن اللغويين من يرى أنّ للنبر ثلاث درجات هي: القوي والمتوسط أو الثانوي والضعيف ومنهم من يرى أنّ للنبر أربع درجات هي الأولي و الثانوي والنبر الثالث والنبر الضعيف وهذا أضعف درجات النبر جميعا.[3]

. النبر القوي ← دَرَسَ

↓ نبر قوي رئيس (الدال تنطق بارتكاز أكبر من الفونيمين الباقيين)

. النبر الوسيط ← مس/تحيل

↓ نبر وسيط

. النبر الضعيف ← درسَ

↓ نبر ضعيف

3 . أنواع النبر

في اللغة العربية نوعين من موقعية النبر في التشكيل الصوتي وهما: النبر الصرفي والنبر الدلالي.[4]

. النبر الصرفي: وينقسم إلى قسمين بحسب قوة النطق ودرجة الدفعة (أولي وثانوي)

أ . قاعدة النبر الأولي:

. يقع النبر على المقطع الأخير في الكلمة إذا كان من نوع (ص ح ح ص)، (ص ح ص ص) أي من النوع الطويل مثل: قال، استقال، قلّ، استقلّ، ومن النوع المتوسط في الكلمات أحادية المقطع كفعل الأمر من قال.

---

[1] ـ علم الأصوات : ص 512 .
[2] ـ الأصوات اللغوية : إبراهيم أنيس ، ص 170 و ينظر : علم الأصوات لبارتيل مالبرج ، ص 187 .
[3] ـ الأصوات اللغوية : عاطف فضل محمد ، ص 147 - 148 .
[4] ـ مناهج البحث في اللغة : ص 161 - 162 .

. يقع على ما قبل الآخر إذا كان متوسطا والآخر متوسطا سواء كان المقطع المتوسط من نوع (ص ح ص) أو (ص ح ح) مثل: علّم، عبدك، يتوفاكم، قاتل، جوارٍ أو كان ما قبل الأخير من نوع (ص ح) القصير مبدوءة به الكلمة أو مسبوقا بصدر إلحاقي نحو: كتب، محترم، انحبس.

. يقع النبر على المقطع الذي يسبق ما قبل الآخر إذا كان الآخر يقع ما قبله في إحدى الصور الآتية:

(ص ح + ص ح ص) ← علّمك، حاسبك

(ص ح + ص ح ح) ← علموا، ضربك

ولا يقع النبر على مقطع سابق لهذا الأخير

ب . قاعدة النبر الثانوي

إن مجال النبر الثانوي في الكلمة أضيق منه فيي الجملة أو المجموعة الكلامية ومع هذا فإنّ النبر الثانوي يوجد في الكلمات ذوات المقطعين فأكثر فالمقطع المنبور نبرا ثانويا يمكن وجوده على مسافات محددة من النبر الأولي كما يأتي :[1]

. يقع النبر الثانوي على المقطع الذي قبل المقطع المنبور نبرا أوليا إذا كان ذو النبر الثانوي طويلا مثل: ضالّين حاجّات مدهامّات.

. ويقع على المقطع الذي بينه و بين المنبور نبرا أوليا مقطع آخر إذا كان المنبور الثانوي يكوّن مع الذي يفصل بينه وبين المنبور الأولي أحد الانساق الآتية:

أ . مقطع متوسط + آخر متوسط (ص ح ص) أو (ص ح ح) مثل: علمناه، مستبقين، يستخفون، عاشرناهم

ب . مقطع متوسط + مقطع قصير مثل: مستقيم، مستعدة، صاحبوهم

. ويقع على المقطع الثالث قبل المنبور نبرا أوليا إذا كانت الثلاثة السابقة لهذا المنبور الأولي تكوّن نسقا في صورة (متوسط + قصير + قصير أو متوسط) نحو: مستحمّين، يستفيدون، ما عرفناهم، محتملوهم.

ولا يقع الضغط الثانوي على المقطع الرابع السابق للمنبور الأولي في الكلمة.

. النبر الدلالي (نبر السياق)

ويسمى كذلك نبر الجملة يقوم بدور دلالي هام في تحديد القيم الدلالية لسياقات اللغة وتراكيبها المختلفة والمقصود به أن " يعمد المتكلم إلى كلمة في جملته فيزيد من نبرها ويميزها على غيرها من كلمات الجملة رغبة

[1] - مناهج البحث في اللغة: ص 162 - 163 .

منه في تأكيدها أو الإشارة إلى غرض خاص، وقد يختلف الغرض من الجملة تبعا لاختلاف الكلمة المختصة بزيادة نبرها "[1]

ففي قولنا مثلا: هل سافر أخوك أمس ؟ فإنّ الغرض الدلالي يختلف بحسب اختلاف مواضع النبر على أجزاء الجملة أو بحسب النبر الزائد في كلماتها . فإن كان النبر الزائد (الرئيسي) واقعا على الكلمة سافر فتكون دلالتها الأساسية أنّ المتكلم يشكّ في حدوث السفر أما إذا كان النبر الرئيسي على الكلمة: أخوك فتكون دلالتها الأساسية في الشك في فاعل السفر فقد يكون شخصا آخر هو الذي قام بالسفر أما إذا كان النبر الرئيسي على كلمة: أمس فإنّ دلالتها الأساسية تكون في الشك في تاريخ السفر.[2]

4 . علاقة النبر بالقوانين الصوتية والزيادة واللواحق:[3]

أولا . علاقة النبر بالقوانين الصوتية:

ليست تأثيرات القوانين الصوتية في أماكن ارتكاز النبر عامة ومطلقة؛ وإنما يختلف تأثيرها من قانون صوتي لآخر.

أ . القوانين الصوتية التي تؤثر في موضع النبر:

أ1. الإعلال بالقلب:

يؤدي قانون القلب إلى تغيرات صوتية ومقطعية تؤثر في ارتكاز النبر، وعلى سبيل المثال النبر في (قولَ) يرتكز على المقطع الثالث/قَ/ حين نعدّ من آخر الكلمة، وفي (قال) يرتكز على المقطع الثاني /قا/ حين نعدّ من آخر الكلمة، والسبب يعود لتغيّر عدد المقاطع ونوعها في الكلمة، حيث حدث دمج بين مقطعين(قَ+والألف المنقلبة عن واو) مما أدى إلى تغير موضع النبر، والأمر ذاته في (باع، وبيعَ...)

أ2 . الإعلال بالنقل:

ومن ذلك(أعْوُذُ)، و(أعُوْذُ) حيث يرتكز النبر في (أعوذ) على المقطع الثاني، وعلى المقطع الثالث في (أعْوُذ) حين نعدّ من آخر الكلمة، وسبب تغير موضع النبر يعود لتغير عدد المقاطع ونوعها.

ب . القوانين الصوتية التي لا تؤثر في موضع النبر:

ب1 . الإعلال بالحذف:

[1] ـ الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص 175

[2] ـ الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث: ص 190 - 191

[3] ـ مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، من مقال بعنوان: التشكيل المقطعي (مفهومه وعلاقته بالنبر اللغوي)، سامي عوض، وصلاح الدين سعيد حسين، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد31، العدد2، 2009م، ص 78 - 80

لا يتأثر موضع النبر عند الإعلال بالحذف، ويتضح ذلك في(يصل) التي أصلها (يوصل)، حيث لم يتغير موضع النبر بل بقي كما هو على المقطع الثالث حين نعدّ من الأخير في الكلمتين، والسبب في ذلك أنّ حرف المضارعة حلّ مكان الصوت المحذوف.

ب2 . الإدغام:

لا يؤثر الإدغام في موضع النبر، ومثال ذلك (مدد)، و(مدّ)، حيث يقع النبر على المقطع الثالث قبل الإدغام وبعده، وكذلك في(مددناها، ومدّدناها) يقع النبر على المقطع الثاني في الكلمتين حين نعدّ من آخر الكلمة.

ب3 . الإبدال:

لا يغير الإبدال في موضع النبر لأنه لا يؤدي إلى تغير مقطعي، ومن ذلك(اذتكر، واذدكر، ادّعى وادتعى) حيث يبقى النبر على المقطع الثالث في الكلمتين حين نعدّ من آخر الكلمة.

ج . أثر الزيادة واللواحق في تغيّر مواضع النبر:

لا تؤدي الزيادة إلى تغيّر في موضع النبر سواء أكانت حرفا واحدا أم أكثر، وفي أول الكلمة أم في وسطها أم في آخرها إذا لم تؤدّ إلى جعل المقطع الذي قبل الأخير طويلا، ومن أمثلة ذلك:

1 . الزيادة التي لا تؤدّي إلى تغيّر في موضع النبر:

. الزيادة في أول الكلمة: ومن ذلك(قامت وأقامت) حيث همزة القطع لم تغيّر في البنى المقطعية للكلمة، ولذا وقع النبر على المقطع/قَا/ في الكلمتين.

. الزيادة داخل الكلمة: نحو(ورثَتْ، ورّثت) حيث يقع النبر على المقطع الثالث حين نعدّ من آخر الكلمة ومن ذلك(صعد وصعّد)

. الزيادة في آخر الكلمة:

ومن ذلك(كتب وكتبه) حيث النبر في الكلمتين يقع على المقطع الثالث حين نعدّ من آخر الكلمة.

2 . الزيادة التي تؤدي إلى تغيّر موضع النبر:

وهي التي تجعل المقطع الذي قبل الأخير طويلا نحو:(علّم)و(عَلّمْنا)، حيث يقع النبر على المقطع الثالث في الكلمة الأولى حين نعدّ من آخر الكلمة، ويقع على المقطع الثاني حين نعدّ من الأخير في الكلمة الثانية لأنّ المقطع الذي قبل الأخير من النوع الطويل.

3 . أثر اللواحق:

لا يعتبرُ الصّرفيون اللواحق من أحرف الزيادة، ولذا تُخرج من الوزن في علم الصرف وكأنها غير موجودة في الكلام، وذلك رغم أنّ التصاقها بالكلمة يؤدي إلى تغيّرات صوتية ومقطعية، واللواحق كثيرة منها:

أ . النسبة: نحو(عربيّ) من(عرب) وفي هذه الحالة دخول ياء النسبة أدى إلى تغير موضع النبر، حيث في (عرب) يقع على المقطع الثالث/عَ/ وفي(عربيّ) . في حالة التنوين . يقع على المقطع الثاني/بي/ حين نعدّ من آخر الكلمة.

ب . التثنية: نحو(جبلان) من جبل، ويقع النبر في (جبلٌ) على المقطع الثالث/جَ/، وفي (جبلان) يقع على المقطع الثاني/لا/ حين نعدّ من آخر الكلمة.

. الجمع السالم: نحو(ورقات من ورقة) حيث يقع النبر على المقطع الثالث في الكلمة الأولى وعلى المقطع الثاني في الكلمة الثانية حين نعدّ من آخر الكلمة.

ويبقى أن نقول إنّ التطور اللغوي يفرض تغيرات صوتية ومقطعية تؤثر في موضع النبر داخل الكلمة المفردة، وعند تجاورها مع كلمات أخرى في الجملة، ولذا يمكن النظر إلى النبر على أنه عادة لغوية تكتسبُ اكتسابا كبقية القوانين الصوتية.

ثالثا: التنغيم Intonation

1 . مفهوم التنغيم

هو"تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة وهو وصف للجمل و أجزاء الجمل و ليس للكلمات المختلفة المنعزلة "[1]

أي هو ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام وبالتالي هو قمة الظواهر الصوتية التي تكسو المنطوق كله إنه الخاصة الصوتية التي تلفّ المنطوق بأجمعه؛ فالتنغيم هو الكل في الواحد إنه ينتظم في أثنائه جملة الظواهر الصوتية الأخرى كالنبر الذي يعتبر عامل مهم من عوامل التنغيم.

والتنغيم في المنطوق يقوم مقام الترقيم في الكتابة يقول تمام حسان " والتنغيم في الكلام يقوم مقام الترقيم في الكتابة غير أنّ التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة "[2]

ففي العربية أسلوبان ينقلان الجملة من دلالة إلى أخرى وهما ضروريان للتعبير أحدهما التنغيم ويكون إلا في الأداء والآخر الترقيم ويكون في الكتابة.

---

[1] ـ دراسة الصوت اللغوي: ص 229 .

[2] ـ اللغة العربية معناها ومبناها: ص 226 .

إنّ نغمات الكلام دائما في تغيّر من أداء إلى آخر ومن موقف إلى موقف ومن حالة نفسية لأخرى [1] فهو " جملة من العادات الأدائية المناسبة للمواقف المختلفة من تعجب واستفهام وسخرية وتحذير "[2]فمثلا عندما ينطق المتكلم بعبارة: بدأت المحاضرة بنغمة صوتية معينة فإنه يخبر عن وقت البدء ولكن عندما تنطق بنغمة مختلفة تتحول الجملة من الإخبار إلى الاستفهام وكأنه يسأل.

وتثيرُ مسألة التنغيم في التراث العربي إشكالية بين الدارسين العرب والمستشرقين المحدثين حيث يرى قسم منهم أنّ القدامى لم يتناولوا الظاهرة بالدرس والتحليل ويرى البعض الآخر من المعاصرين أنّ كتب القدامى لا تخلو من إشارات حول الظاهرة.[3]

2 . أنواع النغمات: ثلاث[4]

. النغمة الصاعدة: وتعني وجود درجة منخفضة في مقطع أو أكثر تليها درجة أكثر علوا منها.

. النغمة الهابطة: وتعني وجود درجة عالية في مقطع أو أكثر تليها درجة أكثر انخفاضا.

. النغمة المستوية: وتعني وجود عدد من المقاطع تكون درجاتها متحدة وقد تكون هذه الدرجات قليلة أو متوسطة أو كثيرة.

3 . مظاهر التنغيم في النحو العربي:

وسنذكر من الأمثلة ما يلي:

أ . أسلوب الشرط:

يخضع أسلوب الشرط في كثير من قضاياه إلى الأداء التنغيمي لأجزائه، فمن المعروف عن الشرط يتكون من أركان ثلاثة:(الأداة، وجملة الشرط، وجواب الشرط)، وهو الترتيب الذي تشدد العربية على الالتزام به ولا يقبل التقديم والتأخير فيه إلا لدواعٍ قاهرة، وإذا حدث هذا التقديم للجواب صار التنغيم ذا دلالة كبيرة عليه؛ لأنّ هذا الجواب سوف ينطق به بطريقة تُبين ذلك الارتباط بينه وبين الجملة التي تليه، وتدل على أنه الجواب المقصود، نقول مثلا: إذا قهرك أعداءك أنت بطل، وإذا غيرنا من ترتيب هذه الجملة صارت صارت: أنت بطل إذا قهرك أعداءك، فنلاحظ أننا قد نطقنا الجملة بنبرة واطئة، بينما صعدنا هذه النغمة لما نطقنا الجملة(إذا قهرت أعداءك)، فكأننا نريد أن نقول إن بطولتك ورفعتك منقوصة، إلا إذا رفعتها وأعليتها بقهر أعدائك، فكان النطق بهذه الجملة بهذه النغمة العالية الصاعدة، وللتنغيم أيضا دور كبير حينما يقع

---

[1] ـ فن الكلام : كمال بشر ، دار غريب للطباعة و النشر ، القاهرة ، دط ، 2003 م ، ص 262 - 263 .

[2] ـ علم الأصوات : بارتيل مالبرج ، ص 209 .

[3] ـ ينظر تفصيلا بخصوص هذه المسألة أطروحة الدكتوراه : المصطلح الصوتي عند الفلاسفة المسلمين بين الإبداع و الاتباع ، ص 336 - 337 .

[4] ـ أصوات اللغة : ص 153 - 154 .

الحذف على جملة الشرط أو جملة الجواب، ويصير التنغيم بدلا من المحذوف وقد ورد من الشعر ما فيه حذف جملة الشرط كما في قول الأحوص(من الوافر):

فطلّقها فلست لها بكفء وإلاّ يعْلُ مفْرِقكَ الحُسامُ[1]

والنحاة يقدرون في مثل هذه الجملة محذوفا هو(وإلا تطلقها يعل مفرقك الحسام)

ولكننا إذا تأملنا في التركيب وجدنا أنّ القارىء لابدّ من تنغيم خاص للفظ(إلاّ) يحمل معنى التهديد والوعيد، وهو يغني عن المحذوف، لقد أغنى هذا التلوين النغمي ل(إلا) عن التأويل بجملة محذوفة، وأدى الشرط معه مراده دون حاجة إلى إعادة تشكيل الجملة مع هذا المحذوف.

وفي قول الشاعر(من الكامل):

قالت بنات العم يا سلمى وإن....كان فقيرا معدما، قالت وإن[2]

في هذه الجملة احتجنا إلى نغمتين مختلفتين، أولهما تنغيم لبيان الاستفهام وهو موجود في(وإن كان فقيرا معدما؟) والتنغيم الثاني في لفظ(وإن) وما حمله من ضغط عبّر من خلاله ـ على لسان المرأة ـ عن الإصرار والتشبث بالموقف، غير أننا نجد النحاة يكلفون أنفسهم عناء البحث عن محذوفات كثيرة، فيقولون إنّ التقدير هو(وإن كان فقيرا معدما ستتزوجينه؟) ويكون الجواب:(نعم، وإن كان فقيرا معدما سأتزوجه)[3]

ب ـ أسلوب التعجب:

من أوضح الأساليب التي نجد التنغيم فيها يؤدي دورا تمييزيا أسلوب التعجب، فأداء الجملة التعجبية أداء خاصا ، تتمايز نغماته وتتباين عن أساليب التأكيد والنفي، وقد يكون من السذاجة بمكان أن نقنع بما أورده بعض مؤرخي اللغة والنحو في سبب نشوء النحو في تلك الرواية التي تزعم أنّ ابنة أبي الأسود الدئلي قالت لأبيها يا أبت ما أجملُ السماء؟ فقال نجومها، فقالت: إنما أردت التعجب، فقال لها: قولي إذا ما أجملَ السماء.[4] أوكان جهل أبي الأسود بالعربية وفنون الكلام ونغمهِ إلى هذا الحد الذي جعله لا يفرق بين المعاني إلا بواسطة الإعراب؟! أم كانت ابنته غريبة عن هذه اللغة حتى لا تعرف كيف تعبر عما في وجدانها، وقد افتخر الأعراب بسليقتهم، فقال قائلهم(من الطويل):

ولستَ بنحوي يلوكُ لسانَهُ ولكني سليقي أقولُ فأُعربُ

إنها ليست إلا دلائل واهية على أنّ للإعراب وحده دورا كبيرا في صناعة المعاني

---

[1] ـ الديوان، الأحوص، تحقيق: عادل سليمان جمال، ص 190

[2] ـ مغني اللبيب، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، ط1، 1998م، ص 614

[3] ـ مجلة كلية الآداب واللغات، من مقال بعنوان: التنغيم والقوانين النحوية، عمار ربيح، جامعة بسكرة، جوان 2017م، ص 18

[4] ـ ظاهرة الإعراب، أحمد سليمان ياقوت، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت، ص 17

وإذا عدنا إلى أسلوب التعجب فإننا نجد النحويين قد قسموه إلى قسمين: تعجب قياسي وآخر سماعي؛ فالقياسي ما جاء على إحدى الصيغتين(ما أفعله)و(أفعل به) وسمّاه النحويون قياسيا لإمكان القياس عليه إذا توافرت شروطه الثمانية،* وأما السماعي فهو ما سمع عن العرب من ألفاظ خاصة تستعمل في هذا الأسلوب تلفظا(ياله أو يالك)، أو لفظ(لله دره ولله أبوه)، ولفظ(سبحان الله) إذا دلّ المقام على ذلك أو الفعل عجب ومشتقاته.[1]

ج . أسلوب العرض والتحضيض:

يتم هذا الأسلوب في العربية بأدوات معينة هي: لولا . لوما . هلا . ألا . لو، ويشترط النحاة كي تؤدي هذه الأدوات معنى العرض أو التحضيض أن يليها فعل مضارع، أو ما كان في معناه، والعرض هو الطلب في رفق بينما التحضيض هو الطلب في شدة وعنف، ويشترك الأسلوبان في أداتين هما (ألا ولولا) وربما استعمل للتحضيض أيضا الأداة (لو)، فإذا كانت الجملة في إحدى هاته الأدوات فما السبيل إلى التفريق بين الأسلوبين في جملة مثل(لولا تهتم بشؤون أسرتك).[2]

إنه لا سبيل إلى ذلك غير طريقة وكيفية النطق بها، نعني بذلك تنغيمها، فإذا كان التنغيم دالا على الرفق والليونة كان أسلوب عرض، وإن كان دالا على الحزم والشدة كان تحضيضا.

د . أسلوب الإغراء والتحذير:

يعرف النحاة هذا الأسلوب بأنه نصب الاسم بفعل تقديره الزم أو احذر،[3] ولكننا نعتقد أنّ فائدة هذا الباب أكبر من عملية حدوث النصب؛ بل إنّ الموقف الذي يؤدى فيه هذا التعبير موقف انفعالي إلى أبعد الحدود، نجد المتكلم يسرع إلى هذا الأسلوب الوجيز وكأنّ الزمن لا يسعفه أن يقول كل ما يريد قوله، أو ما عبر عنه السيوطي بقوله:"إنّ الزمن يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وإنّ الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم وهذه فائدة باب التحذير والإغراء"[4]

إنّ ذكر المحذر منه أو المغرى به يتطلب شحنة كبيرة من الانفعال وارتفاعا بينا من الصوت، ولنسمع إلى ابن الخطيب يوصي أبناءه:" والله الله لا تنسوا الفضل بينكم، ولا تذهبوا بذهابه زينكم" فلفظ(الله الله) قد

---

* ـ الشروط الثانية كما حددها النحاة هي أن يكون الفعل: ثلاثيا، ماضيا، مثبتا، تاما، متصرفا، مبنيا للمعلوم معناه قابل للتفضيل، ليس وصف المذكر منه على وزن أفعل الذي مؤنثه فعلى.

[1] ـ مجلة كلية الآداب واللغات، من مقال بعنوان: التنغيم والقوانين النحوية، عمار ربيح، ص 19

[2] ـ نفسه، ص20

[3] ـ النحو الوافي، 126/4

[4] ـ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي،دار المعرفة، ط4، 1979م، 95/2

قالها ابن الخطيب بإطالة وتفخيم تخويفا لهم وكأنه يريد أن يقول لهم: اخشوا الله وخافوه فلا تنسوا الفضل بينكم.[1]

هـ. أسلوب النداء والندبة والاستغاثة:

تشترك هذه الأساليب جميعها وتتشابه في استعمال أداة مصوتة هي أداة النداء(يا) التي تصير حال الندبة(وا) والتنغيم في أسلوب النداء واضح من خلال إطالة المد ب(يا) إذا كان المنادى بعيدا لا يسمع أو غافلا لا يجيب، فإذا كان المنادي قريبا فإنّ ما تستعمله من الأدوات هو ما لا نحتاج فيه إلى الإطالة، فنستعمل(الهمزة) أو(أي) ويبدو التنغيم واضحا حين الاستغناء عن هذه الأدوات، وحينها نضطر إلى مد الصوت بواسطة إطالة بعض المنادى، ومن قبيله ما نقوله في لهجتنا(محماد، علي، صالاح) ولذلك فإننا نجد صعوبة في نداء بعض الأعلام التي لا تتلاءم مع المد والتطريب مثل(هند).[2]

أما في حال الاستغاثة والندبة فإنّ إطالة الصوت دليل على الانفعال ولذلك نراهم في الندبة يزيدون المد آخر المندوب أو المتوجع منه مبالغة في التأثر والانفعال، قال سيبويه:"اعلم أنّ المندوب مدعو لكنه متفجع عليه، فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف للندبة كأنهم يترنمون فيها"[3] وقال ابن يعيش:" وأما (وا) فمختصة بها الندبة لأن الندبة تفجع وحزن والمراد رفع الصوت ومده ليبلغ أسماع جميع الحاضرين"[4]

و. أسلوب الاستفهام:

يؤدى الاستفهام في العربية عادة بإحدى أداتين أصليتين وهما: الهمزة، وهل. وتدلان على التصديق والجواب عنه إما أن يكون (بنعم، أو بلا) ولكن الاستفهام أحيانا قد يؤدي دوره من غير أداة البتة، ويرجع الفضل حينها إلى التنغيم الذي يؤدي فيه دورا كبيرا، ولقد كثرت الشواهد من القرآن والشعر التي دلت على أهمية التنغيم في أسلوب الاستفهام. فقوله تعالى على لسان موسى مخاطبا فرعون:﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إسرائِيلَ﴾[5]أي: أتلك نعمة؟ وقول الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم:" ندي من لا صاح ولا أكل؟"[6] وهي تساوي(أندي)، وقولهم في المثل:" تعلمني بضب أنا حرشته؟"[7] أي(أتعلمني). ولقد استطاع

---

[1] ـ مجلة كلية الآداب واللغات، من مقال بعنوان: التنغيم والقوانين النحوية، عمار ربيح، ص 21
[2] ـ نفسه: ص 21 - 22
[3] ـ الكتاب، سيبويه، 1/ 321
[4] ـ شرح المفصل، 2/ 120
[5] ـ سورة الشعراء الآية 22
[6] ـ من وظائف الصوت اللغوي، ص 110
[7] ـ مجمع الأمثال، الميداني، منشورات صادر، مكتبة الحياة، بيروت، ط2، دت، 1/ 172

شاعر كابن أبي ربيعة أن يحذف أداة الاستفهام، ويدل كلامه على المعنى دون لبس أو نقص بقوله(من الخفيف)

ثمّ قالوا: تُحبها قلتُ بهرا عدد النجم والحصى والتراب[1]

فقد استعمل(تحبها) استعمالا استفهاميا بلا أداة، وهناك تنغيم آخر في البيت وهو قوله: قلت(بهرا) أراد أن يبين الكثرة والعظمة، فكان النطق بها بنغمة صاعدة.

[1] ـ الديوان، ص 30

المحاضرة رقم (11): الظواهر الصوتية في العربية ـ الإعلال ـ

أولا ـ مفهوم الإعلال

جاء في اللسان:((العَلّ والعَلَلُ: الشربة الثانية، وقيل: الشرب بعد الشرب تباعا، يقال: عَلَلٌ بعد نهلٍ.....

ابن الأعرابي: عَل الرجل يَعِل من المرض، وعَل يَعِلّ ويَعَلّ من علل الشرب))[1]

ويعرف الإعلال اصطلاحا بأنه عملية((تغيير حرف العلة أي الألف والواو والياء بالقلب أو الحذف أو الإسكان))[2]

فالإعلال تغيير يطرأ على أحرف العلة في الكلمات وما يلحق بها (الهمزة)، فيتسبب هذا التغيير بحذف الحرف، أو إسكانه، أو قلبه حرفا آخر من الأربعة المذكورة (ألف ـ واو ـ ياء ـ همزة) وفقا لأصول وقواعد محددة نحو باع (وأصل الفعل بيَعَ، قلبت الياء ألفا)[3]

ويعدّ مصطلح الإعلال من مصطلحات العالم اللغوي سيبويه، فقد استعمله بمعنى الإبدال بين أصوات العلة (أصوات المد)، ولما كان الإبدال الصوتي يحدث بين صوتي الواو والياء كثيرا، فهما ((أكثر الفونيمات عرضة للتغير))[4]، لذلك سمي إعلالا تشبيها له بالعلة التي تصيب الجسم الصحيح.

فقد أجرى علماء الصرف العديد من البحوث من أجل تقعيد حروف العلة (الألف، الواو، الياء) وشقوا طريقا واسعا في هذا المجال إلا أن هذه البحوث قد شابها كثير من الخلط، لأن موقف القدماء من حروف العلة قد ارتبط بشكل الكتابة، فكانت لديهم ثلاثة أحرف ترسم بثلاثة رموز، هي (الألف، الواو، الياء) مع ملاحظة أن رمزي (الواو، الياء) يعبران في نظرهم عن أربعة أصوات، هي (ياء المد، ياء العلة، واو المد، واو العلة)،وعندما ننظر في الوصف الصوتي لحروف العلة المتمثلة في (الألف، الواو، الياء) نلاحظ ما يلي:[5]

صوت الواو: (W)

---

[1] – لسان العرب مادة(علل) 11 / 467

2 – شرح الشافية 3 / 67

[3] . الصرف وعلم الأصوات: ديزيره سقال، دار الصداقة العربية، بيروت، ط 1، 1996م، ص 139

4 – مجلة الدراسات اللغوية، مج 2، 2 / 101

5 – الأصوات اللغوية : عبد القادر عبد الجليل، ص 150

صوت انتقالي صامت أو نصف حركة أو شبه صوت لين أو نصف علة، أو صوت صائت قصير أو طويل يخرج من أقصى اللسان شفوي مجهور ذو طبيعة مزدوجة، له قابلية التحول إلى صوت صائت خالص ممتد.

يخرج هذا الصوت من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك الأعلى، حيث تنظم الشفتان إلى بعضهما في وضع إستداري حين النطق به وتتذبذب الأوتار الصوتية، ولهذا الصوت حالتان:

الحالة الأولى: تتمثل في كون هذا الحرف صامتا، كما في المثال التالي:

وَلَـد ←←←waLad

الحالة الثانية: تتمثل في مون هذا الحرف صوتا صاتا، أي حركة مد طويلة، كما في الأمثلة التالية:

رُوح ←←←rūh

صوت الياء: (y)

صوت انتقالي صامت أونصف حركة أو شبه صوت لين أو نصف علة، أو صوت صائت طويل، ذو طبيعة ازدواجية وقابل للتحويل من صائت طويل إلى صامت، يخرج هذا الصوت من الغار وتتذبذب فيه الأوتار الصوتية، ولهذا الصوت حالتان:

الحالة الأولى: تتمثل في كون هذا الحرف صامتا، كما في المثال التالي:

يُرِيد ←←←yurīd

الحالة الثانية: تتمثل في كون هذا الحرف صوتا صامتا، أي حركة مد طويلة، كما في المثال التالي:

مَصابِيح ←←←maSābīh

ثانيا . أنواع الإعلال:

الإعلال ثلاثة أنواع: القلب، والنقل، والحذف.

1 . الإعلال بالقلب:

1. 1 قلب الواو والياء همزة:

الهمزة من الحروف الصحيحة، إلا أنها تُشبه أحرف العلة، لذا تقبل الإعلال مثلها، فتقلب الواو والياء همزة وجوبا في أربعة مواضع، هي:[1]

[1] ـ أسس الدرس الصرفي في العربية: كرم محمد زرندح، الجامعة الإسلامية، ط4، 1428ه، 2007م، ص 200

. **إذا تطرفت الياء أو الواو بعد ألف زائدة:** أي إذا وقعت الياء أو الواو آخر الكلمة بشرط أن تسبقها ألف زائدة، وذلك نحو:**بناء، وطلاء، ولقاء، وبقاء، وسماء، وكساء، ودعاء، ورجاء**،وأصل هذه الكلمات على الترتيب: بناي، **طلاي، ولقاي، وبقاي، وسماو، وكساو، ودعاو، ورجاو**.

وبناء على هذه القاعدة لا تقلب الياء أو الواو همزة في نحو: بايع، وشايع، وقاول، وجاور، لعدم تطرف الياء أو الواو. ولم تقلب همزة في نحو: ظبي، وعلي، وغزو، ودلو، لعدم وجود ألف زائدة قبلهما.

ولم تقلب همزة أيضا في نحو واو، وآي لعدم زيادة الألف التي قبلهما لأنها أصلية فيهما.

والألف تُشارك الواو والياء في هذا الحكم؛ أي أنها إذا وقعت في آخر الكلمة بعد ألف زائدة تقلب همزة، وذلك نحو: شقراء، فإن أصلها: شقرى، فزيدت الألف قبل الآخر للمد كألف كتاب فأصبحت شقرای بألفين ثم قلبت الألف الثانية أي المتطرفة همزة لتصير شقراء، وكذا حمراء، وخضراء، وصفراء.

. **إذا وقعت الياء أو الواو عينا لاسم فاعل مشتق من فعل أجوف:** بشرط أن تكون هذه العين قد أعلت الفعل، وذلك نحو: بائع، وطائر، ودائن، وغائب، وصائم، وخائف فأصل هذه الكلمات: بايع، وطاير، وداين، وغايب، وصاوم، وخاوف فإنّ الياء أو الواو قد وقعت هنا عينا لاسم فاعل مشتق من فعل أجوف أعلت فيه العين فأفعال هذه الأسماء: باع، وطار، ودان، وغاب، وصام، وخاف قد أعلّت عينها، وأصل هذه الأفعال: بيع، وطير، ودين، وغيب، وصوم، وخوف.

فإن لم تعل العين في الفعل لا تعل في اسم الفاعل، وذلك نحو: عيِن، وحيِد، وعوِر، وحوِل، فالياء أو الواو هنا لم تعل في الفعل لذا لا تعل في اسم الفاعل. فنقول: عاين، وحايد، وعاور، وحاول.

. **تقلب الياء أو الواو همزة وجوبا إذا وقعت بعد ألف جمع جاء على وزن من أوزان صيغة منتهى الجموع، التي بعد ألفها حرفان:** بشرط أن تكون الياء أو الواو حرف مد زائد في المفرد، وذلك نحو: قصيدة وقصائد، وجزيرة وجزائر، وصحيفة وصحائف، وعجوز وعجائز.

فإن لم تكن الياء أو الواو حرف مد زائد في المفرد؛ أي كانت حرفا أصليا فإنها لا تقلب همزة في الجمع، وذلك نحو: معيشة ومعايش، ومصيدة ومصايد، ومصير ومصاير.

ملاحظة:

تشارك الألف الياء والواو في هذا الحكم أي أن الألف تقلب همزة وجوبا إذا وقعت بعد ألف جمع على وزن من أوزان صيغة منتهى الجموع، بشرط أن تكون الألف حرف مد زائد في المفرد أيضا، وذلك نحو: رسالة ورسائل، ووسادة ووسائد، وقلادة وقلائد.

. تقلب الياء أو الواو همزة وجوبا إذا وقعت ثاني حرفين لينين بينهما ألف مفاعل أو ما يشبهه في الحروف ونوع الحركات: سواء كان اللينان ياءين نحو: نيائف جمع: نيّف والأصل: نيايف، أو واوين نحو: أوائل جمع أول والأصل: أواول أو مختلفين نحو: سيائد جمع سيد، وصوائد جمع: صائد والأصل: سياود، وصوايد.

فإن توسط بينهما ألف مفاعيل الذي بعد ألفه الزائدة ثلاثة أحرف امتنع قلب الثاني منهما همزة، وذلك نحو: طواويس، ونواويس، ودواوين جمع: طاووس، وناووس، وديوان.

تقلب الواو همزة جوازا في موضعين:[1]

أولهما: إذا كانت مضمومة ضما لازما، وهي مفردة غير مشددة وذلك نحو: وُجوه وأجوه، ووقوت وأقوت، وأنور وأنؤُر في جمع: دار ونار، وقوول وقئول، وصوول وصئول في المبالغة من قال وصال. أما نحو: هذا دلو زيد فلا تبدل لأن الضمة غير لازمة، وكذا نحو: التحول، والتقول، لأنّ الواو مشددة.

ثانيهما: إذا كانت في أول الكلمة مكسورة، وذلك نحو: وِشاح، وإشاح، ووفادة وإفادة، ووسادة وإسادة.

تقلب الياء همزة جوازا إذا كانت الياء بعد ألف وقبل ياء مشددة عند النسب تقول: غاييّ، ورايِيّ فيجوز قلب الياء المفردة همزة فتقول: غائيّ، ورائيّ.[2]

2.1 . قلب الهمزة حرف علة:

تُستثقل الهمزة في بعض المواضع من الكلمات، فتُسهّل بقلبها حرف علة مناسبا، لتصير الكلمة بذلك أخفّ على لسان المتكلم. ولقلب الهمزة حرف علة (واوا أو ياء أو ألفا) مواضع كثيرة، وأحكام متعددة، ونكتفي هنا بموضع واحد يدور في الكلام كيرا، يجب قلب الهمزة فيه حرف علة، هو حين تلتقي همزتان في كلمة واحدة على النحو الآتي:[3]

إذا التقت همزتان الأولى متحركة والثانية ساكنة فإنه يجب إبدال الهمزة الثانية حرفَ علة من جنس حركة الهمزة الأولى(والفتحة تجانسها الألف، والضمة تجانسها الواو، والكسرة تجانسها الياء) فإذا صُغنا من (أ م ن) على وزن: (أفعل) قلنا: أأْمن، فتلتقي همزتان: الأولى مفتوحة، والثانية ساكنة، فيجب حينئذ أن تقلب الثانية ألفا، لأن الفتحة تجانسها الألف، فيقال: آمن، نحو قولنا: آمنت بالله، وكذا قولك" أنا أومن بالله " أصل أومن: (أؤمن) التقت همزتان الأولى مضمومة والثانية ساكنة،فأبدلت الثانية واوا؛ لأن حركة الهمزة

---

[1] ـ أسس الدرس الصرفي في العربية: ص 203

[2] ـ نفسه: ص 203

[3] ـ محاضرات في علم الصرف: محمد ربيع الغامدي، خوارزم العلمية للنشر والتوزيع، ط2، 1430ه، 2009م، ص 125

الأولى(أي الضمة) تجانسها الواو. ومثل ذلك أيضا: إيمان إذ أصله: إئمان فحصل قلب الهمزة الثانية ياء من جنس حركة الهمزة الأولى، بمقتضى هذه القاعدة.

قلب الهمزة حرف علة

الكلمة	أصلها قبل القلب	القاعدة
آمن	أأمن	التقت همزتان: الأولى مفتوحة والثانية ساكنة، فقلبت الثانية ألفا.
أومن	أؤمن	التقت همزتان: الأولى مضمومة والثانية ساكنة، فقلبت الثانية واوا
إيمان	إئمان	التقت همزتان: الأولى مكسورة والثانية ساكنة، فقلبت الثانية ياء

3.1 . قلب الألف ياء:

تختلف الألف عن أختيها (الياء والواو) في أمرين أحدهما: أنها لا تقبل الحركة، والآخر لزوم أن يكون ما قبلها مفتوحا. ولهذا لا بدّ أن تنقلب الألف ياء إذ احتيج إلى كسرها أو كسر ما قبلها. وهذان هما الموضعان اللذان تنقلب فيهما الألف ياء، وتوضيح ذلك كالآتي:[1]

. تقلب الألف ياء إذا انكسر ما قبلها: ومن أمثلة ذلك تصغير مصباح (مصيبيح). إذ تحتاج في تصغير هذه الكلمة إلى كسر ما بعد ياء التصغير (أي الباء) فتقلب الألف التي بعد الباء لأجل الكسرة ياء. ومثل ذلك أيضا جمع مصباح؛ لأننا نقول في جمعها (مصابيح) بكسر الباء، فتقلب الألف ياء لأجل الكسرة قبلها كذلك.

. تقلب الألف ياء إذا احتيج إلى كسرها ومن أمثلة ذلك وقوع الألف بعد ياء التصغير. فإذا أريد تصغير كتاب ورباط وغلام ونحو ذلك فإن الألف تقع بعد ياء التصغير، ويُحتاج إلى كسرها، فلا بد من قلبها حرفا يقبل الكسر ويجانسه وهو الياء، ولهذا يقال في تصغير كتاب(كُتيّب) ورباط (رُبيّط) وغلام (غُليّم)

4.1 . قلب الواو ياء:[2]

. أن تقع الواو في الطرف بعد كسرة ك (رضِيَ، وعُفِيَ، والغازي، والداعي)

وينبغي أن يُعلم أنّ (رضِي) واوية لأنها من الرضوان، فأصلها: (رضِو) وقلبت واوها ألفا لوقوعها طرفا بعد كسرة، وكذلك (عُفي) لأنها من العفو فأصلها: (عُفِوَ) وقلبت واوها ألفا لوقوعها طرفا بعد كسرة. وأصل الغازي والداعي: (الغازوُ، والداعوُ) لأنهما من الغزو والدعوة، ثم قلبت الواو فيهما ياء.

. أن تقع الواو متوسطة بعد كسرة وهي ساكنة غير مشددة: كميزان، وميقات، وإيجاز (والأصل: موزان، وموقات، وإوجاز) وكقيمة (الأصل: قِوْمة) وكعصافير جمع عصفور(الأصل: عصافِوْر)

[1] ـ محاضرات في علم الصرف: ص 129
[2] ـ نفسه: ص 129 - 131

. أن تجتمع الواو والياء في كلمة، والسابق منهما ساكن: نحو سيد وميت، والأصل: سيود، وميوت(فيعل من ساد يسود، ومات يموت) وطيّ وليّ مصدري: طويت ولويت والأصل: طوي ولوي. وك.ذا في اسم المفعول من الفعل يائي اللام نحو: رمى وطوى يقال: مرميّ، ومطويّ والأصل: مرمُويّ ومطوُويّ.

. أن تقع الواو عينا لمصدر فعل صحيح اللام أعلّت فيه العين وقبلها كسرة وبعدها ألف: كصيام وقيام، وانقياد واعتياد أصلها: صوام، وقوام، وانقواد، واعتواد.

ولتوضيح هذه القاعدة نقول إنّ(صيام، وقيام، وانقياد، واعتياد) أفعالها جميعا صحيحة اللام، أعلت فيها العين، لأنا نقول: صام وأصلها صوم، ونقول: قام وأصلها قوم، ونقول: انقاد وأصلها انقود، ونقول اعتاد وأصلها اعتود. فلما جاء في مصادر هذه الأفعال واو قبلها كسرة وبعدها ألف (أي: صوام، وقوام، وانقواد، واعتواد) قلبنا الواو ياء في الجميع، فقلنا: (صيام، وقيام، وانقياد، واعتياد)

. أن تقع الواو عينا لجمع صحيح اللام، وقبلها كسرة وهي مفردة إما معلة كدار وديار، وحيلة وحيل، وديمة وديم، وقيمة وقيم. وإما ساكنة بشرط أن يليها في الجمع ألف كسوط وسياط، وحوض وحياض، وروض ورياض. وذلك أن نحو كلمة (دار وحيلة) وهما مفرد وقعت فيهما الواو معلة بقلبها ألفا في دار وياء في حيلة، وحين جئنا منهما بالجمع وقع قبل الواو كسرة فاكتمل شرطان: أحدهما في المفرد وهو إعلال الواو عينا، والآخر في الجمع وهو سبق الواو بكسرة (أي: دِوار، وحِول) فقلبت الواو ياء فيهما. أما نحو كلمة (حوض) وهي مفرد فوقعت فيها الواو ساكنة، وحين جئنا منها بالجمع وقعت قبل الواو كسرة وبعدها ألف، فاكتمل شرطان: أحدهما في المفرد هو سكون الواو عينا، والآخر في الجمع وهو سبق الواو بكسرة، وبعدها ألف أي (حواض) فقلبت الواو ياء.

. أن تكون الواو لاما ل (فُعلى) وصفا: نحو الدنيا والعليا. وذلك لأنهم أرادوا أن يفرقوا بين الوصف والاسم بالصيغة، فجعلوا للوصف الياء في دنيا وعليا ونحو ذلك، وجعلوا للاسم الواو كما في (حُزوى) اسم موضع.

. أن تقع الواو لاما ل (مفعول) الذي ماضيه (فعِلَ) نحو: مرضيّ ومَقويّ. ذلك أنّ فعليهما: رضي وقوِي، أصلهما: رضِوَ، وقوِوَ لأنهما من الرضوان والقوة، وقد قلبت الواو فيهما ياء لتطرفهما بعد كسرة. فاسم المفعول منهما: مَرضوّ، ومقووّ، وحين وقعت الواو لاما لمفعول وماضيه فعِلَ قلبت الواو ياء، فقلنا: مرضِيّ، ومقوِيّ.

. أن تقع الواو لاما ل (فُعُول) جمعا، كعصيّ وديّ وقفيّ (جمع: عصا، ودلو، وقفا) أصل: عصيّ: عُصُوْوٌ ثم قلبت الواو الأخيرة ياء بحسب هذه القاعدة فصارت: عُصُوْي ثم قلبت الواو ياء لاجتماعها مع

الياء والأولى منهما ساكنة كما سبق، ثم قلبت ضمة الصاد كسرة لأجل الياء، ثم قلبت ضمة العين كسرة لأجل كسرة الصاد.

5.1 . قلب الألف واوا:[1]

. تقلب الألف واوا إذا انضمّ ما قبلها. فإذا بُني للمجهول نحو بايع، وقاتل، وضارب...احتيج إلى ضم أول الفعل للدلالة على أنّ الفعل مبني للمجهول، ثم لما كانت الألف لا تقبل الضمة قبلها اقتضى ذلك قلبها إلى حرف علة يجانس الضمة هو الواو ولهذا نقول في المبني للمجهول من بايع: بُويع ومن قاتل: قُوتل ومن ضارب: ضُورب.

6.1 . قلب الياء واوا:[2]

. إذا كانت الياء ساكنة مفردة مضموما ما قبلها في غير جمع، كموقن وموسر، ويوقن ويوسر.

. إذا انضمّ ما قبل الياء، وكانت لام (فعُل) كنهُوَ الرجل وقضُوَ. (وسبب القلب هو الضمة التي قبل الياء، فتقتضي قلبها إلى الواو)

. إذا كانت الياء لاما (لفعلى) اسما لا صفة، كتقوى وشروى، وفتوى، وكذا إن كانت الياء عينا لفُعلى اسما كطوبى.

7.1 . قلب الواو والياء ألفا:[3]

لقلب الواو والياء ألفا قاعدة عامة واحدة هي: وجوب أن تنقلب أي واحدة منهما ألفا إذا تحركت وانفتح ما قبلها.

فإنّ الفعل (قال) أصله: قول على وزن (فعل) وقد انطبقت عليه هذه القاعدة إذ تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا. وكذلك (باع) أصله: بيع على وزن (فعل) تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا.

ولكن لابدّ من تحقق عدد من الشروط في الواو والياء لكي تُطبق قاعدة قلبهما ألفا، هي:

. أن تكون الفتحة التي تسبقهما متصلة معهما في كلمة واحدة (فلا يدخل في ذلك نحو: ضرب وائل، وكتب ياسر)

. أن يتحرك ما بعدهما إن كانتا عينين(فلا يدخل في ذلك نحو بيان وطويل وخورنق)

. ألا تكونا عينا ل (فعِل) الذي الوصف منه على أفعَل(نحو: هيِفَ فهو أهيف، وعور فهو أعور)

. ألا تكونا عينا لمصدر هذا الفعل (كالهيَف، والعَور)

---

[1] ـ محاضرات في علم الصرف: ص 135

[2] ـ محاضرات في علم الصرف: ص 135

[3] ـ نفسه: ص 138 - 139

. ألا تكون الواو عينا لافتعل الدال على التشارك في الفعل(كاجتَوروا، واشتوروا، بمعنى: تجاوروا وتشاوروا)

. ألا تكون إحداهما متلوّة بحرف يستحق هذا الإعلال. فإن كانت كذلك صحّت الأولى وأعلّت الثانية نحو: الحيا، والهوى.

. ألا تكون عينين لما آخره زيادة مختصة بالأسماء، كالألف والنون وألف التأنيث(نحو: الجولان، والهيمان، مصدري: جال وهام، والصّورى اسم محل، والحيدى)

. ألا يأتي بعدهما ألف او ياء مشددة إذا كانتا لامين(نحو: رميا، وغزوا، وفتيان، وعصوان) و(نحو علويّ وفتَويّ)

2 . الإعلال بالنقل:

إذا جاء في الكلمة حرف علة متحرك مسبوقا بحرف صحيح ساكن وجب **أن تُنقل حركة حرف العلة إلى الحرف الساكن الصحيح قبله،** مع بقاء المعتل إن جانس الحركة ك(يقول، ويبيع) أصلهما: يقوُل على وزن: يفعُل كينصُرُ، ويبيِعُ على وزن يفعِلُ كيضرِبُ، وإلاّ قُلب **حرفا يجانسها** كيخاف ويُخيف، أصلهما: يَخوَفُ على وزن يفعل ويُخوِفُ على وزن يُفعِلُ.

ويعرف أنّ في الكلمة نقلا بالميزان. فإنّ (يقول) مثلا وزنها: يفعُل وهذا معناه أنّ أصلها: يقْوُلُ ثم حدث لها نقل حركة الواو وهي الضمة إلى الساكن الصحيح قبلها وهو القاف، فصارت: يقُوْلُ.[1]

ما يمتنعُ فيه النقل:

قد يعرض في صيغ ما معينة ما يجعل النقل فيها متعذرا، فيبقى حرف العلة متحركا، والحرف الصحيح قبله ساكنا. ومما يمتنع فيه النقل مع تحقق شرطه ما يأتي:[2]

. اسم التفضيل نحو (هو أبين من فلان، وأقوم منه) وكذا فعل التعجب نحو (ما أبينه، وأقومه) لأنّ صيغة(أفعل) في التفضيل وصيغة (ما أفعله) في التعجب تختلان إذا حصل النقل، فلا يعلم ما في الكلام من تفضيل أو تعجب.

. المضعف نحو (ابيضّ، واسودّ) لأنه لو حصل النقل لالتقى ساكنان: حرف العلة وأول الحرفين المدغمين، وذلك لا يجوز.

. معتل اللام نحو(أحوى، وأهوى) لأنه لو حصل النقل لالتقى ساكنان أيضا، ولا يجوز. وكذلك يؤدي النقل إلى قلب الواو في أحوى وأهوى ألفا، فيلتقي في الكلمة ألفان، وهو غير ممكن.

ولهذا ينحصر الإعلال بالنقل في أربعة مواضع:[1]

---

[1] ـ محاضرات في علم الصرف: ص 141

[2] ـ نفسه: ص 141

الأول: الفعل المعتل عينا نحو (يقول، ويبيع، ويخاف، ويدير، وأخاف، واستزاد، ويستخير، ويستعيد، ويُقال، ويُباع) والأصل فيها: يقوُل، ويبْيعُ، ويَخوَفُ، ويُدوِرُ، وأخوَفَ، واستزيد، ويستَخيِرُ، ويستعوِدُ، ويُقوَلُ، ويُبيَعُ) ←حصل في يقول ويبيع ويستخير القلب فقط، وفي الكلمات الأخرى: النقل والقلب.

الثاني: الاسم المشبه للفعل المضارع في الوزن من معتل العين نحو (مفعل) ك(مقام ومعاش) أصلهما: مقوَم ومعيَش، فحصل النقل والقلب ومثل ذلك: (مفعِل) ك (مصير ومسيل) أصلهما: مصيِر ومسْيِل، و(مُفعِل) ك(مُقيم ومُدير)أصلهما: مُقوِم ومُدوِر، و(مُفعَل) ك(مُقام ومُدار)أصلهما: مُقوَم ومُدوَر. و(مُستفعل) ك(مستقيم ومُستعيش) أصلهما: مستقوِم ومُستعيش.

الثالث: المصدر الموازن ل (إفعال واستفعال) من معتل العين نحو (إقوام/ واستقوام) ويجب حذف إحدى الألفين بعد القلب لالتقاء الساكنين، ويؤتى بالتاء عوضا عنها، فيقال: (إقامة واستقامة)

الرابع: صيغة مفعول من معتل العين ك(مقُول ومبيع) بحذف أحد المدّين فيهما مع قلب الضمة كسرة في مبيع.

3 . الإعلال بالحذف

يلحق ببعض الكلمات في العربية إعلال بحذف بعض حروفها؛ لأسباب تصريفية متعددة ستتبين من خلال عرض مسائل الحذف الآتية:[2]

. إذا كان الماضي على وزن(أفْعَلَ) نحو: أكرمَ فإنه يجب حذف الهمزة من مضارعه ومن اسم فاعله واسم مفعوله، نقول: يُكرم، ومُكرم، ومُكرَم ولا يقال: يؤكرم ولا مؤكرِم ولا مؤكرَم.

. تحذف الهمزة من صيغة الأمر من ثلاثة أفعال مهموزة هي(أخذ، وأكل، وأمر) فيقال: خذ وكل ومر. إلاّ أنّ همزة هذا الأخير (أي: أمر) يجوز حذفها ويجوز إبقاؤها.

. تحذف الهمزة من مضارع (رأى) فيقال: يرى. وكذلك يقال في أمره: رَهْ، فيبقى على حرف واحد ويؤتى بعده بهاء السكت. وكذلك حذفوا الهمزة جوازا لا وجوبا من أمر (سأل) فقالوا: سل، واسأل.

. تحذف الواو من مضارع الفعل المثال الواوي إذا كانت عينه مكسورة في المضارع، مثل(يَعِدُ) مضارع (وعدَ). قالوا: حذفت الواو بسبب وقوعها ساكنة بين ياء وكسرة، إذ الأصل: يوعد. وتحذف أيضا من أمره، فيقال: عدْ. وكذلك يجوز حذف الواو من المصدر والتعويض عنها بتاء في آخره (أي: عدة) فإذا كان الفعل الواوي الأول معتل الآخر فإنّ الأمر منه لا يبقى منه(بعد حذف الأول وحذف الأخير للبناء على حذف حرف العلة) غير حرف واحد يؤتى بعده بهاء السكت، نحو الأمر من وقى: قهْ.

---

[1] ـ نفسه: ص 142

[2] ـ محاضرات في علم الصرف: ص 146

. إذا التقى ساكنان في كلمة واحدة حُذف الأول إذا كان حرف مد، نحو (قل، وبع، وخفْ) أصلها: قُولْ، وبِيْعْ، وخاْفْ، وبِيْعْ، وخاْفْ وكذا نحو(قلتُ، وبعتُ، وبعنا، ولم يقُم، ولم يبع، ويقُمن، ويبعْنَ)

. تحذف ياء المنقوص إذا نوّن (وذلك بأن يكون غير معرف بأل ولا مضافا) تنوين رفع أو جر، ويُعوض عن المحذوف بتنوين يشبه تنوين الجر نحو (قاضٍ) فتقول في الرفع: جاء قاضٍ، وفي الجر: مررت بقاضٍ. أما في النصب فلا حذف ولا تعويض، تقول: رأيت قاضيا. والسبب هو التقاء الساكنين في حال الرفع والجر، لأنّ الياء تسكن لاستثقال الضمة والكسرة عليهما، فتلتقي الياء الساكنة والتنوين الساكن، أما الفتحة فإنها تظهر على الياء لخفتها فلا يلتقي ساكنان.

. تحذف ياء المنقوص إذا جمع جمع مذكر سالما، تقول في جمع الداعي في حال الرفع: الداعون بحذف الياء وقلب كسرة ما قبلها ضمة إتباعا، والداعين في حال النصب والجر، وكذلك تحذف ألف المقصور عند جمعه جمع مذكر سالما، تقول في جمع (مصطفى) مصطفون، ومصطفين.

. يقال في اسم المفعول من الفعل الأجوف (أي: نحو قال وباع) مقول ومبيع ولا يقال: مقوول ومبيوع. والسبب هو أنه لما حصل النقل التقى الساكنان فحذف أحد المدين في مقول وزيد على ذلك قلب الضمة كسرة في مبيع لئلا تنقلب الياء واوا.

. تحذف إحدى المدتين من نحو: إقامة واستقامة ويُعوّض عنها بالتاء، إذ الأصل: إقوام واستقوام، ثم إقَوْاْم واستقَوْاْم بعد النقل، ثم إقاْاْم واستقاْاْم بعد القلب، ثم إقامة واستقامة بعد الحذف والتعويض فحصل النقل والقلب والحذف.

ثالثا: ملاحظات صوتية على قواعد الإعلال

الإعلال من أكثر أبوا علم الصرف التي تتجلى فيها النظرية الصوتية، حيث تحدث تغييرات معينة في الأصوات اللغوية هدفها تنظيم الكلمة وتسهيل النطق.

ويقوم مبدأ الإعلال على أساس التقارب الصوتي بين صامتين، بحيث يسمح هذا التقارب بأن نستبدل الواحد بالآخر، وتقوم هذه القرابة الصوتية على أساسين:[1]

1 . نوع الصوت: صامت أو صائت. فالصوامت أصوات اعتراضية لأنها تتكون من اعتراض للهواء الخارج من الرئتين بحاجز في حين أنّ الصوائت أصوات انطلاقية لأنها تتكون من غير ما اعتراض.

2 . اتحاد المخرج أو تقاربه: حيث يتم توزيع الأحرف وفقا لمواقع خروجها وطبائع تكونها.

[1] ـ الصرف وعلم الأصوات: ص 154 - 156

وهنا لابد من الإشارة إلى طبيعة الهمزة التي تحل محلّ الواو والياء والألف أحيانا. فالألف لا تكون أبدا حرف علة بل فتحة طويلة تعادل فتحتين اثنتين، أما الواو والياء فإذا كانت لهما طبيعة انزلاقية، أي انتقال من الفتحة إلى الضمة (أو بالعكس) ومن الفتحة إلى الكسرة (أو بالعكس) فهما حرفا علة يعاملان معاملة الصوامت كالياء في يوم، وفي ياسر، وكالواو في قوم، وفي واعد، فإذا لم يتحقق الانزلاق فهما حركتان طويلتان تعادل كل واحدة ضعف الحركة التي تمثلها (الياء كسرتان والواو ضمتان) وهذا ما اصطلح النحاة على تسميته حروف اللين.

أما الهمزة فصوت مختلف تماما عن الألف والواو والياء لأنها صامت، لا صائت، وليست لها طبيعة انزلاقية. كما أنها بحكم مخرجها الصوتي بعيدة عن مخرج تلك الأحرف أو الصوائت. فالصوائت انطلاقية، والهمزة انفجارية. والهمزة إلى ذلك صوت مستقل.

المحاضرة رقم (12): الظواهر الصوتية في العربية ـ الإبدال ـ

1 . مفهوم الإبدال

الإبدال هو ظاهرة صوتية في العربية، وقد اهتمت الدراسات اللغوية القديمة[1] بظاهرة الإبدال؛ إذ ما من ظاهرة تمّ التعرض إليها عندهم إلا وكان الإبدال أهمّ عنصر فيها.

والإبدال في اللغة هو العوض، ذكر الفيروز أبادي بقوله:" أبدله منه، وبدله اتخذ منه بدلا"،[2] وجاء في مختار الصحاح:" البديل: البدلُ وبدل الشيء غيره... وتبديل الشيء أيضا تغيره وإن لم يأت ببدله" [3]

وفي الاصطلاح هو جعل حرف مكان آخر. جاء في شرح الشافية:" الإبدال جعل حرف مكان حرف غيره"[4] وعنى ابن جني فيها القلب" أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها وذلك الدال والطاء والتاء...وغير ذلك مما تدانت مخارجه"[5]

ومصطلح الإبدال من مصطلحات الخليل فهو أول من أشار إليه، ومثل له،[6] كما ذكره سيبويه أثناء حديثه عن الأصوات التي يبدل منها غيرها كحديثه عن الهمزة، وقد رأى علماء العربية في الإبدال ظاهرة لغوية شائعة فعنوا بها وألفوا عنها المؤلفات، ولعل أكثر المؤلفات شهرة كتاب (الإبدال) لابن السكيت الذي يعرف أيضا بالقلب والإبدال وكتاب (الإبدال) لأبي الطيب اللغوي.

والإبدال ظاهرة لغوية لم يتفق علماء العربية القدامى على عدّها ظاهرة صوتية كما هو الحال لدى المحدثين، إذ لم يروا اشتراطا أن يكون الصوتان المبدلان على قرب من المخرج، إلا أنّ منهم من رأى ذلك.[7]

وقد حدد سيبويه أحرف الإبدال وهي ثمانية أحرف جُمعت في عبارة (**أجد طويت منهلا**)[8]

2 . الإبدال عند الأقدمين:

الأقدمون هم اللغويون والنحاة، أما اللغويون فهم أولئك الذين عنوا بتصنيف المعاجم وجمع شتات اللغة

---

[1] ـ شرح المفصل: ابن يعيش، إدارة الطبيعة المنيرية، مصر، دط، دت، 7/10 وينظر: المفصل، الزمخشري محمود بن عمر، دار الجيل، بيروت، ط2، دت، ص 505 والكتاب: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1404هـ، 1982م، 4/ 227 وسر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني، 1تحقيق: حسن هنداوي، دط، دت، 1/ 62

[2] ـ القاموس المحيط: الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، دت، مادة (بدل) 231/1

[3] ـ مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، دار الدعوة، تركيا، إسطنبول، دط، 1986م، مادة (بدل)

[4] ـ شرح الشافية: رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1982م، ص 197

[5] ـ سر صناعة الإعراب ص 197

[6] ـ الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، محمد حسين آل ياسين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط 1، 1400هـ 1980م، ص 408

[7] ـ المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، دمشق، دط، 1998م، ص 228 - 229

[8] ـ الكتاب4/ 237

وهؤلاء قد قصروا ظاهرة الإبدال على نوع معين من الألفاظ، وهو أن نرى للكلمة صورتين مستعملتين . كما سنرى . أمّا النحاة وهم الذين عنوا بمسائل النحو والإعراب فقد وسعوا في دائرة الإبدال حتى شمل الإعلال فتراهم يعرفون الكلمات الآتية من الإبدال.[1] (سماء، قائل، رضى، مصابيح، صيام، ميزان، سيد، مرتضى، موقت، خاف، اصطبر،...) يقول إبراهيم أنيس:" في حين إنه لم يرد لمثل هذه الكلمات صورة أخرى كالتي افترضها مثل سماو، قاول، مصاباح، صوام، موازن، سيود، ميقن، خوف، اصتبر..."[1]

وهكذا نرى أنّ النحاة قد خلطوا .كما يقول إبراهيم أنيس . بين ظاهرتين مختلفتين أو على الأقل يمكن أن يقال: إنهم أخذوا بمذهب الأصل، والفرع في صورة الكلمات.[2]

أما اللغويون فقد سلكوا مسلكا آخر وهو أن يروا للكلمة صورتين روتهما المعاجم، فهذا ابن جني يعقد في كتابه (الخصائص) موضحا فكرة الأصالة والفرعية بابين: تحدث في الأول عن ظاهرة القلب المكاني، ويرى أنه لو كانت الكلمة العربية قابلة للتصريف وزعم فيها القلب فليس فيها قلب وإنما هي ضرب من اللغات يقول:" اعلم أنّ كل لفظين وجد فيهما تقديم وتأخير فأمكن أن يكونا جميعا أصلين ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه فهو القياس الذي لا يجوز غيره وأن لم يكن ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه ثم رأيت أيهما الأصل وأيهما الفرع، فمما تركيباه أصلان لا قلب فيهما قولهم: جذب، وجبذ ليس أحدهما مقلوبا عنه صاحبه؛ وذلك إنهما جميعا يتصرفان تصرفا واحدا"[3]

وتحدث في الثاني عن الإبدال بذات الفكرة (الأصالة والفرعية) بكثرة شيوع إحدى اللفظتين؛ وذلك بأن تستعمل اللفظة أكثر من صاحبتها فتكون هي الأصل يقول:" فأما قولهم: ما قام زيد (بل) عمرو، و(بن) عمرو فالنون بدل من اللام، ألا ترى إلى كثرة استعمال (بل) وقلة استعمال (بن) والحكم على الأكثر لا على الأقل. هذا هو الظاهر من أمره، وكذلك قولهم: رجل (خامل) و(امن) النون فيه بدل اللام؛ ألا ترى أنه أكثر، وأنّ الفعل عليه تصرف؛ وذلك قولهم خمل يخمل خمولا، وكذلك قولهم: قام زيد فم عمرو والفاء بدل من الثاني في ثم"[4]

أما الذي يذكره ابن جني في الإبدال ففي مثل" أنا قربان وكربان إذا دنا أن يمتلئ ينبغي أن يكونا أصلين، لأنك تجد كل واحدة منهما أصلان متصرفان"[2]

---

[1] ـ من أسرار العربية: إبراهيم أنيس، ص 71

[2] ـ نفسه: ص 71 - 72

[3] ـ الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1406هـ، 1986م،2/ 69

[4] ـ نفسه: 2/ 76

وأخيرا يقدر لنا ابن جني ألا نتحدث على الإبدال إلا حين يكون أحد النطقين أصلا والآخر فرعا له، حيث يقول:" فعلى هذا الاعتبار ينبغي يتلقى من حديث الإبدال وإن كان هناك إبدال أو اعتقاد أصلية الحرفين إن كانا أصلين"[1]

وهكذا نرى ابن جني يبني فكرة الأصالة على شيوع الاستعمال وكثرة التصرف، وأن جلّ مسائل الإبدال سماعية لا يقاس عليها، ولقد ذهب هذا المذهب من علمائنا المحدثين إبراهيم أنيس كما سنرى.

هذا، وقد أورد لنا ابن قتيبة في (أدب الكاتب) طائفة من الكلمات التي وقع فيها الإبدال نذكر منها بعضها، وهي قوله:" قالوا: مدهته بمعنى مدحته، والأيم والأين: الحية، جدث وجدف، واستأديت عليه واستعديت، لص ولصن، لصق ولسق، سحقت الزعفران وسهكته، أرقت الحاء وهرقته"[2]

3 . الإبدال عند المحدثين

نجد لظاهرة الإبدال عند المحدثين تعريفات ودراسات وعلل. فمحمد المبارك يعرف الإبدال:" الإبدال هو إقامة حرف مكان آخر في بعض الكلمات مع بقاء الحروف الأخرى"[3] ويحدده الأنطاكي:" هو حذف حرف وضع حرف آخر مكانه وهو بهذا المعنى يشمل الإبدال بالقلب وبعض أشكال الوقف أمثال بئيس . أبس، واضمحل . أمضحل)،[4] ويعلل المبارك أيباب البدل إلى:[5]

. انتقال اللغة من جيل إلى جيل.

. تداخل اللغات.

. أثر عنصر الدين والقومية.

. أثر عنصر صوتي.

---

[1] ـ نفسه: ص 84

[2] ـ أدب الكاتب: ابن قتيبة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، السعادة، 1963، ص 374

[3] ـ فقه اللغة وخصائص العربية: محمد المبارك، دار الفكر للطباعة والنشر، 1383هـ، 1964م، ص66

[4] ـ المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: محمد الأنطاكي، دار الشرق العربي، بيروت، ط3، دت، ص 23 - 24

[5] ـ فقه اللغة وخصائص العربية، ص 66

ويمثل هذا الجانب أيضا إبراهيم أنيس في كتابه (من أسرار العربية) ويعقد له عنوانا تحت اسم (رأي المحدثين في الإبدال)[1] ويذكر فيه أنّ هناك كلمات مبدلة وجارية على القوانين الصوتية، وهناك كلمات مبدلة ولا تجري على القوانين الصوتية يقول: " حين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على إنها من الإبدال حينا أو من تباين اللهجات حينا آخر لا نشك لحظة في أنها جميعا نتيجة التطور الصوتي، أي الكلمات ذات المعنى الواحد حيث تروى لها المعالم صورتين أو نطقيين ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفا من حروفها نستطيع أن نفسرها على أن إحدى الصورتين هي الأصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها، غير أنه في كل حال يشترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه، ودراسة الأصوات كفيلة بأن توقفنا على الصلات بين الحروف وصفات كل منها"[2]

وقسم إبراهيم أنيس الكلمات التي يمكن الربط بين صورها إلى ثلاثة طوائف:

1 .كلمات روي كل منها بنطقين، ونسب كل نطق إلى بيئة معينة مع بيئات العرب، أو إلى قبيلة معينة من القبائل العربية، وذلك مثل أن يقال: إنّ أهل الحجاز يقولون (جبريل) ولكن قبيلة تميم تقول (جبرائيل)

2 . الكلمات التي روي لكل منها نطقان ونسب أحد النطقين لبيئة ولم ينسب النطق الآخر كأن يقال: إن (الأثافي) هي عند تميم (الأثائي)

وهنا يناقش أنيس قضية الأصالة؛ أي الكلمة المبدل منها ويرجع أن اللفظ الأكثر وردا وشيوعا هي الأصل، حيث يقول:" فالأصالة عن طريق الشيوع مرجحه رجحانا كبيرا ولا يصح الرجوع من هذا إلا إذا أبت قوانين تطور الأصوات محل هذا الاعتبار"[3]

3 . هي تلك الكلمات التي وردت لها معاجم لكل منها نقين، ولا نلمح في تلك المعاجم ما يرجح أحد النطقين على الآخر، فكأنهما متساويان في الفصاحة والشيوع، ولا ينسب أحد النطقين لبيئة من بيئات العرب، ومثل هذه الكلمات كثيرة فيما روي من كلمات اللغة، وهي التي أوحت لعلماء اللغة فكرة الإبدال وجعلتهم يتصورون أنّ النطقين كانا على قدم المساواة، وأنّ إبدال الحرف في أحدهما ليس إلا من سنن العرب وعاداتهم كما يقولون؛ ولذا نراهم يفكرون في الأصل والفرع حين يستعرضون هذه الكلمات ولا يخطر ببالهم أن التطور الصوتي مسؤول عن إحدى الصورتين.[4]

---

[1] ـ نفسه: ص 68
[2] ـ من أسرار العربية: إبراهيم أنيس، ص 75
[3] ـ من أسرار العربية، ص 77
[4] ـ نفسه: ص 79

ويقف المحدثون في مثل هذه الكلمات موقف الباحث، حيث يعدّ مثل هذه الكلمات وليدة التطور الصرفي فإذا ورد لأحد النطقين نصا قديما اعتبره الأصل وذلك مثل (جدث وجدف) فلا نعرف نصا لنطق (جدف) ولكنا نعرف قوله تعالى: ﴿ ونُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾[1] ولذلك (الجدث) هي الأصل.

أما حين يرد كل من النطقين في نصوص قديمة فكثرة الشواهد الخاصة لأحد النطقين ترجح في الغالب أصالته.[2]

ويمكن أن نلخص نظرة المحدثين للإبدال في النقاط التالية:

1 . إنهم يخضعون النطقين للقوانين الصوتية، فحين يتوافق النطقان والقانون الصوتي فهو تطور صوتي للكلمة.

2 . إن لم يتوافق، فهما لفظان مستقلان.

3 . يعدون النطق الأكثر شيوعا هو الأصل.

4 . ويعدون لذلك الأقدم ورودا هو الأصل.

4 . حروف البدل

قسم الأقدمون الإبدال إلى مطرد واجب وذلك مثل (سماء، قال، رضى، مصابيح، اصطبر) وجائز مثل (وجوه، أجوه) و(وشاح، إشاح) ثم غير مطرد الذي يقصر فيه على السماع وهو في رأيهم قد أمكن وقوعه في كل أحرف الهجاء، ولكن اشتهر في حروف معينة عدها بعضهم باثني عشر،[3] وبعضهم بأربعة عشر، وهذه الحروف **الأربعة عشر** هي التي ذكرها الأستراباذي في (شرح الشافية) وجمعها قولك (**أنصت يوم جد طاه زل**)،[4]ويقول ابن يعيش:" فأماحصر حروف البدل في العدة التي ذكرها فالمراد الحروف التي كثر إبدالها واشتدت واشتهر بذلك ولم يرد إنه لم يقع البدل في شيء من الحروف سوى ما ذكر"[5]

ويذكر السيوطي أنّ اللغويين يذهبون على جميع ما أملاه العرب إبدال . وهو الواقع في كل حروف الهجاء . وليس هو كذلك عند علماء أهل النحو؛ وإنما حروف الإبدال عندهم **اثنا عشر حرفا** جمعها قولك (**طال يوم أنجزتنه**)[6]

---

[1] ـ سورة يس الآية 51

[2] ـ من أسرار العربية، ص80

[3] ـ من أسرار العربية، ص 82

[4] ـ شرح الشافية، ص 197

[5] ـ شرح المفصل، ص 7

[6] ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، مطبعة يسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية،دط، دت، ص 105

وقال ابن خالويه في شرح الفصيح: أخبروا ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال: اختلف رجلان في الصقر، فقال أحدهما بالسين وقال آخر بالصاد، فتحاكما إلى أعرابي ثالث، فقال أما أنا فأقول الزقر بالزاي، قال ابن خالويه: فدل على أنها ثلاث لغات.[1]

أما المحدثون فلا يرون له حروفا بعينها ويكتفوا بإرجاع المبدل والمبدل منه إلى القوانين الصوتية، فإن وجدوه متفقا والقوانين الصوتية فهو مبدل، وإلا فهما لغتان، يقول إبراهيم أنيس:" ونحن في هذا نؤثر أن نسلك مسلك اللغويين ونكتفي بالتعرض لتلك الكلمات التي ورد لكل منها صورتان جائزتان في الاستعمال على النحو الذي سلكه ابن السكيت في كتابه"[2]

وأمثلة الإبدال كثيرة، وهي ظاهرة معروفة قديما وحديثا في اللغة العربية، ولعل لغة كالعربية واسعة الانتشار من خصائصها الاشتقاقات الكبرى لابد أن تعرف هذه الظاهرة وتحتويها في أبنيتها، وقد زخرت به اللهجات العربية الحديثة وبعض اللهجات القديمة.

وظاهرة الإبدال تمثل قدرا كبيرا في تفسير لهجات العرب وقد اهتم به علماء اللغة قديما وحديثا، فابن جني عرض للإبدال كظاهرة لغوية لها أهميتها، وفرّق بين ما هو إبدال وما هو من اختلاف لهجات، وأشار إلى كل كلمتين اتحدتا في جميع الحروف إلا حرفا واحدا واتحدتا في المعنى على أنهما تارة تكونان من الإبدال وأخرى من اختلاف اللهجات، وقد وضع لذلك مقياسا للحكم فقد ورد في الخصائص:" فمتى أمكن أن يكون الحرفان جميعا أصليين كل واحد منهما قائم برأسه لم يسغ العدول عن الحكم بذلك، فإن دل دال أو دعت ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما عن صاحبه، عمل بموجب الدلالة وصير إلى مقتضى الصنعة"[3]

وفي قوله هذا إشارة إلى مقياس الحكم هو أنّ اللفظتين لا بدّ أن تتساويا في الاستعمال والتصرف(فلست بأت تجعل أحدهما أصلا لصاحبه أولى منه بحمله على ضده) وفي هذا إشارة إلى أنّ كل لفظة هي لغة قوم، ويشير لقوله (علث الطعام وغلثه (خلقه) هي لغات كلها لاستوائها في الاطراد والاستعمال)[4]

وبالنظر إلى هذه النصوص تتضح لنا فكرة ابن جني حول الإبدال، والتي تشير إلى أنّ الكلمتين إذا تساوتا في التصرف والاستعمال فهي حينئذ لهجة، أما إذا لم تتساو الكلمتان تصرفا واستعمالا بأن كانت أحدهما أكثر تصرفا واستعمالا فإنها حينئذ من قبيل الإبدال، وتكون الكلمة الكثرة التصرف هي الأصل والقليلة هي الفرع .كما سبق وأن ذكرت .

---

[1] ـ نفسه: ص 229
[2] ـ من أسرار العربية، ص 72
[3] ـ الخصائص: 2/ 82
[4] ـ الخصائص2/ 82

ويمكن القول إنّ رأي ابن جني هو (الكلمتان المتحدتان في جميع الحروف إلا حرفا واحدا تكونان من الإبدال أو تكونان من لهجات العرب)

في الإبدال إن أمكن الحكم بأصالة إحدى الكلمتين وفرعية أخرى وذلك إذا كانت إحدى الكلمتين أكثر تصرفا أو استعمالا من صاحبتها، وهذا يمكن حدوثه عند قبيلة واحدة أو عند العرب جميعا وهذا ما وجدناه مثلا في (نثر) و(نثل)، والأزهري ينقل إلينا:" ومعاني المادتين متقاربة، فهما تدوران حول التصريف ونقل الشيء من مكان إلى غيره، ونثر معروفة في التصريف، وناثل منها نثل البركة أخرج تربها، ونثل كنانته أخرج ما فيها، ونثل اللحم في القدر وضعه مقطعا، ومقياس التصرف ليس هو الأساس لمعرفة الأصل، فيجوز أن يكون كله في الراء واللام أصلا للهجتين مختلفتين والراء لتميم واللام للحجاز"،[1]

فالأزهري يرى أنّ معرفة الأصل ليست بالأمر الضروري للقول إنّ هذه اللغة في باب الإبدال أو من قبيل اختلاف اللهجات. ويرى ابن جني إننا بمكننا أن نعدّ ذلك من اختلاف اللهجات إذا لم يكن الحكم بأصالة إحدى الكلمتين وفرعية الأخرى وذلك لسبب تساوي الكلمتين تصرفا واستعمالا، ويكون عند قبائل متعددة.

والإبدال في الحروف نجده في الحرفين المختلفين في الكلمتين متقاربتي المخارج، ويقوى ذلك بالتماثل والتقارب في بعض الصفات وقد أورد ابن جني ذلك في قوله:" القلب في الحروف إنما يكون هو فيما تقارب منها وذلك الدال، والطاء، والتاء، والذال، والظاء، والتاء، الهمزة، الهاء، الميم، النون وغيرها مما تدانت مخارجها"[2]

ويبدو في رأي ابن جني أنّ الاختلاف اللهجي قد يكون بسبب تقارب الحروف مخرجا أو صفة، ويشير إلى ذلك في الآتي: " ونجد هذا التقريب في الصوت قولهم في سبقت صبقت، وفي سلق صلق، وفي سويق صويق، وذلك أنّ القاف حرف مستعل والسين غير مستعل إلا أنها أخت الصاد المستعلية فقربوا السين من القاف بأن قلبوها إلى أقرب الحروف إلى القاف من مخرج السين وهو الصاد"[3]

أشار ابن جني إلى أنّ الإبدال يؤدي إلى الاختلاف الصوتي اللهجي وذلك بسبب تأثر الأصوات بعضها ببعض" لا مانع من التبادل بين السين والصاد لأنها من حيز واحد وهو طرف اللسان مع أصول الثنايا

[1] ـ تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، 1384هـ، 1964م، 1/ 382

[2] ـ الخصائص 2/ 95

[3] ـ تهذيب اللغة، 1/ 201

السفلى بجانب اشتراكهما في الهمس، ومع ذلك فاحتمال اللهجات أمر قائم وتتأثر السين بأصوات الإطباق فتقلب إليها ونسبت هذه الظاهرة إلى قريش"[1]

وقد وقع الإبدال في بعض الحروف عند القبائل المختلفة وقد وضع له اللغويون مصطلحا لهجيا أو مصطلحا لغويا وقد وصفت بعض هذه الظواهر الإبدالية بأنها من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ وفي ذلك الكشكشة، والكسكسة، الفصفصة، والعنعنة، والاستنطاء، والوتم،* وقد ذكر ابن فارس تحت عنوان (اللغات المذمومة) وذكره السيوطي تحت عنوان (معرفة الرديء والمذموم من اللغات).[2]

ولهذه الظواهر ألقاب تناقلتها المراجع المختلفة، واختلف اللغويون في تفسير بعضها، وقد ذكرت بعض هذه الظواهر بأسمائها أو بوصفها في مصادر متقدمة مثل(كتاب سيبويه، والخصائص، والبيان والتبيين، والصاحبي في فقه اللغة)

[1] ـ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: أحمد بن زكريا بن فارس، تحقيق: مصطفى الشوعي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1383هـ، 1964م، ص 35

* ـ هو لهجة عند أهل اليمن وفيه تقلب السين تاء فيقولون من الناس الناث.

[2] ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها 1/ 221

المحاضرة رقم (13): الظواهر الصوتية في العربية
ـ الإدغام، الإتباع ـ

تمهيد:

حظيت ظاهرة الإدغام بعناية علماء القراءات والنحاة، وهذا الأمر ظاهر في مؤلفاتهم التي لا تكادُ يخلو كتاب منها إلاّ ويعرضُ لظاهرة الإدغام، أو لجانب من جوانبها المختلفة على الأقل، ولكن عناية علماء القراءات فاقت عناية النحاة واهتماماتهم بالإدغام؛ لأنّ القراء وعلماء القراءات كانت جهودهم منصبّة على تجويد آيات الذكر الحكيم، والإدغام ظاهرة مهمة من ظواهر التجويد، ووجه من وجوه القراءات، وسُنّة متّبعة؛ لذلك أقبلوا على دراسة ظاهرة الإدغام من هذا الباب.

أولا: الإدغام

1 . تعريفه:

الإدغام لغة: الإدخال[1] والستر[2] ومنه أدغمت اللجام في فم الدابة أي أدخلته في فيها، وأدغمت الثياب في الوعاء أدخلتها فيه.[3] وأدغمت الحرف في الحرف أدخلته فيه. قال الأستراباذي:" إدخال الشيء في الشيء، يقال أدغمت اللجام في فم الدابة، أي أدخلته فيه، وليس إدغام الحرف في الحرف إدخاله فيه على الحقيقة بل هو إيصاله به من غير أن يُفكّ بينهما"[4]

جاء في لسان العرب:" والإدغام إدخال اللجام في أفواه الدواب، وأدغم الفرس اللجام: أدخله في فيه، وأدغم اللجام في فمه كذلك. قال الأزهري:" وإدغام الحرف في الحرف مأخوذ من هذا"[5] والإدّغام بالتشديد من ألفاظ البصريين، والإدغام بالتخفيف من ألفاظ الكوفيين.[6]

وأما **في الاصطلاح**: فهو وصلك حرفا ساكنا بحرف مثله من موضعه من غير حركة تفصل بينهما ولا وقف، فيصيران بتداخلهما كحرف واحد ترفع اللسان عنهما رفعة واحدة[7] فيصير الحرف الأول كالمستهلك لا على حقيقة التداخل والإدغام، وذلك نحو شدّ ومدّ ونحوهما.[8]

---

[1] ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي، تحقيق: مصطفى النماس، القاهرة، ط1، 1984م، 1 / 163

[2] ـ الإضاءة في بيان أصول القراءة: علي محمد الضباع، ملتزم النشر والطبع، عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، دطن دت، ص 13

[3] ـ شرح المفصل 10 /121 وينظر: شرح الشافية3/ 235

[4] ـ شرح الشافية 3/ 235 وينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: مكي بن أبي طالب، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1997م، 1/ 143

[5] ـ لسان العرب مادة (دغم)

[6] ـ شرح المفصل 10/ 121

[7] ـ أسرار العربية: أبو البركات الأنباري، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995من ص 358، وينظر: شرح المفصل10/ 121

[8] ـ شرح المفصل 10 / 121 وينظر: شرح الشافية 3/ 235

قال الزجاجي:" ومعنى الإدغام هو أن يلتقي حرفان من جنس واحد فتسكن الأول منهما وتدغمه في الثاني أي تدخله فيه فيصير حرفا واحدا مشددا ينبو اللسان عنه نبوة واحدة"[1] وقال أبو حيان" واصطلاحا رفع اللسان بالحرفين دفعة واحدة والوضع بهما موضعا واحدا إذا التقى المثلان في كلمة والأول ساكن"[2]

أما **ابن جني** فقد نظر إلى الإدغام من منظور صوتي ولكن نظرته هذه كانت جزئية؛ ذلك أنه أتى على جانب واحد من جوانب ظاهرة الإدغام، وحقيقة ما يجري فيه، من حيث إنه إدخال صوت في صوت مثله. والجانب الذي تعرض له ابن جني في بيانه لمعنى الإدغام هو تقريب الصوت من الصوت، قال:" وقد ثبت أنّ الإدغام المألوف إنما هو تقريب صوت من صوت"[3]فقد عرف أنّ الإدغام لا يتمّ إلاّ بعد تقريب الأصوات، بل بعد تماثلها إذا لم تكن متماثلة أصلا. يقول عبد القادر عبد الجليل:" ويبدو أنّ أكثرهم إدراكا لطبيعة هذه الظاهرة اللغوية ابن جني الذي يرى أنّ الإدغام هو التقريب الصوتي"[4]

ومعنى الإدغام عند **علماء القراءات** لا يختلف عن معناه عند النحاة. قال مكي بن أبي طالب:" اعلم أنّ معنى الإدغام هو أن يلتقي حرفان متقاربان أو مثلان فيدغم الأول في الثاني ويردّهما بلفظ واحد مشدد"[5]

الإدغام عند المحدثين:

لم يكن مفهوم الإدغام عند المحدثين واحدا، فمنهم من تابع القدماء في تعريفهم للإدغام ومن هؤلاء: أحمد الحملاوي، ومحمد الأنطاكي، وعبده الراجحي، وذلك في مؤلفاتهم المشار إليها في الحاشية.[6]

ومن المحدثين من نظر إلى الإدغام باعتباره فناء الصوت في الصوت المجاور، يقول عبد العزيز مطر:" هو فناء أحد الصوتين في الآخر إذا كانا متجانسين أو متقاربين"[7] وأظنّ أنّ الصوت لا يفنى في الصوت ولكنه يختلط به ويتحد معه، فيصيران صوتا واحدا مشددا، مدته أطول من مدة الصوت المفرد.

ويرى قسطندي شوملي كذلك أنّ الصوت يفنى في الصوت عند عملية الإدغام، يقول:" إنّ أقصى ما يصل إليه الصوت في تأثره بما يجاوره من الأصوات هو أن يفنى الصوت في الصوت المجاور وهذا ما يسمى بالإدغام أو المماثلة الكاملة."[8] فقبل فناء الصوت .كما يرى شوملي . فلا بدّ من التأثر والمماثلة وبهذا يكون

---

[1] ـ الجمل في النحو: أبو القاسم الزجاجي، تحقيق: علي الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الأمل إربد، ط1، 1984م، ص 413 - 414

[2] ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/ 163 وينظر: الهمع 6/ 280

[3] ـ الخصائص 2/ 141

[4] ـ الأصوات اللغوية: عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1988م، ص 299

[5] ـ التبصرة في القراءات: مكي بن أبي طالب، تحقيق: محي الدين رمضان، منشورات معهد المخطوطات العربية، ط1، 1985، ص 109

[6] ـ ينظر: شذا العرف في فن الصرف ، والمحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، والتطبيق الصرفي.

[7] ـ لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة: عبد العزيز مطر، دار المعارف، ط2، 1981م، ص 250

[8] ـ مدخل إلى علم اللغة الحديث: ص 118 وينظر: الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص 182

يكون قد أتى على جانب صوتي في عملية الإدغام، وهو الذي يتصل بالشرط الأساس لحدوث عملية الإدغام ألا وهو التماثل التام فلا يجوز إدغام المتجانسين أو المتقاربين إلا بعد تماثلهما مماثلة تامة.

وقد نظر أكثر المحدثين من علماء اللغة والأصوات إلى الإدغام من منظور صوتي مبني على فكرة التأثر والتأثير بين الأصوات المتجاورة، ثم التماثل التام لتحقيق عملية الإدغام. قال إبراهيم أنيس وهو يتحدث عن ظاهرة التأثر الرجعي:" وهو الذي فيه يتأثر الصوت الأول بالثاني تأثرا كاملا، يترتب عليه أن يفنى الصوت الأول في الثاني بحيث ينطق بالصوتين صوتا واحدا كالثاني، وقد سمّوا هذا التأثر في كتبهم بالإدغام"[1]

فهو نزعة صوتين إلى التماثل؛ أي الاتصاف بصفات مشتركة تسهل اندماج أحدهما في الآخر، ويقع ذلك خاصة في الحروف المتقاربة المخارج.[2]قال جان كانتينو:" أما الإدغام فهو ظاهرة تتمثل في نزعة صوتين صوتين ما إلى التماثل أو إلى الاتصاف بصفات مشتركة نحو: (دت←← تْ). وإذا كان الإدغام جزئيا سُمّي تقريبا نحو:(نب←←مب)."[3] فلما كان الصوتان متماثلين فإنّ نطقهما يأتي من نقطة مخرجية واحدة، وعملية نطقية واحدة أيضا"[4]

يقول سمير ستيتية:" وقد عرّف القراء واللغويون الإدغام بأنه دمج صوت في صوت آخر مماثل أو مقارب له. أما دمج صوت في صوت مماثل فمنه (فيه هدى، يشفع عنده، قال له...) وكل الذي حدث من الناحية الصوتية هو أنّ الحركة قد حذفت بين الصامتين المتماثلين وبقي لكل واحد من هذين الصوتين كينونة منطوقة"[5] وهذا يؤكّد أنّ أحد الصوتين المتماثلين لم يفنَ في الآخر.

وعملية حذف الحركة أو إسقاطها من بين المتماثلين لإحداث الإدغام أشار إليها غير واحد من علماء الأصوات. يقول أحمد مختار عمر:" وعلى هذا فإنّ الإدغام يمكن أن يُفهم على أنه إزالة الحدود بين الصوتين المدغمين وصهرهما معا، أو على أنه إحلال صوت ساكن طويل محل الصوتين الساكنين القصيرين"[6] وقوله" صهرهما معا" لا يعني فناء أحدهما في الآخر.

وقال عبد الصبور شاهين:" فالإدغام كما أشار إليه الصرفيون هو نُطق صوت مضعف لا أكثر إما بسبب اتصال جزءيه مباشرة وإما عن طريق إسقاط الحركة الفاصلة بين الجزءين ليتمّ التضعيف"[7] والحق أنه

---

[1] ـ في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، دت، ص 70
[2] ـ التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث: ص 67
[3] ـ دروس في علم أصوات العربية: ص 26
[4] ـ المنهج الصوتي للبنية العربية: ص 206
[5] ـ مجلة المجمع الأردني من مقال بعنوان: تحليل الظواهر الصوتية في قراءة يعقوب الحضرمي، سمير ستيتية، العدد 47، 1994م، ص 75 - 76
[6] ـ دراسة الصوت اللغوي: ص 233
[7] ـ المنهج الصوتي للبنية العربية: ص 207

لا يُمكن للصوت أن يُدغم في مماثلة ما لم يلتقيا مباشرة، ويكون ذلك بتسكين الأول أي بحذف الحركة الفاصلة بين المتماثلين.

2 . فائدة الإدغام والغرض منه:

فائدة الإدغام تصبّ في تقريب الأصوات بعضها من بعض، وهذا التقريب يساعد على السهولة واليسر والسلاسة في نطق الأصوات، وقد أشار القدماء إلى ذلك باستخدام ألفاظ دالة عليه، ومن هذه الألفاظ الاستخفاف والتخفيف.

كما استخدم علماء الأصوات المحدثون مصطلحات وألفاظا دالة على فائدة الإدغام أو المماثلة مثل الانسجام الصوتي، والتخفيف والسهولة والتيسير في النطق.

3 . أسباب الإدغام:

يقول سيبويه بعد الحديث عن مخارج الحروف:" وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه. وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه، وما تبدله استثقالا كما تدغم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك"[1]

ويعرض سيبويه للمواضع التي يكون فيها الإدغام حسنا. يقول:" فأحسن ما يكون الإدغام في الحرفين المتحركين اللذين هما سواء إذا كانا منفصلين، أن تتوالى خمسة أحرف متحركة بهما فصاعدا، وذلك نحو قولك: جعلْ لكَ. وفعلْ لبيد...وكلما توالت الحركات أكثر كان الإدغام أحسن. وإن شئت بينت، وإذا التقى الحرفان المثلان اللذان هما سواء متحركين وقبل الأول حرف مد فإن الإدغام حسن لأنّ حرف المد بمنزلة متحرك في الإدغام"[2]

ويكون الإدغام كذلك في الكلمة الواحدة في أن يتصل الحرفان المثلان. بسكون الأول منهما نحو: قطّع وكسّر[3] أو شدّ ومدّ وعدّ، مع أن الأول يتحرك عند فك الإدغام وذلك بقولنا: شدد ومدد وعدد.

ويكون الإدغام في المتقاربين مخرجا والمتحدين صفة في مثل: (وتد) التي أصبحت (ودّ) أو (قالت طائفة) التي أصبحت (قالطّائفة)[4]

وقد وافق علماء التجويد علماء اللغة في ذلك تماما. فقد أشاروا إلى وجوب الإدغام أو جوازه عند مجاورة المتماثلين سواء أكان الأول ساكنا أم متحركا وسواء أكانا في كلمة أم في كلمتين.[5]

---

[1]- الكتاب4/436

[2] - نفسه4/ 437 وينظر: المقتضب1/ 197 - 206 والخصائص1/ 159

[3] - المقتضب1/ 197

[4] - شرح المفصل 10/ 131 - 132

[5] - السبعة في القراءات: ص 116 - 125 وينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع1/ 134 والنشر في القراءات العشر1/ 218

4 . أنواع الإدغام في العربية:

تنوع الإدغام ووضع علماء العربية أقساما له تتمثل بالآتي:

أ . من حيث حال الحروف المدغمة:

1 . إما أن تكون حروفا متماثلة متحدة في المخرج والصفة أي بمعنى أن يكون صوت الحرف الأول هو صوت الحرف الثاني تماما مثل الدال في (شد) أو الميم في (عليكم موعد)

2 . وإما أن يكون الحرفان متحدين في المخرج دون الصفة فيكونا متقاربين مثل الباء والفاء في نحو: يغلب فسوف بحيث يؤثر الفاء في الباء فيقلب الباء فاء ثم يدغم في الفاء.

وكان علماء اللغة والتجويد متفقين على جواز إدغام هذه الأنواع من الحروف فيسمون الأول منهما: إدغام المثلين، والثاني إدغام المتقاربين.[1]

ب . من حيث حركة الحرف الأول:

1 . إما أن يكون الحرف الأول ساكنا أي لا فاصل بين الصوتين فيكون الإدغام بذلك أحسن وأكثر جوازا.

2 . وإما أن يكون الحرف الأول منهما متحركا أي بوجود فاصل بين الصوتين وهو الحركة.

وقد اختلف القدماء في جوازه وعدمه، وكل ذلك سواء في الكلمة أو الكلمتين.[2]

5 . الحروف التي تدغم

اتفق القدماء على جواز وحُسن إدغام كل حرفين متماثلين كان الأول منهما ساكنا سواء أكان ذلك في الكلمة نحو: مدّ وشدّ أو في الكلمتين نحو: خذ ذلك، واسمع عليّا. **إلاّ صوتي الألف والهمزة ففيهما من الصفات ما يمنع كل واحد منهما من الإدغام في مثله، فالألف لا يحرّك فهو ساكن أبدا ولذلك يُدغم بالألف. والهمزة كذلك لأنها ثقيلة ولو أدغمت لازداد ثقلها إلا إذا كانت عينا في وزن (فعّل) مثل: سأل.**[3]

أما إذا كان الأول منهما متحركا فقد اختلفوا في ذلك نحو: (مناسككم) و(فيه هدى) فمنهم من أنكره ولم يستحسنه[4] ومنهم من أجازه وسماه بالإدغام الكبير.[5]

---

[1] - الكتاب 4/ 437 وينظر: المقتضب1/ 206 - 221

[2] - شرح المفصل 10/ 131 - 132

[3] - ينظر: المقتضب1/ 198 وينظر: شرح المفصل10/ 136

[4] - شرح المفصل123/10

[5] - معاني القرآن: أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، تحقيق: فائز فارس، ط2، 1981م، 1/ 110 - 151وينظر: السعة في القراءات: ص 116

أما إدغام الحرفين **المتقاربين في المخرج** فقد أشاروا فيه إلى الحروف التي يمكن إدغامها معا، والحروف التي لا تدغم في غيرها، وأذكر هنا الحروف التي تدغم مع ما يقاربها مخرجا ويوافقها أو يقاربها صفة وغيرها لا يدغم في شيء.

1 . الهاء (**ه**) يدغم في: ←الحاء (ح) سواء وقع قبله أم بعده نحو: **اجبه حاتما، اذبح هذه** فتقول: **اجبحّاتما واذبحّاذه.**[1]

2 . العين (ع) تدغم في: ← الهاء (**ه**) كما في: اقطع هلالا فتقول: اقطهّلالا، ويدغم في الحاء (ح) نحو: ارفع حاتما← ارفحّاتما[2]

3 . الخاء (خ) تدغم في: ← الغين (غ) نحو: اسلخ غنمك: اسلغّنمك.[3]

4 . الغين (غ) تدغم في: ← الخاء (خ) نحو: ادمغ خلفا: ادمخّلفا.[4]

5 . القاف (ق) تدغم في: ← الكاف (ك) نحو: الحق كلده: الحكّلده.[5]

6 . الكاف (ك) تدغم في: ← القاف (ق) نحو: انهك قطنا: انهقّطنا.[6]

7 . الجيم (ج) تدغم في: ← الشين (ش) نحو: اخرج شبثا: اخرشّبثا.[7]

8 . الضاد (ض) تدغم في: ← الطاء (ط) نحو: اضطجع: اطّجع. **ويدغم في الشين عند أبي عمرو، نحو: لبعض شأنهم: لبعشّأنهم مع أنّ علماء اللغة لم يجوّزوا ذلك بسبب ذهاب الاستطالة من الضاد عند إدغامها.**[8]

9 . الطاء (ط) تدغم في: ← الضاد (ض)[9] نحو: اضبط ظالما: اضبظّالما. ويدغم في الدال نحو: اضبط اضبط دلما←اضبدّلما، وفي التاء نحو: انفط توأما← انفتّوأما.[10]

10 . اللام (ل) وهو على قسمين: ما كان (لام التعريف) وما كان غير ذلك. فإن لم لام تعريف فهو يدغم في الراء (ر) نحو: هل رأيت: هرّأيت.[11] وقد يدغمه القراء في التاء نحو: بل تؤثرون: بتّؤثرون أو في

---

[1] ـ الكتاب4/ 449 وينظر: المقتضب1/ 207 وشرح المفصل 10/ 136
[2] ـ شرح المفصل10/ 136
[3] ـ المقتضب1/ 209 وشرح المفصل 10/ 137
[4] ـ الكتاب 4/ 451 وينظر: المقتضب 1/ 208 وشرح المفصل137/10
[5] ـ نفسه: 4/ 425 وينظر: المقتضب1/ 209
[6] ـ المصدر نفسه والصفحة نفسها.
[7] ـ الكتاب4/ 452 وينظر: المقتضب 1/ 211
[8] ـ شرح المفصل10/ 140
[9] ـ المقتضب1/ 212 وشرح المفصل10/ 140
[10] ـ الكتاب4/ 460 وينظر: شرح المفصل10/ 141
[11] ـ الكتاب4/ 452 وينظر: شرح المفصل10/ 141

الثاء نحو: هل ثوب←هثّوب، أو في السين (س) نحو: بل سولت←بسّوّلت،[1] وقد يدغم في النون(ن) نحو: هل نرى←هنّرى.[2]

أما إذا كان لام التعريف فهو يدغم في ثلاثة عشر (13) حرفا لا يجوز فيه معهن الإدغام وهي: ن . ر . د . ت . ص . ط . ظ . ض . ذ . ث . ز . س . ش.[3] وهي ما نعرفها باللام الشمسية.

11 . النون (ن) يدغم في أي حرف من حروف (**يرملون**) **نحو**: من يعذب←ميّعذب، ومن ربك←مرّبك

وعلينا أن نأخذ بالاعتبار أن تكون النون في نهاية الكلمة، والياء والميم والواو في بداية الكلمة التابعة مباشرة للكلمة الأولى حتى لا يحدث لبس في الإدغام لأنّ النون لا تدغم في هذه الحروف في كلمة واحدة بسبب وجود لبس في حال الإدغام نحو: (الدنيا) لا نستطيع إدغامها لأنها تصبح: الديّا وهذا خطأ.

12 . الدال (د) و التاء (ت) والذال (ذ) والثاء (ث) يدغم بعضها في بعض وتدغم أيضا في الصاد (ص) والزاي (ز) والسين (س).[4]

13 . الصاد (ص) والزاي (ز) والسين (س) يدغم بعضها في بعض.[5]

14 . الباء (ب) يدغم في: الفاء (ف) نحو: لا ريب فيه←لا ريفّيه، ويدغم في الميم نحو: يعذب من: يعذمّن.[6]

هذه هي الحروف والأصوات التي تدغم فيما يقاربها في المخرج والصفة، وأقول مرة أخرى إنّ الاتفاق على مخارج الحروف وصفاتها عند القدماء لغويين وعلماء قراءات أدى إلى اتفاق على ما يدغم منها وما لا يدغم، وما يؤثر منها وما يتأثر. وأما بقية الحروف التي لم تذكر فلا تدغم في غيرها ولا يدغم فيها أي حرف. ولا تؤثر أو تتأثر بغيرها في هذا المجال إلا إذا كان الحرف المجاور لها مثلها مخرجا وصفة.

---

[1] - شرح المفصل10/ 142
[2] - الكتاب4/ 456
[3] - الكتاب 4/ 457 وينظر: المقتضب1/ 213 - 214
[4] - الكتاب 4/ 460 وينظر: إتحاف فضلاء البشر 1/ 44 وشرح المفصل10/ 145
[5] - الكتاب 4/ 464 وشرح المفصل 10/ 145
[6] - شرح المفصل 10/ 146 - 147

6 . موانع الإدغام:

يمتنع الإدغام بين الحروف بسبب تباعد تلك الحروف مخرجا وعدم اتحادهما صفة، أو بسبب وجود وجو حاجز صوتي يمنع التأثر والتأثير بينهما، وقد لوحظ ذلك في أثناء الحديث عن الحروف التي تدغم والتي لا تدغم.

وقد ذكر علماء اللغة القدماء موانع الإدغام فمنها ما يكون خاصا بصفات الحروف المراد إدغامها، أو التي تكون مانعة للإدغام سواء في أن يدغم بها حرف أم أن تدغم هي بحرف. فمثلا تكون الهمزة مانعة للإدغام في مثلها أو غيرها لأنّ فيها استثقالا وصعوبة إلا في وزن (فعل) التي يكون عينها همزة مثل: دأب. وكذلك **الألف** لا تدغم في غيرها ولا في مثلها، لأنها تكون ساكنة أبدا، **والياء والواو** أيضا لا تدغمان في غيرهما، لما فيهما من لين وم، وكذلك الأمر بالنسبة لصوت **الراء** لما فيه من تكرير، **والشين** لما فيه من استطالة وتفشٍّ، **والصاد** لما فيها من استعلاء وصفير.[1]

وقد يكون مانع الإدغام هو حدوث اللبس فمثلا امتنع الإدغام **للنون في الميم** في مثل: زنماء وزنم لمخافة اللبس مع زمم.[2]

كما أنّ الحركة على الحرف الأول تضعّف من الإدغام نحو: الملل والمشش. وقد فصا ابن يعيش بعض الموانع بقوله:" الإدغام إنما جيء به لضرب من التخفيف فإذا أدى ذلك إلى فساد عدل عنه إلى الأصل وذلك على ثلاثة أضرب: احدها أن يكون الحرف الثاني من المثلين مزيدا للإلحاق نحو قولهم في الفعل: جلبب، والضرب الثاني: أن يؤدي الإدغام إلى لبس نحو: سرر وطلل وأما الضرب الثالث فهو أن يلتقي المثلان من كلمتين وما قبل الأول حرف صحيح ساكن نحو: قرم مالك"[3]

استخلاص:

من هذا العرض للإدغام ومواضعه وفائدته يتبين أنّ الإدغام ينتج عن صوتين متماثلين تجاورا، فأدى تجاورهما إلى أن يؤثر الثاني في الأول أبدا، فيدخل الأول في الثاني ليلفظا صوتا واحدا مشددا، سواء أكان الأول ساكنا أم متحركا.

وقد ينتج الإدغام أيضا عن صوتين متقاربين وليسا متماثلين، فيتدخل قانون التأثر والتأثير من الثاني نحو الأول ولا يحدث إدغام إلاّ بعد أن يتحول القريب إلى مثل الثاني ثم يدغم فيه وهنا ثلاث مراحل: الأولى

---

[1] - الكتاب 4/ 446 - 448 وينظر: سر صناعة الإعراب 1/ 193

[2] - النشر في القراءات العشر 2/ 20 وينظر: شرح المفصل 10/ 122 - 123

[3] - شرح المفصل 10/ 122 - 123

تتمثل بأن يؤثر القوي وهو الثاني غالبا في الأول، والثانية: تتمثل بتحول الأول إلى مثل الثاني، ثم الثالثة: يدغم الأول في الثاني.

وإذا كان الأول متحركا فإنّ مرحلة أخرى تدخل ضمن هذه المراحل، إما قبل الأولى أو بعدها، أو بعد الثانية وهي مرحلة تسكين الأول وذلك نحو: (بيّت طائفة) فالطاء أثرت بالتاء فحولتها إلى طاء مثلها ثم سكنت الطاء المحولة ثم أدغمت لتصبح (بيطّائفة)

وقد يحدث أن يتأثر صوت بصوت مجاور له مما يؤدي إلى أن يتغير مخرجه وصفته إلى ما يقارب الحرف المؤثر ولكن ليس إلى مثله فلا يحدث إدغام وهذا يحدث في نحو: (ازتان) حيث تتأثر التاء بالزاي، فتتحول إلى ما يقارب الزاي وهو الدال نظير التاء المجهور فتصبح (ازدان) وقد يحدث أن تتأثر الدال مرة أخرى بالزاي لتتحول إلى مثلها فتصبح (ازّان) وهكذا في مثل: اذتكر: (اذدكر، ادّكر) فيحدث فيهما إدغام.

وهذا النوع من التأثر والتأثير في مرحلته الأولى ـ أي ما يقارب فيه الصوت الصوت المؤثر ـ لا يعدّ إدغاما فهو قد أصبح تحت باب المماثلة الصوتية فكانت المماثلة نتيجة ذلك التأثر ولكن في المرحلة الثانية التي حدث فيها إدغام أصبحت المماثلة سببا أحدث نتيجة هي الإدغام؛ فالإدغام إذن في كل صوره يعدّ نتيجة للماثلة الصوتية أو فرعا منها.

ثانيا: الإتباع

تناولت الدراسات اللغوية العربية القديمة ظواهر التماثل الصوتي، وإن كان ذلك في أبواب متباينة، وتحت مسميات مختلفة، فتناولوا في الإدغام التماثل بين الحروف العربية الصامتة، على أنهم لم يقصروا تناول التماثل بين الصوامت في باب الإدغام وحده؛ وإنما تعرضوا له أيضا في أبواب صرفية أخرى هي على وجه الخصوص الإعلال والإبدال على أن التماثل لا ينحصر في أصوات اللغة على الصوامت منها؛ بل يتعداها إلى الصوائت أو ما أطلق عليه اللغويون العرب القدماء تسمية الحركات، وقد فطن هؤلاء إلى ظاهرة التماثل بين الحركات، فبحثوا فيها مطلقين عليها مصطلح الإتباع.

وقبل أن نبسط القول في دراسة هذه الظاهرة، أرى أن أمهد لها بتقديم ملمح وصفي للحركات في اللغة العربية، يكشف لنا عن خصائصها التركيبية، وصفاتها، وخارجها، ويُبين عن الفروق الكامنة بينها.

ولعلنا لا نكون مجافين للحق إذا زعمنا أنّ التفكير في الحركات كان مؤذنا بميلاد النظر النحوي عند العرب، فالمصادر تذكر انّ أبا الأسود الدؤلي(ت 69هـ) حينما شرع في البحث عن حلّ يقي من اللحن، قاده تفكيره إلى إدخال تعديلات على الخط العربي، وتمثلت هذه التعديلات في وضع نقاط على أواخر الكلم تضبط حركتها الإعرابية، وكان عدد هذه العلامات ثلاثة، أخذت تسميتها من كيفية التلفظ بها، فقد

روى السيرافي أنّ أبا الأسود لما أراد نقط المصحف طلب من مرافقه الكاتب أن يضع نقطة على أعلى الحرف الأخير حين يراه قد فتح فمه بالحرف، فإن ضمّ فمه فالنقطة أمام الحرف، وإن كسر فالنقطة تحت الحرف،[1] وهذه الواقعة إن صحّت تتضمن دلالات منها:

. إنّ إصلاح منطق المتكلمين قد اتخذ من تعديل الرسم وسيلة له، وهذا شيء يدعو إلى التفكير.

. الانتباه إلى الحركات القصيرة الثلاث ووضع مصطلحاتها وفق الهيأة التي يأخذها جهاز النطق حين التلفظ بها.

. الربط بين وضع علامات الحركات القصيرة وظاهرة الإعراب.

إنّ الخط العربيّ سليل الخط الآرامي كان خاليا من رموز للحركات القصيرة، وهذه الخاصية مشتركة بين خطوط اللغات السامية جميعا، توارثتها عن الأبجدية الفينيقية التي لم تضع للحركات القصيرة رموزا خاصة. وبعد إنجاز الخطوة الثانية في مسار تقويم الخط العربي والمتمثلة في إعجام الحروف على يد نصر بن عاصم، قام الخليل بن أحمد بإدخال رموز للحركات مختلفة عن تلك التي اعتمدها الدؤلي، وذلك تفاديا للخلط بين تنقيط الحركات وتنقيط الإعجام، وقد تعايشا هذان النمطان من العلامات زمنا قبل أن تسقط رموز أبي الأسود من الاستعمال، وذلك أنّ رموز الخليل عملية أكثر من حيث أنها تدخل على أواخر الكلمة كما تدخل على بقية حروفها، فيما تتعذر الإمكانية الثانية على رموز الدؤلي.

إنّ ما يستوقفنا في عمل الخليل هو طريقته في صوغ هذه العلامات، فمن المعلوم أنه استمد علامة الفتحة من شكل الألف، والكسرة من شكل الياء، والضمة من شكل الواو، ولم يكن اختياره هذا عبثا؛ وإنما يكشف على أنّ الخليل نفذ بفكره إلى حقيقة العلاقة التي تجمع بين حروف المد وبين الحركات القصيرة، وقد جاء فيما رواه عنه تلميذه سيبويه ما يثبت أنه كان على وعي تام بهذه العلاقة:" الفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو"[2]

ونتجه الآن إلى تقديم وصف واف على كيفية الإنتاج العضوي لهذه الحركات الثلاثة، فنبدأ بالقول أنّ المختصين أثبتوا لها صفة الجهر، فالصوت معها لا يعترضه عارض حين انبعاثه من الرئتين مارا بالأوتار الصوتية التي تتذبذب معه، على أن الفم يتخذ وضعيات معينة تتشكل بفعلها هذه الحركات وتتمايز،[3] ويلعب اللسان دورا مؤثرا في ذلك بارتفاع طرفه أو أقصاه نحو سقف الحنك.

---

[1] ـ أخبار النحويين البصريين، ص12

[2] ـ الكتاب4/ 242

[3] ـ الصرف وعلم الأصوات: ديزيرة سقال، دار الصحافة العربية، ط1، 1996م، ص 21

. الفتحة:

ينشأ صوت الفتحة لما يكون اللسان منبسطا في قاع الفم مع ارتفاع خفيف لوسطه، وفيما يكون الفم متسعا، تأخذ الشفتان وضعا مسطحا منفرجا،[1] وعلى هذا يجوز لنا القول إنّ الفتحة وسطية بالتقريب، منفتحة، ومنفرجة،[2] ويكون جهاز النطق معها أقرب ما يكون إلى حالة الراحة.[3]

. الكسرة:

في إنتاجها يرتفع طرف اللسان باتجاه وسط الحنك الأعلى، على شرط أن يكون هناك متسع بينهما يسمح بمرور تيار الهواء دون أن ينتج عن ذلك احتكاك من أي نوع كان،[4] فموضع الكسرة أمامي، وهي على خلاف الفتحة منغلقة تكون الشفتان معها منفرجتين.[5]

. الضمة:

يرتد اللسان أثناء النطق بها إلى الخلف، ويرتفع أقصاه إلى سقف الحنك مع تضييق تجويف الفم، وامتداد الشفتين إلى الأمام في شكل مستدير، وانفتاحهما انفتاحا خفيفا.[6]

إنّ الضمة أثقل الحركات، ويعود ذلك إلى أنها تصدر على مستوى الحلق، وإلى كون الشفتين ننخذ حين النطق بها وضعا مستديرا،[7] فيما الفتحة أخفّ الحركات لأنّ الفم ينتجها دون أن يطرأ عليه تغير كبير.

يميز علماء الأصوات بين الفتحة من جهة باعتبارها حركة متسعة، في مقابل الحركات الضيقة: الضمة والكسرة، ويجد هذا التقسيم مبرره في أن التغيير الذي يلحق عادة الضمة يرتد على الكسرة.[8]

إنّ كون الكسرة أمامية؛ تكون الشفتان حين التلفظ بها منفرجين، وكون الضمة خلفية تتخذ الشفتان معها شكلا مستديرا، جعل منهما حركتين متقابلتين، فيما تكون الفتحة مع الكسرة أو مع الضمة حركتين متجاورتين لوقوعها قريبا من وسط اللسان.[9] واتخذ عبد الصبور شاهين موقفا مخالفا حين ارتأى أنّ الضمة والكسرة متقاربتين، وانتقد قول سيبويه من أنّ الكسرة أقرب إلى الفتحة من الضمة،[10] والذي نراه حقا هو أنّ الفتحة تتوسط بين الكسرة الأمامية والضمة الخلفية، وتكفي العودة إلى المقياس المعياري للصوائت(الحركات) الذي وضعه(دانيال جونز) للتأكد من هذا.

---

[1] ـ الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص 210
[2] ـ التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش، ص50
[3] ـ المجمل في العربية النظامية: أندري رومان، ترجمة: حسن حمزة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2007م، ص 44
[4] ـ المدخل إلى علم اللغة، ص 92
[5] ـ التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص 50
[6] ـ الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص 210
[7] ـ التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص 51
[8] ـ المدخل إلى علم اللغة، ص 94
[9] ـ التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص 51
[10] ـ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، ص 290

وتعود الآن إلى صلب موضوعنا فنقول إنّ ـ الإتباع كظاهرة لغوية تقوم على تأثير الحركة أو الصامت في الحركة المجاورة لها ـ فرع من ظاهرة أوسع هي ما يسمى في علم الأصوات بالتماثل، وقد أشار إليها النحاة العرب القدماء دون أن يوفّوها حقها من الدراسة؛ فكان تناولهم لها عبارة عن ملاحظات عابرة خاطفة؛ فسيبويه ألمّ ببعض جزئيات هذه الظاهرة،[1] لكنه لم يستخلص منها المبدأ الذي يحكمها، مما كان يتيح له إمكانية توظيفه كأداة تفسير، وهكذا أدار ظهره للحقيقة الواضحة حين راح يفسر كسر ضمير الغائب(الهاء المسبوقة بياء أو كسرة، بأنها ـ الهاء ـ خفية، وأنها من حروف الزيادة، وكان في ميسوره أن يُرجع كسرها إلى تأثير الحرف أو الحركة التي سبقتها، وهو تفسير بسيط، قريب من روح اللغة، يجنّبه التماس العلل البعيدة التي لا تقوى على الإقناع.[2]

واقتفى ابن جني أثر شيخ النحاة في تناوله لظواهر الإتباع، فالتمس لها التعليل من خارجها، كما فعل في قراءة قوله تعالى من سورة الفاتحة﴿الحمد لله﴾حيث رد إتباع حركة الدال لحركة اللام، وحركة اللام لحركة الدال إلى كثرة الاستعمال، وتقدير المتكلم للفظين على أنهما لفظ واحد.[3]

ونجد السيوطي يتناول الإتباع كمفهوم متميز، ويضعه عنوانا لباب خاص في كتابين له، أحدهما في فقه اللغة ونعني به(المزهر)، وفيه تناول هذا المفهوم بالمعنى الذي نجده عند ابن فارس،[4] أي: إتباع لفظ للفظ آخر، لا يفيد ثانيهما في الغالب مدلولا ما، وإنما جيء به للإشباع[5] كما أحسن التعبير عن ذلك ابن فارس، فارس، وهذا المفهوم للإتباع لا علاقة له بموضوعنا، وأما المؤلف الثاني فهو(الأشباه والنظائر) وتناول فيه الإتباع بحسب الحدّ الذي نحن فيه، فذكر أقسامه، وضرب له أمثلة، وإن لم يُعنَ بوضع تعريف له، ولم يربطه بالمفاهيم اللغوية التي تمتّ له بصلة.[6]

ولعلّ في أنّ قطاعا واسعا من هذه الظاهرة هو إفراز لهجي جعل النحاة يغضّون من شأنها، ولا يولونها الكثير من عنايتهم، فهم حسب المعروف عنهم كان شغلهم الشاغل تدارس الفصحى لا غير، وهذا ما يستشف من وصف سيبويه لنطق قبيلة ربيعة لفظ(منهم) بكسر حركة الهاء فيه على الإتباع على أنه لغة رديئة.[7]

---

[1] ـ الكتاب 3/ 532، 101/4 - 107 - 173 - 196

[2] ـ التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية من خلال كتاب إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، بسكرة، 1431 ،1432هـ، 2010 - 2011م، ص 108

[3] ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني،تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دت،ط 2، 37/1

[4] ـ الصاحبي في فقه اللغة: ابن فارس، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، دط، 1977م، ص236

[5] ـ المزهر في علوم اللغة ، السيوطي، 1/ 414 - 425

[6] ـ الأشباه والنظائر: جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الإله نبهان وآخرون، مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1987م، 1/ 15 - 18

[7] ـ الكتاب196/4

1 . تعريف الإتباع:

عرّف أحمد بن فارس الإتباع فقال:"هو أن تُتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويَها إشباعا وتأكيدا"[1] وضرب له الكسائي أمثلة توضيحية، فقال: " هو كقولهم: عطشان نطشان، وجائع نائع، وحَسن بَسن، ومثله كثير في الكلام. وإنما سُمّي إتباعا لأنّ الكلمة الثانية إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يُتَكلّم بالثانية منفردة، فلهذا قيل: إتباع"[2]

وفحوى كلام الكسائي أنه لا يحقّ للعربي أن يقول: نطشان، والطفل نائع، والثوب بسن لأنّ هذه الألفاظ كالعربات المقطورة لا تسير إلا إذا سحبتها القاطرة. فهي هياكل لواحق، تستمدّ حركتها من السوابق التي تشق لها السبل إلى أذهان السامعين.

2 . شرط الإتباع:

شرط الإتباع عند اللغويين تجرّد التابع من **حرف العطف**، فإن قلت: فلان ساغب ولا غب لم تغلط، ولكنك نقلت الكلام من أسلوب الإتباع إلى أسلوب العطف. قال السيوطي:" وأما حديث آدم عليه السلام أنه استحرم حين قتل ابنه، فمكث مائة سنة لا يضحك، ثم قيل له: حياك الله وبياك. قال: وما بيّاك؟ قيل: أضحكك. فإن بعض الناس يقول في بياك: إنه إتباع، وهو عندي على ما جاء تفسيره في الحديث: إنه ليس إتباع ، وذلك أنّ الإتباع لا يكاد يكون بالواو، وهذا بالواو"[3]

وربما اختلط الإتباع بالترادف، فتوهّم من لا دُربة له بكلام العرب أنهما توءمان، والحق أنّ بينهما وشيجة من قربى، لكنها لا تبلغ مبلغ الأخوة. فالمترادفان (كالليث والأسد) يحملان دلالة واحدة، والتابع يردف المتبوع في اللفظ، ولا يردفه في المعنى. قال التاج السبكي:" ظنّ بعض الناس أنّ التابع من قبيل الترادف، يُشبّهه به، فإن المترادفين يُفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت. والتابع لا يفيد وحده شيئا، بل شرط كونه مفيدا تقدّم الأول عليه."[4]

3 . أقسام الإتباع:

ينقسم الإتباع إلى ضربين: ثنائي، وثلاثي

---

[1] ـ الكتاب: ص 458

[2] ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي، تحقيق: جاد المولى وصاحبيه، القاهرة، دط، دت، 1/ 415

[3] ـ نفسه:1/ 415

[4] ـ المصدر نفسه والصفحة نفسها.

أ . الإتباع الثنائي: وهو الأكثر، تنطوي كل عبارة من عباراته على كلمتين متجانستين متوازنتين، متساويتين في عدد الأحرف مختلفتين في حرف واحد. ومثاله: " يقولون للأحمق هفّات لفّات، وفرس غوج موج. الغوج: الواسع الخطو، والموج: كأنه يموج."[1]

ب . الإتباع الثلاثي: تنطوي كل عبارة من عباراته على ثلاث كلمات متوازنة متجانسة متساوية في عدد الأحرف، مختلفة في حرف واحد أو أكثر، ومثاله في الدلالة على الكثرة والغزارة:" هو كثير بثير بذير"[2] ويقولون في الخسران المبين:" هو خاسر دامر دابر "[3]

4 . أغراض الإتباع:

أ . الغرض المعنوي: فهو التوكيد بأسلوب يخالف أسلوبي التوكيد المعنوي واللفظي، وكلاهما توكيد معنوي نحوي.

فالتوكيد المعنوي يتم بذكر ألفاظ معروفة منها: كلّ، وكلا، وجميع، ونفس...

كأن تقول عاد الغائبان كلاهما. والتوكيد اللفظي يتم بتكرار الكلمة المفردة أو الجملة كقولك: رويت الحديث الحديث،والله أكبر الله أكبر. أما هذا النمط من التوكيد فهو توكيد في المعنى لا في النحو. فإذا قلت في صفة خدّاع: " هو خبّ ضبّ"[4] فالخب خبر أول، والضب خبر ثان. والتوكيد جاء من تأييد معنى الكلمة الأولى بمعنى الكلمة الثانية.

ب . الغرض الفني: فهو ما يرمي إليه الإتباع من إمتاع لأنه عند التمحيص يبدو لك ضربا من ضروب المجانسة والازدواج، وشكلا من أشكال السجع، يقرب موسيقا النثر من موسيقا الشعر، وينفح السمع بأعذب وقع. وللعرب كلف أيّ كلف بإصلاح الألفاظ لتسبغ عليها جرسا محببا، حتى إنها لتغير هيئة اللفظة، وبناءها الصرفي، فتهمز ما لا يهمز لتوائم المهموز من ذلك الحديث الشريف:" أرجعن مأزورات غير مأجورات"[5] فأصل المأزورات موزورات لأنّ اللفظة من الوزر بمعنى الإثم لا من الأزر بمعنى القوة.

وخلاصة القول: إنّ الإتباع أسلوب طريف من أساليب الكلام العربي فيه الرشاقة والتناغم وتقوية المعنى، وهو إلى الارتجال أقرب منه إلى القصد، وبالطرافة أشبه منه بالحصافة، وهو برهان واضح على ما في لغتنا من ثراء وتنوع.

---

[1] ـ الإتباع والمزاوجة: ابن فارس، تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة، دط، 1947م، ص 32 - 35

[2] ـ الإتباع والمزاوجة: ص 42

[3] ـ نفسه: ص 43

[4] ـ الإتباع والمزاوجة: ص ص29

[5] ـ الأشباه والنظائر في النحو: السيوطي، تحقيق: عبد الإله نبهان، دمشق، 1985م، ص 201

المحاضرة رقم (14): الظواهر الصوتية في العربية ـ الهمز ـ

1 . تعريف الهمزة لغة واصطلاحا

الهمزة لغة:

الهمز مثل الغمز والضغط، ومنه الهمز في الكلام لأنه يضغط، وقد همزت الحرف فانهمز، قيل لأعرابي أتهمز الفأر؟ فقال السنور يهمزها. والهمز مثل اللمز وهمزه دفعه وضربه وهمزته ولمزته ونهزته إذا دفعته، وقوس همزى شديدة الهمز إذا نُزع عنها، وقوس هتفى تهتف بالوتر والهامز والهماز العيّاب والهمزة مثله. والهماز والهمزة الذي يخلف الناس من ورائهم ويأكل لحومهم وهو مثل العيبة يكون ذلك بالشدق والعين والرأس. والهماز والهُمزة الذي يهمز أخاه في قفاه من خلفه. ومنه قوله عز وجل﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾، قال أبو إسحاق: الهمزة اللمزة الذي يغتاب الناس ويغضّهم.[1]

والهمزة من الحروف معروفة، وسميت الهمزة لأنها تُهمز فتُهتُّ، فتنهمز عن مخرجها. يقال: هو يهتُّ هتًّا إذا تكلم بالهمز.[2]

الهمزة اصطلاحا:

الهمزة أحد حروف اللغة العربية يعبّر عنها بالألف المهموزة؛ لأنها لا تقوم بنفسها ولا صورة لها؛ فلذا تكتب مع الضمة واوا، ومع الكسرة ياء، ومع الفتحة ألفا.[3]

والهمزة رغم شيوعها في اللغة العربية لم يرمز لها في الرسم العربي القديم برمز خاص ككل الأصوات الساكنة، ولتصرف القدماء في الهمزة بالتخفيف ـ إبدالا ونقلا وحذفا ـ وتسهيلها بين بين كتبن بحسب ما تخفف به، فأحيانا كتبت ألفا وطورا واوا أو ياء وثالثة يرمز لها بأيّ رمز.[4]

2 . تاريخ الهمزة

لم يبتكر العرب خطّهم الذي كتبوا به لغتهم ابتكارا، وإنما تأثروا في وضعه ـ على أصح الأقوال ـ بالخط النبطي،* الذي كان منتشرا في شمالي الجزيرة العربية، في البتراء، والحيرة، والأنبار، وغيرها قبل مجيء الإسلام. وبالتالي العرب

---

[1] ـ لسان العرب: مادة (همز) 52 / 4699 - 4698

[2] ـ تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الستار فراج، التراث العربي وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1385م، 1965م، 15/ 390

[3] ـ نفسه 15 / 390

[4] ـ الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 90

* ـ النبط قوم من الساميين، كانوا يتكلمون لهجة آرامية من تلك اللهجات الآرامية الكثيرة التي كانت شائعة في سوريا والعراق في ذلك الوقت.

اقتبسوا خطهم من النبط نظرا للاتصال المباشر بهم في أثناء رحلاتهم المتواصلة إلى الشام، وقد شاع هذا الخط أولا بين الحجازيين ولا سيما قبيلة قريش.

وقد كانت **الألف** في أصل الخط النبطي هي رمز **الهمزة**، غير أنّ الحجازيين لم يكونوا يهمزون في كلامهم؛ وهذا يعني أنّ لهجة الحجاز الأصلية تسهيل الهمزة، وإذا وقعت الهمزة موقعا لا يمكن تسهيلها فيه وهو أول الكلمة بقيت على حالها في النطق في مثل: أسد، وأذن، وأحمد، وغير ذلك.

وإذا كان الحجازيون لا يهمزون في كلامهم، وقد شاع الخط وانتشر على أيديهم، فإننا نرى رمز الهمزة القديم، وهو الألف يختفي من الكتابة العربية، في غير أول الكلمة مطلقا مثل: **اسد، واذن، واحمد،** أو في وسطها أو آخرها إذا كانت الهمزة مفتوحة وقبلها مفتوح مثل: **سال، وملا** وذلك لأنّ انتشار الخط في الحجاز تمّ على نطاق واسع بين القريشيين الذين لم يكونوا يهمزون فكان يترتب على تركهم الهمز نشوء **حركات طويلة أو أصوات انزلاقية** يتحدد نوعها باختلاف أماكن ورودها في الكلمة، فكان الحجازيون ينطقون مثلا: **راس، وبير، ويومن، وسما، والمنشيون، وتطمينّ، وأفيدة، وفيَة، ويؤُزّ، ويُودّى،** وما أشبه ذلك.[1]

وفي هذا يقول ابن جني:" اعلم أنّ الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة، وإنما كتبت الهمزة واوا مرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف، ولو أريد تحقيقها البتة لوجب أن تكتب ألفا على كل حال"[2]

كما يقول أحمد بن محمد الرازي:" وأما الهمزة المحققة فأصلها أن تكتب على صورة الألف اللينة وإنما تُكتب مرة واوا وأخرى ياء على مذهب التخفيف"[3]

غير أنّ العربية الفصحى، لغة الشعر ومواقف الجد من القول، كانت تحقق الهمزة متأثرة بلهجة بني تميم، وقد نزل بذلك القرآن الكريم. وعندما أراد الخليل بن أحمد (ت 175هـ) أن يجعل الخط العربي مطابقا لنطق العربية الفصحى، وضع رمز الهمزة الذي نستخدمه اليوم، والذي لم يكن معروفا في الكتابة العربية من قبل، وقد اقتطع من رأس العين؛ ولذلك يسمى في بعض الأحيان (القُطعة)، ولعله اقتطع من رمز العين لقرب الهمزة من العين في المخرج.[4] وفي هذا العمل للخليل يقول السيوطي:" وأول من وضع الهمزة والتشديد الخليل"[5]

---

[1] ـ ينظر: مشكلة الهمزة العربية، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1417هـ، 1996م، ص 12 - 14

[2] ـ سر صناعة الإعراب 46/1

[3] ـ ثلاثة كتب في الحروف، ص 156

[4] ـ مشكلة الهمزة، ص 14

[5] ـ الإتقان في علوم القرآن 2/ 171

إنّ كل النصوص العربية القديمة التي وصلت إلينا في البرديات المختلفة تخلو من رمز الهمزة الذي نعرفه تماما؛ لأنّ الرمز القديم لها وهو الألف اكتسب عند الحجازيين صفة الدلالة على الفتحة الطويلة مع أنه الرمز الأصلي للهمزة. ولو أنّ الخط شاع وانشر أول الأمر في بيئة تستخدم الهمز في كلامها كبيئة تميم مثلا لوجدنا الهمزة تصور بصورة الألف دائما في أي موقع من الكلمة. ويؤيدنا هذا الرأي ابن يعيش إذ يقول: "والصواب ما ذكره سيبويه وأصحابه من أنّ حروف المعجم تسعة وعشرون حرفا أولها الهمزة وهي الألف التي في أول حروف المعجم. وهذه الألف هي صورتها على الحقيقة، وإنما كتبت تارة واوا وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف، ولو أريد تحقيقها لم تكن إلا ألفا على الأصل، ألا ترى أنها إذا وقعت موقعا لا تكون فيه إلا محققة، لا يمكن فيه تخفيفها . وذلك إذا وقعت أولا . لا تكتب إلا ألفا، نحو: أعلم، وأذهب، وأخرج."[1]

وأمر آخر يدل على أنّ الألف هي صورة الهمزة في القديم ما يقوله ابن جني من أنّ" كل حرف سميته ففي أول حروف تسميته لفظه بعينه، ألا ترى أنك إذا قلت: جيم، فأول حروف الحرف: جيم، وإذا قلت: دال فأول حروف الحرف: دال، وإذا قلت: حاء فأول ما لفظت به حاء، وكذلك إذا قلت: ألف فأول الحروف التي نطقت بها: همزة، فهذه دلالة أخرى غريبة على كون صورة الهمزة مع التحقيق ألفا"[2]

نعم... فنحن نكتب الهمزة بصور مختلفة في خطنا العربي الحالي، بسبب هذا التاريخ الطويل. ولو أنّ الخط شاع وانتشر أول الأمر في البيئة التميمية التي تحقق الهمزة، ما وُجدت هذه المشكلة، مشكلة تعدد الرسم الإملائي للهمزة التي تعجّ بها المخطوطات القديمة، والتي يعاني منها صغار التلاميذ وبعض كبارهم حتى اليوم، ولوجدنا الهمزة مكتوبة بالألف دائما.

3 . مخرج الهمزة

لقد ورد عن الخليل مخرجان للهمزة؛ الأول منهما أقصى الحلق يقول:"وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فإذا رُفّه عنها لانت إلى الياء والواو والألف عن غير طريقةِ الحروف الصحاح"[3] وأما المخرج الثاني فهو الجوف يقول:" في العربية تسعة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومخارج وأربعة هوائية وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة"[4]

وعلل الخليل سبب تسمية الهمزة هوائية بقوله:" فأما الهمزة فسمّيت حرفا هوائيا لأنها تخرج من الجوف فلا

---

[1] ـ شرح المفصل 10/ 126 وينظر: سر صناعة الإعراب 1/ 46
[2] ـ سر صناعة الإعراب 47/1
[3] ـ كتاب العين47/1
[4] ـ كتاب العين49/1

تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف"[1]

وتبنى سيبويه وابن جني رأي الخليل الأول حول الهمزة وضما الألف إليها وقررا أنّ مخرجيهما من أقصى الحلق وأسفله،[2] وعارض ابن الجزري رأي الخليل الثاني وبيّن أنّ " الصواب اختصاص هذه الثلاثة . الألف والواو والياء . بالجوف دون الهمزة"[3]

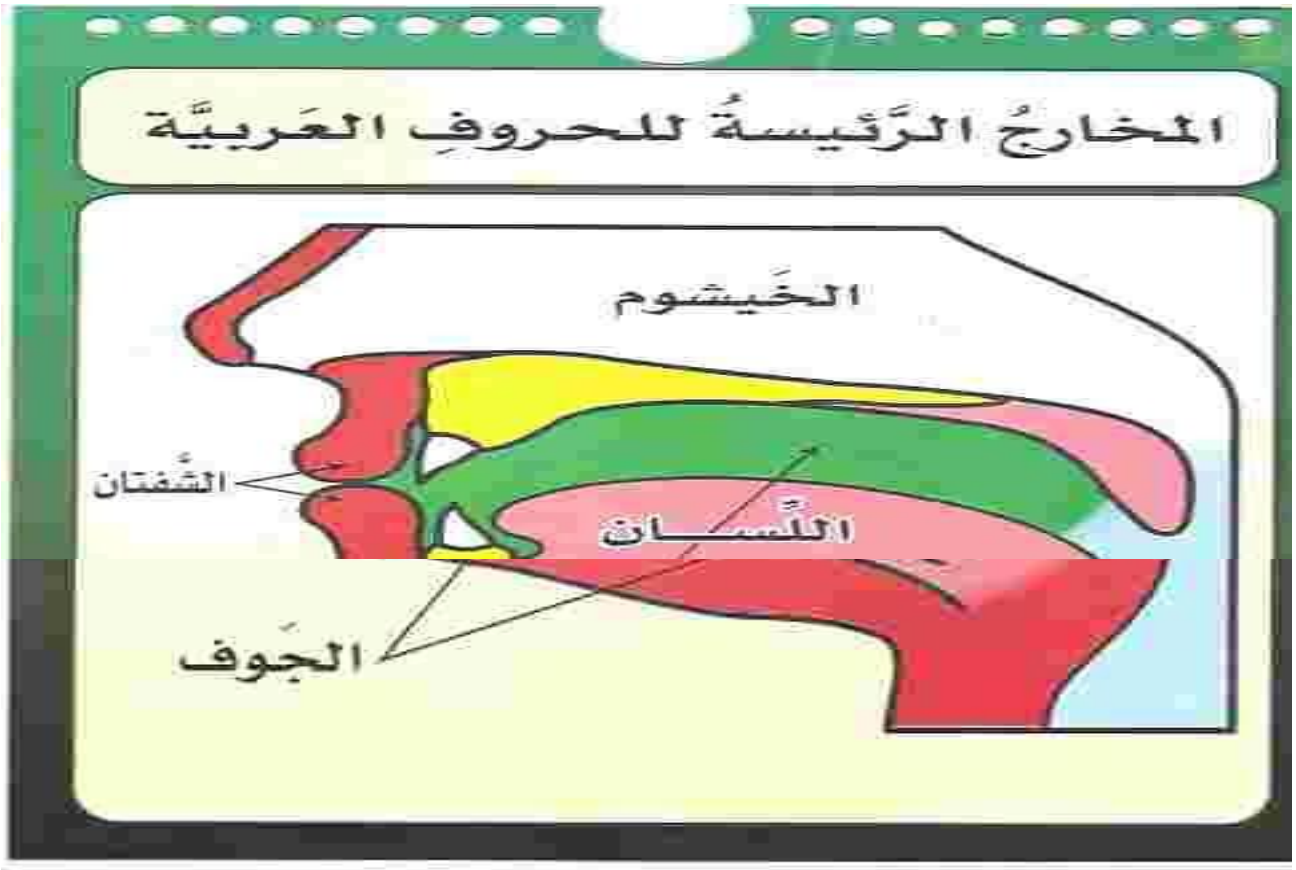

[1] ـ كتاب العين: 47/1
[2] ـ الكتاب وسر صناعة الإعراب 1/ 8
[3] ـ النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، 1/ 199

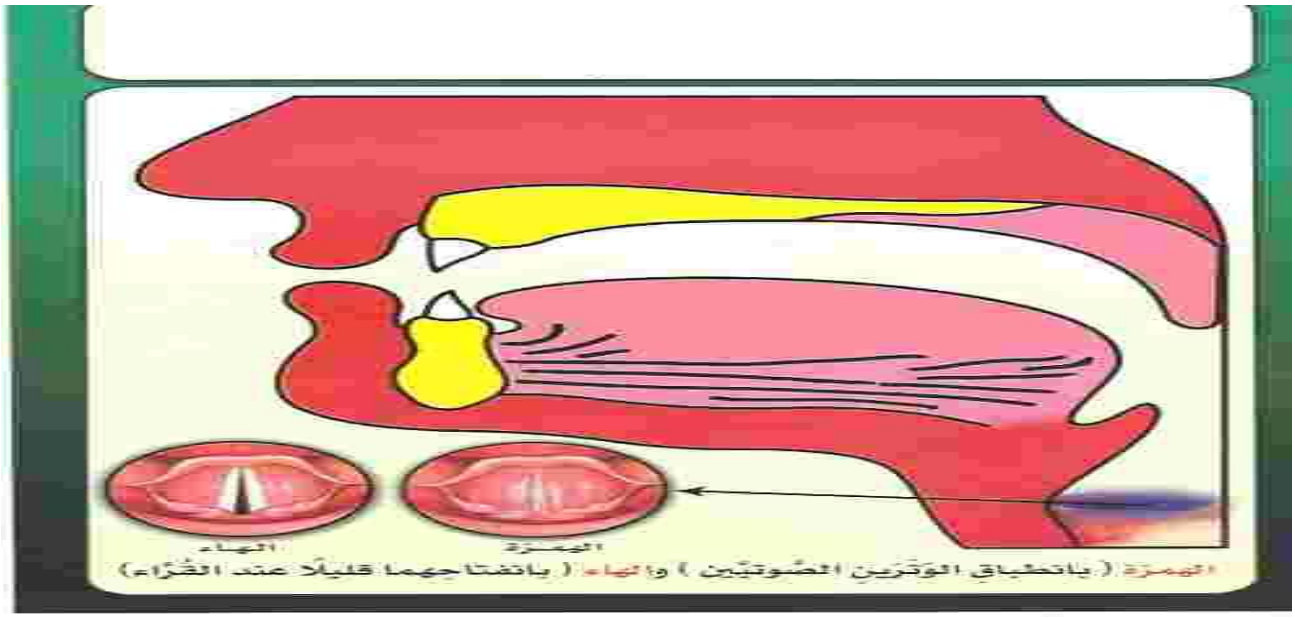
الهاء
الهمزة
الهمزة (بانطباق الوَتَرين الصَّوتيّين) والهاء (بانفتاحهما قليلًا عند القُرّاء)

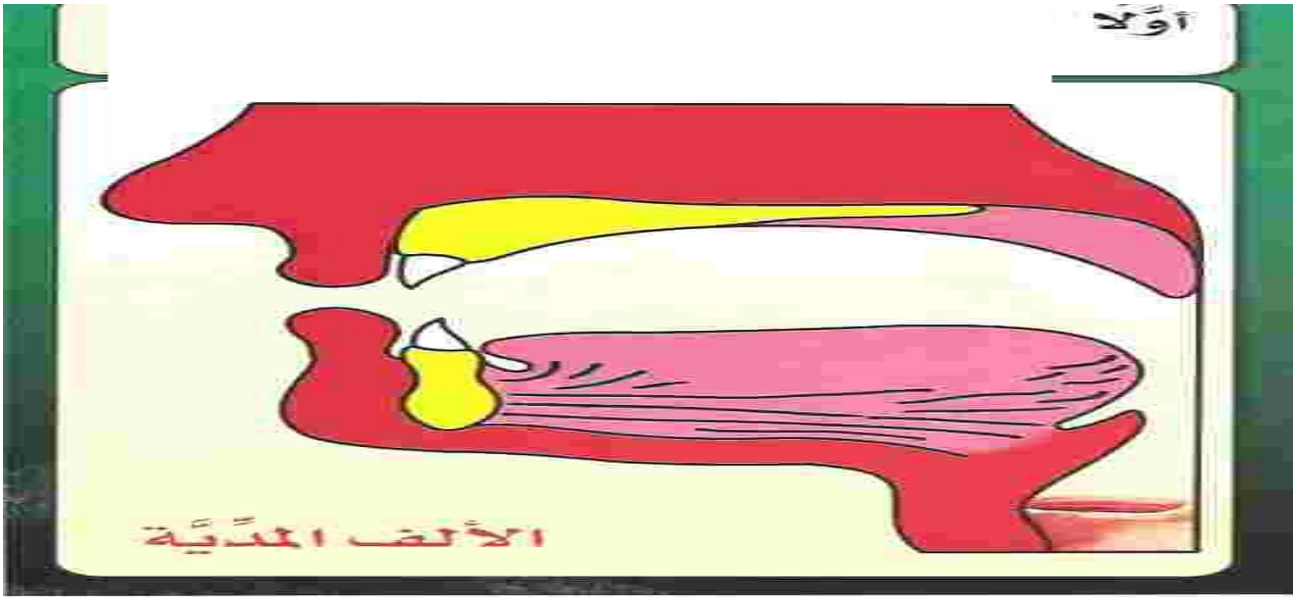
أوّلًا
الألف المدّيّة

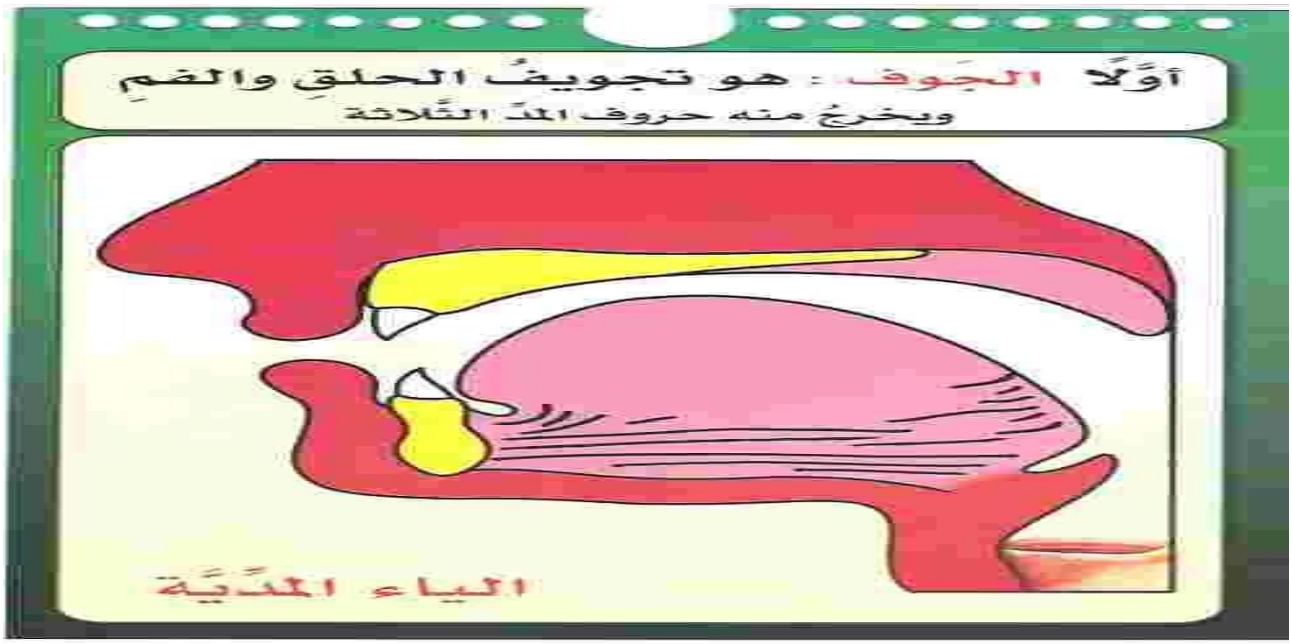

والحقيقة أنّ قول الخليل الذي يعتبر فيه الهمزة جوفية هوائية أمر يصعب تفسيره لأنها بعد البحث التجريبي

"صوت صامت حنجري انفجاري يحدث حين تُسدّ الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين، وذلك بانطباق هذين الوترين انطباقا تاما بحيث لا يُسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة فينضغط الهواء فيما دون الحنجرة ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثا صوتا انفجاريا"[1]

وحاول الدكتور كمال بشر أن يعلل سهو الخليل بأنه حينما كان ينطق بالهمزة لمعرفة طبيعتها ونوعها لم ينطقها وحدها وإنما متلوة بحركة فبدت كما لو كان هواؤها حرا طليقا، على حين أنّ حرية الهواء إنما تُنسب إلى الحركة المصاحبة للهمزة لا إلى الهمزة ذاتها.[2]

ورأي الخليل الأول الذي وافقه عليه سيبويه وابن جني القائل بأنّ مخرج الهمزة من أقصى الحلق لم يسلم من النقد أيضا فهو في رأي المحدثين قول غير دقيق لأنّ مخرج الهمزة من الحنجرة، غير أنّ هذه الشبهة تزول إذا كان القدماء يقصدون بأقصى الحلق منطقة واسعة تشمل الحنجرة كما قال كمال بشر.[3]

ويُلاحظ أنّ ما ذكره الخليل حول الهمزة يمكن أن يفسّر تفسيرا آخر على غير ما ذهب إليه المحدثون ذلك أنّ قول الخليل:" وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رفّه عنها لانت إلى الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح"[4] ذو شقين:

الأول: ويُمثل همزة القطع وهو قوله فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة.

الثاني: ويمثل الهمزة المخففة ويتمثل في قوله فإذا رُفّه عنها لانت إلى الياء والواو والألف.

إذن . يبدو أنّ الخليل مثّل في هذا التعريف أهل التحقيق وأهل التخفيف . ولا يُستبعد ذلك لأنّ مصطلح الهمزة كان فيما يبدو يدلّ على وجهين مترادفين هما التحقيق والتخفيف، فلا تطلق كلمة الهمزة إلاّ ويتبادر إلى الذهن مباشرة هذان الوجهان.[5]

يقول (عبد الصبور شاهين)" قد وجدنا أنّ من أهم المشكلات التي ينبغي أن تعالج علاجا علميا الهمزة؛ ذلك الصوت الفريد بين أصوات اللغة العربية؛ بل بين أصوات الفصيلة السامية كلها؛ بل بين أصوات مجموعات كثيرة من اللغات المعروفة حتى الآن. فقد احتفت العربية بهذا الصوت، وبدا من معاملات القدماء له رسما وإثباتا وحذفا وإبدالا وقلبا إحساسهم بأهميته الخاصة في بناء الكلمة العربية، وتباين أيضا موقف القبائل العربية منه، في نطقهم له،إثباتا وحذفا وتسهيلا، وانعكست هذه المواقف جميعا في الروايات الشاذة،

[1] ـ ينظر: علم اللغة ـ مقدمة للقارئ العربي ـ ص 170 - 171
[2] ـ علم اللغة ـ الأصوات ـ كمال بشر، ص 144
[3] ـ نفسه: ص 146
[4] ـ كتاب العين 1/ 58
[5] ـ الألف والهمزة، ص 45

فوجدنا حشدا كبيرا منها ينحصر وجه شذوذه في إثبات الهمزة، أو في حذفها أو في تسهيلها، أو في زيادتها في موضع غير مقيس على الشائع من ألسن الفصحاء، وهكذا"[1]

ويرى عبد الصبور شاهين أنّ مخرج الهمزة من الحنجرة وليس من الحلق كما قال العلماء القدماء بذلك" يجب أولا أن نعرف طبيعة الهمزة من الناحية الصوتية، فهي صوت يخرج من الحنجرة ذاتها نتيجة انغلاق الوترين الصوتيين تماما ثم انفتاحهما في صورة انفجار مهموس، فهي صوت حنجري، انفجاري، مهموس، وهي بذلك تُعدُّ من الصوامت"[2]

ويُعدُّ من أكثر العلماء المحدثين تناولا لصوت الهمزة بحثا وتحليلا ودراسة (إبراهيم أنيس) يقول:"أما مخرج الهمزة المحققة فهو من المزمار نفسه، إذ عند النطق بالهمزة تنطبق تماما فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة فيسمع صوت انفجاري هو ما نعبر عنه بالهمزة. فالهمزة إذا صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس لأنّ فتحة المزمار معها مغلقة تماما فلا تسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار، ذلك الانفراج الفجائي الذي تنتج عنه الهمزة"[3]

وتحدث محمود السعران عن صوت الهمزة فقال:"يحدث هذا الصوت بأن تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين وذلك بانطباق الوترين انطباقا تاما فلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة بضغط الهواء فيما دون الحنجرة، ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثا صوتا انفجاريا، وهمزة القطع لا هي بالمجهورة ولا هي بالمهموسة"[4]

ويقول كمال بشر مرجحا الرأي القائل بأنّ الهمزة صوت لا هو بالمهموس ولا بالمجهور:تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين حال النطق بهمزة القطع، وذلك بانطباق الوترين انطباقا تاما فلا يسمح للهواء بالمرور من الحنجرة ثم ينفرج الوتران فيخرج الهواء فجأة محدثا صوتا انفجاريا.

ومن العلماء الذين تناولوا صوت الهمزة بالدراسة (أحمد مختار عمر)حيث يقول:"أما الأصوات الحنجريةGlottal فيتم في منطقة فتحة المزمار Glottis ولذا تسمى كذلك مزمارية. وقد يتم الإنتاج عن طريق غلق الفتحة فيحدث صوت الهمزة، أو عن طريق تضييقها فيحدث صوت الهاء"[5]

ثم تحدث مختار عمر عن مخرج الهمزة مبينا صعوبة فحص صوت الهمزة فقال:" أما الأصوات التي يتم إنتاجها من مخرج تجويف الحنجرة تسمى رأسية لأنّ مخارجها رأسية تمتد من منطقة اللهاة حتى فتحة المزمار.

---

[1] ـ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ص 17
[2] ـ المنهج الصوتي للبنية العربية: 172/1
[3] ـ الأصوات اللغوية: ص91
[4] ـ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ص 157
[5] ـ دراسة الصوت اللغوي: ص 115

وتعدّ الأصوات الرأسية أصعب الأصوات في مجال الفحص، وحين فحصت بأفلام أشعة إكس لم تكن النتائج كاشفة كما كان متوقعا لأنّ الأفلام لم تظهر عضلات الحلق وإنما أظهرت فقط الجدار الخلفي للحلق."[1]

4 . صفات الهمزة

حصل بين الألف والهمزة صفات مختلفة وأخرى مشتركة:

أ . الصفات المختلفة: الهمزة صوت شديد في حين أنّ الألف وسط بين الشديد والرخو، وهو حرف مدّ ولين، ومن أخفى الحروف وأشدّها استطالة، ويعتبر الحرف الوحيد الهاوي من بين الحروف.[2]

ب . الصفات المشتركة: الألف والهمزة من الحروف المنفتحة، والمصمتة، والمنخفضة، والمجهورة، وما يعنينا من هذه الصفات هو وصفهم الهمزة بأنها **مجهورة**، والحرف المجهور كما يقول سيبويه: "حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت" والجهر عكس الهمس لأنّ المهموس حرف" أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه". ووصف القدماء الهمزة بأنها مجهورة يعني عند المحدثين أنّ الوترين الصوتيين يهتزان أثناء النطق بها ويتذبذبان، غير أنّ النتائج المعملية الصوتية الحديثة قسمتهم إلى فريقين:

الأول: ومنهم جان كونتينو والدكتور تمام حسان، فقد ذهب هذا الفريق إلى اعتبار الهمزة صوتا شديدا مهموسا، ولاحظوا أنّ اهتزاز الوترين معدوم نتيجة إقفالهما إقفالا تاما وقد عبر عن رأيهم الدكتور تمام حسان بقوله:" وتأتي جهة الهمس في هذا الصوت من أنّ إقفال الأوتار الصوتية معه لا يسمح بوجود الجهر في النطق ولكن النحاة والقراء أخطأوا فعدّوا هذا الصوت مجهورا وهو أمر مستحيل استحالة مادية ما دامت الأوتار الصوتية مقفلة في أثناء نطقه"[3]

وكمال بشر لم يرض برأي الواصفين الهمزة بالهمس؛ لأنّ نطق الهمزة يمر بمرحلتين:

أ . مرحلة انطباق الوترين وفيها ينضغط الهواء من خلفهما فينقطع النفس.

ب . مرحلة خروج الهواء المضغوط فجأة محدثا انفجارا مسموعا. ويبدو أنّ المنادين بهمس الهمزة قد لاحظوا المرحلة الثانية من نطق الهمزة وهي المرحلة التي تصاحب الانفجار، ففي هذه الحالة تكون الاوتار في وضع

---

[1] ـ دراسة الصوت اللغوي: ص 319

[2] ـ الكتاب 2/ 406

[3] ـ مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص 97

الهمس ولكن ـ كما يقول كمال بشر ـ هاتين المرحلتين متكاملتان ولا يمكن الفصل بينهما، أو النظر إلى إحداهما دون الأخرى.[1]

الثاني: ومنهم محمود السعران وإبراهيم أنيس وكمال بشر وعبده الراجحي[2] إذ قرر هؤلاء أنّ الهمزة لا هي بالمجهورة ولا هي بالمهموسة وهذا الفريق اعتبر فتحة المزمار هي مخرج الهمزة وأنّ الوترين في حالة نطق الهمزة غير متباعدين ولا مهتزين بل هما منطبقان يسدّان فتحة المزمار ـ وبعبارة أخرى هما مشغولان بإحداث صوت الهمزة ـ ولكنها حجة ضعيفة كما يقول محمد الأنطاكي؛ لأنّ المجهور في علم الأصوات هو ما اهتزّ معه الوتران والمهموس هو ما لم يهتز معه الوتران دون النظر إلى سبب عدم الاهتزاز.[3]

أطلق القدماء على صوت الهمزة في اللغة العربية اسم (النبر) ورد في لسان العرب" النبر بالكلام: الهمز، وكل شيء رفع شيئا فقد نبره. والنبر مصدر الحرف ينبره نبرا: همزه"[4]

وفي الكتاب لسيبويه قوله" واعلم أنّ الهمزة إنما فعل بها هذا من لم يخففها؛ لأنه بعد مخرجها؛ ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجا فثقل عليهم ذلك لأنه كالتهوّع"[5]

وسمّيت بالتهوّع؛ لأنّ في النطق بها صعوبة ومشقة، فتحتاج إلى جهد ومبالغة عند النطق بها يقول الأستراباذي في شرح الشافية:" اعلم أنّ الهمزة لما كانت أدخل الحروف في الحلق، ولها نبرة كريهة تجري مجرى التهوع ثقلت بذلك على لسان المتلفظ بها، فخففها قوم، وهم أكثر أهل الحجاز، ولا سيما قريش. روى أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه: نزل القرآن بلسان قريش، وليسوا بأصحاب نبر، ولولا أنّ جبرائيل عليه السلام نزل بالهمزة على النبي صل الله عليه وسلم همزنا، وحققها غيرهم، والتحقيق هو الأصل كسائر الحروف، والتخفيف استحسان"[6]

وقال ابن يعيش في المفصل:" اعلم أنّ الهمزة حرف شديد مستثقل، يخرج من أقصى الحلق؛ إذ كان أدخل الحروف في الحلق فاستثقل النطق به إذ كان إخراجه كالتهوع؛ فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز، وهو نوع استحسان لثقل الهمزة والتحقيق لغة تميم وقيس. قالوا لأنّ الهمزة حرف فوجب الإتيان به كغيره من الحروف"[7]

---

[1] ـ علم اللغة، كمال بشر، ص 142 ـ 143
[2] ـ علم اللغة ـ مقدمة للقارىء العربي ـ والأصوات اللغوية، واللهجات العربية
[3] ـ الوجيز في فقه اللغة: ص 198
[4] ـ لسان العبرب مادة (نبر)
[5] ـ الكتاب 3 / 548
[6] ـ شرح شافية ابن الحاجب 3/ 31
[7] ـ شرح المفصل 107/9

ووصف مكي بن أبي طالب الهمزة بأنها حرف جرسي مهتوف، وسمين جرسي لأنّ الصوت يعلو بها عند النطق بها وسميت بالمهتوف لخروجها من الصدر كالتهوع فتحتاج إلى ظهور صوت قوي شديد، والمهتوف والمهتوت بمعنى واحد.[1]

5 . وجوه نطق الهمزة في العربية

اختلف نطق العرب للهمزة ما بين من يحققها دون أي تغير يطرأ على النطق بها، ومنهم من يخففها بأحد أوجه التخفيف التي سنتحدث عنها لاحقا.

يقول سيبويه رحمه الله تعالى:" اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء التحقيق والتخفيف والبدل، فالتحقيق قولك قرأت ورأس وسأل ولؤم وبئس وأشباه ذلك، وأما التخفيف فتصير الهمزة فيه بين بين وتبدل وتحذف"[2]

وتحقيق الهمز لغة القبائل التي تسكن البادية، أو هي قريبة من البادية مثل قيس وتميم وأسد، والتخفيف لغة قريش وأكثر أهل الحجاز.

ويُعدّ تحقيق الهمز هو اللغة الأدبية النموذجية التي اجتمع عليها لسان الأدباء، والشعراء، والخطباء قبل الإسلام.

6 . تخفيف الهمزة

هو التخلص من ثقل الهمز بإحدى وسائل التخفيف التي اتخذها العرب من الإبدال، أو النقل أو جعلها بين بين. فإنّ العرب لما استثقلوا النطق بالهمزة بحيث وجدوا صعوبة في نطقها وتكلفا؛ لأنها كالتهوع، وهي نبر وحفز قوي من الحجاب وعضل الصدر وصوت مهتوت، فذهبوا لتسهيل نطقها ليتناسب مع سليقتهم، وبيئتهم التي يعيشون فيها.قال سيبويه:" وأما التخفيف فتصير الهمزة فيه بين بين وتبدل وتحذف"[3]

أ . تخفيف الهمزة بين بين

بين بين لغة هو التوسط، واصطلاحا هي جعل حرف الهمزة بين الهمزة والحرف الذي منه حركتها، فإذا كانت مفتوحة تجعلها بين الهمزة والألف، وإذا كانت مضمومة بين الهمزة والواو، وإذا كانت مكسورة بين الياء والهمزة"[4]

وللعلماء المحدثين رأي في نطق الهمزة بين بين عبر عنه إبراهيم أنيس فقال:" تسهيل الهمزة بين بين هذا هو تعبير القدماء من القراء عن تلك الحالة لنطق الهمزة. فقد قالوا إن تسهيل الهمزة المتحركة ينطق بها لا

---

[1] - الرعاية1/96 - 137
[2] - الكتاب 3/ 541
[3] - الكتاب 3/ 541
[4] - شرح المفصل 9/ 107

محققة، ولا حرف لين خالص بل بين بين... أما التكييف الصوتي لهذه الحالة فليس من اليسير الجزم بوصفه وصفا علميا مؤكدا، وإذا صح النطق الذي سمعته من أفواه المعاصرين من القراء تكون هذه الحالة عبارة سقوط الهمزة من الكلام تاركة حركة وراءها، فالذي نسمعه حينئذ لا يمت إلى الهمزة بصلة، بل هو صوت لين قصير يسمى عادة حركة الهمزة، من فتحة أو ضمة أو كسرة. ويترتب على هذا النطق التقاء صوتين لينين قصيرين وهو ما يسميه المحدثون hiatua ويغلب في معظم اللغات أن تؤدى مثل هذه الحالة إلى الصوت لين انتقالي ينشأ من الحركتين أو صوتي اللين القصيرين"[1]

حالات نطق الهمزة بين بين

1 . إذا كانت متحركة وقبلها ألف

إذا كانت الهمزة متحركة وقبلها ألف فلا يخلو إما أن تكون مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة، وهي في كل الأحوال تجعل همزة بين بين، فإن كانت مفتوحة جعلت بين الهمزة والألف نحو: ساءَلَ، وإن كانت مضمومة جعلتها بين الهمزة والواو مثل: تساؤُل، وإن كانت مكسورة جعلتها بين الهمزة والياء نحو: قائِل.

قال ابن يعيش:" لا يمكن إلقاء حركتها على الألف إذ الألف لا تتحرك، ولو قلبت الهمزة ألفا، وأخذت تدغم فيها الألف على حد مقروة لاستحال ذلك؛ إذ الألف لا تدغم ولا يدغم فيها، وكان في جعلها بين بين ملاحظة لأمر الهمزة؛ إذ فيها بقية منها وتخفيفها بتليينها وتسهيل نبرتها. فإن قيل: فهلا امتنع جعلها بين بين لسكون الألف وقربها من الساكن؟ قيل الذي سهل ذلك أمران، أحدهما: خفاء الألف فكأنه ليس قبلها شيء، والآخر: زيادة المد في الألف مقام الحركة فيها كالمدغم فاعرفه"[2]

قال سيبويه:" والألف تحتمل أن يكون الحرف المهموز بعدها بين بين؛ لأنها مدّ كما تحتمل أن يكون بعدها ساكن؛ وذلك قولك في هباءة هباأة، وفي مسائل مسايل، وفي جزاء أمه جزاؤ امه"[3]

2 . إذا كانت مفتوحة وقبلها فتحة:

تجعل بين بين في المتصل والمنفصل نحو: سأل وسال، وقرأ وقرا. قال سيبويه:" اعلم أنّ كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة، وتكون بزنتها محققة غير أنك تضعف الصوت ولا تتمه، وتخفي لأنك تقربها من هذه الألف وذلك قولك سأل في لغة أهل الحجاز إذا لم تحقق كما يحقق بنو تميم وقد قرأ قنبل بين بين"[4]

3 . إذا كانت مكسورة وقبلها فتحة أو ضمة أو كسرة:

---

[1] ـ الأصوات اللغوية: ص 92
[2] ـ شرح المفصل 9/ 109
[3] ـ الكتاب 3/ 547
[4] ـ نفسه 3/ 541

فإنها تجعل بين بين حسب حركة الحرف الذيقبلها مثل: سئم. قال سيبويه:" وإذا كانت الهمزة منكسرة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والياء الساكنة...وإذا كانت الهمزة مكسورة وقبلها كسرة أو ضمة فهذا أمرها أيضا وذلك قولك من عند إبلك ومرتع إبلك"[1]

4 . إذا كانت مضمومة وقبلها فتحة أو كسرة أو ضمة:

قال سيبويه" وإذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والواو الساكنة... والمضمومة قصتها وقصة الواو المكسورة والياء، فكل همزة تقرب من الحرف الذي حركتها منه فإنما جعلت هذه الحروف بين بين ولم تجعل ألفاتٍ ولا ياءاتٍ ولا واواتٍ؛ لأنّ أصلها الهمز فكرهوا أن يخففوا على غير ذلك فتحول عن بابها فجعلوها بين بين ليعلموا أنّ أصلها عندهم الهمز... وإذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها ضمة أو كسرة فإنك تصيرها بين بين وذلك قولك هذا درهمُ أُختك، ومن عند أمك وهو قول العرب وقول الخليل"[2]

ب . التخفيف بالنقل

النقل لغة هو تحويل الشيء من موضع إلى موضع،[3] واصطلاحا هو نقل حركة همزة القطع إل الساكن قبلها مع حذف الهمزة وذلك للتخفيف، أو هو نوع من أنواع تخفيف الهمز المفرد وهو لغة لبعض العرب.[4]

فالنقل هو أحد أوجه تخفيف الهمز عند العرب، ويكون في الهمز المفرد، وذلك بنقل حركة الهمزة إلى الحرف الصحيح الساكن قبلها ثم تحذف، وقد تناول علماء العربية والقراءات هذا النوع من تخفيف الهمزة في كتبهم ومؤلفاتهم التي بحثوا فيها صوت الهمزة في اللغة العربية.

جاء في شرح المفصل لابن يعيش:" إذا كان قبل الهمزة حرف صحيح ساكن نحو يسأل ويجأر والمسألة والخبء والكمأة والمرأة فالطريق في تخفيفها أن تلقى حركتها على ما قبلها وتحذفها، وتقول في مسألة مسلة، وفي الكمأة الكمة، وفي المرأة المرة، وفي المرآة المراة، وذلك أنّ الحذف أبلغ في التخفيف، وقد بقي من أعراضها ما يدل عليها، وهو حركتها المنقولة إلى الساكن قبلها، ولم يجعلوها بين بين لأنّ في ذلك تقريبا لها من الساكن فكرهوا الجمع بين ساكنين كيف والكوفيون يزعمون أنها ساكنة البتة وهي عندنا وإن كانت في حكم المتحركة فهي ضعيفة ينحى بها الساكن"[5]

---

[1] ـ الكتاب 3/ 542
[2] ـ الكتاب 3/ 542
[3] ـ لسان العرب مادة (نقل) 49/ 4529
[4] ـ النشر في القراءات العشر 1/ 408
[5] ـ شرح المفصل 9/ 109

وتخفيف الهمز بالنقل وارد في القراءات القرآنية خاصة في قراءة الإمام نافع من رواية ورش. يقول الداني في كتاب التيسير:" اعلم أنّ ورشا كان يلقي حركة الهمزة على الساكن قبلها، فيتحرك بحركتها، وتسقط هي من اللفظ؛ وذلك إذا كان الساكن غير حرف مد ولين، وكان آخر كلمة والهمزة أول كلمة أخرى."[1]

ج . تخفيف الهمزة بالإبدال

الإبدال لغة هو التغير والأصل فيه جعل شيء مكان شيء آخر كإبدالك من الواو تاء في تالله.[2]

واصطلاحا هو أن نجعل حرفا مكان حرف. قال ابن فارس:" ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، مدحه ومدهه..."[3]

وهذه أوجه تخفيف الهمزة بالإبدال عند العرب:

. الهمزة الساكنة:

تبدل بحرف مد حسب حركة ما قبلها . سواء كان الهمز منفصلا أو متصلا . فإن كان ما قبلها مضموما أبدلت واوا نحو(يؤمن . يؤْمن/ يؤتى . يوتى)، وإن كان ما قبلها مكسورا أبدلت ياء نحو(بئر . بير/ شئت . شيت)، وإن كانت ساكنة وكان ما قبلها مفتوحا أبدلت ألفا نحو(رأس . راس/ بأس . باس) وقد علل سيبويه عدم تخفيفها بين بين أو بالحذف فقال:" وإنما يمنعك أن تجعل هذه السواكن بين بين؛ أنها حروف ميتة وقد بلغت غاية ليس بعدها تضعيف، ولا يوصل إلى ذلك، ولا تحذف لأنه لم يجيء أمر تحذف له السواكن فألزموه البدل كما ألزموا المفتوح الذي قبله كسرة أو ضمة البدل"[4]

. الهمزة المتحركة المتحرك ما قبلها:

إذا كانت مفتوحة مضموما ما قبلها أبدل مكانها واو نحو(يُؤَده . يوده/ يُؤَاخذ . يواخذ)، وإذا كانت مفتوحة مكسورا ما قبلها أبدل مكانها ياء نحو(خاسئا . خاسيا/ المِئَر . مير)[5]

د . الوقف على الهمز

الوقف بتخفيف الهمز من الظواهر المتعارف عليها عند القراء، وهو أصل من العربية وإن كان البعض يحققه في الوصل لكنه مما يتناسب مع الوقف؛ لأنّ الوقف محل استراحة القارئ المتكلم.

ويخفف الهمز في الوقف بأنواع التخفيف المشهور عند علماء العربية والقراءات، وهي الإبدال والنقل والحذف وبين بين.

---

[1] ـ التيسير في القراءات السبع: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، 1404ه، 1984م، 1/ 35

[2] ـ لسان العرب مادة (بدل) 3/ 231

[3] ـ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب: ابن فارس، المكتبة السلفية، القاهرة، دط، 1338ه، 1910م، 1/ 173.

[4] ـ الكتاب 3/ 544

[5] ـ الكتاب 3 / 544

وأكثر القراء اختصاصا وشهرة بتخفيف الهمز عند الوقف الإمام الكوفي حمزة الزيات. وعلل ذلك بأنّ قراءة الإمام حمزة اشتملت على شدة التحقيق والترتيل والمد والسكت فناسب التسهيل في الوقف؛ لصعوبة مخرج الهمزة وشدتها ولأنه يقرأ بالمد الطويل اللازم، وقراءته تحقيقا ببطء فإذا وقف قصد الاستراحة، وأنه يحرص على اتباع رسم المصحف. وقيل من أجل الجمع بين أحكام لغتين أو قراءتين أو أكثر استحسانا. ومن القراء الذين يخففون الهمز عند الوقف هشام بن عمار؛ إلا أنه يخفف الهمز المتطرف فقط أما حمزة فإنه يخفف المتطرف والمتوسط والمبتدىء به إذا نزل منزلة المتوسط. قال مكي: فإن قيل: فلم خصّ الوقف بالتخفيف للهمزة دون الوصل؟

فالجواب أنّ القارىء لا يقف إلا وقد وهنت قوة لفظه وصوته، فيما قرأ قبل وقفه. والهمزة حرف صعب اللفظ به، فلما كان الوقف يضعف فيه صوت القارىء بغير همز كان فيما فيه همزة أضعف فخفف الهمزة في الوقف للحاجة إلى التسهيل والتخفيف على القارئ مع أنها لغة للعرب، ومع نقله ذلك عن أئمته، فأما الوصل فإنّ قوة القارئ في لفظه، وتمام قوته في ابتدائه تكفي"[1]

[1] ـ الكشف 95/1